

# التربية السياسية

## في المجتمع المسلم

خالد أحمد الشنتوت

قام بفهرسته وتنسيقه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشجود

الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ ١٩٩٥ م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة

إن الحمد لله وحده لا شريك له، والصلاة والسلام على رسوله وبعد..  
فقد بات واضحاً للناس أن العودة إلى الإسلام أمر حتمي، أرادته الله عزوجل، وبشر به نبيه ﷺ،  
وتتلخص العودة إلى الإسلام بالمراحل التالية :

- ١ — تربية الفرد المسلم .
- ٢ — تكوين الأسرة المسلمة .
- ٣ — إقامة المجتمع المسلم .
- ٤ — إقامة الدولة المسلمة .
- ٥ — عودة الأمة المسلمة كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس .

وقد قطعت الصحوة الإسلامية المرحلتين الأوليتين؛ على مدى نصف قرن أو يزيد، وتجاهد اليوم من أجل إقامة المجتمع المسلم، الذي لا بد أن تحكمه حكومة مسلمة، تحكم مواطنيها بالشرعية الإسلامية وحدها، بل إن الدولة المسلمة أهم المؤسسات الضرورية للمجتمع المسلم .  
ويبدو للباحث أن المسلمين - اليوم - يجهلون مساحات واسعة من إسلامهم، ومما يجهلونه : السياسة المسلمة، التي لا بد من السير في طريقها للوصول إلى المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة، وعندما نقرر أن التربية هي الطريق الإسلامي للعودة إلى الإسلام، نتذكر أن التربية الإسلامية شاملة، للفرد والمجتمع، ومن جزئياتها التربية السياسية .

والتربية السياسية : ركن أساسي من أركان التربية الإسلامية، لأن الإسلام دين للفرد والمجتمع، ولا يقوم مجتمع بلا سياسة، لذا لا بد من إعداد الفرد المسلم إعداداً سياسياً، فالتربية السياسية : ( تعد المواطنين لممارسة الشؤون العامة في ميدان الحياة، عن طريق الوعي والمشاركة، وعن طريق إعدادهم لتحمل المسؤولية، وتمكينهم من القيام بواجباتهم، والتمسك بحقوقهم ... وتبدأ التربية السياسية في مرحلة مبكرة من العمر، وتستمر خلال سنوات العمر كله ( عثمان عبد المعز، ص ١٣ ) .

وهذه التربية ضرورية للمجتمع المسلم الذي ( ... ظهرت فيه لعوامل عديدة ومتداخلة: مشكلات عدم الانتماء واللامبالاة بالآخرين، والإحجام عن المشاركة السياسية، فالتربية السياسية تكون شعور العضوية في الجماعة والإحساس بالآخرين ) ( عثمان عبد المعز، ص ١٣ ) .

( والتربية السياسية هي إعداد المواطن الصالح الذي يعرف واجباته فيؤديها من تلقاء نفسه، طاعة لله عزوجل، وطمعاً في ثوابه ورضاه سبحانه وتعالى، كما يعرف حقوقه فيسعى للحصول عليها بالوسائل المشروعة؛ التي بينها شريعة الله عزوجل . والتربية السياسية تبني مجتمعاً متماسكاً منظمًا كالبنيان المرصوص، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . والتربية السياسية جزء أساس من التربية الإسلامية؛ لأن التربية الإسلامية شاملة تعد الفرد ليكون عضواً صالحاً في المجتمع، وهي جزء من التربية الاجتماعية . وبدون التربية السياسية تحصل الفوضى والتفكك في

المجتمع، وتستطيع عند ذلك الأحزاب الدنيوية؛ والعصابات السياسية التسلط عليه وامتصاص خيراته، واستعباد أبنائه وإذلالهم، كما يتسلط عليهم أعداؤهم فيسومونهم أصناف العذاب، ويذيقونهم شر الحياة الدنيا، كما هو حال المسلمين اليوم - ولا حول ولا قوة إلا بالله -<sup>(١)</sup>.

وقد تبين للباحث من خلال متابعته للصحة الإسلامية في العالم؛ ضعف الوعي السياسي لدى العاملين في الدعوة الإسلامية، وخاصة عدم وضوح الخطوات الرئيسية لإقامة المجتمع المسلم. وعندما تنفق على ضرورة التربية السياسية وحاجتنا الماسية إليها، نجد أنفسنا مضطرين للبحث عن (المنهج) الذي نربي الأفراد وفقاً له، وهذا المنهج لا بد أن يستخلص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويمكن تسميته (منهج التربية السياسية في المجتمع المسلم)، وفي الطريق إلى المجتمع المسلم؛ لا بد من وعي أفراد الصحة الإسلامية لهذه التربية السياسية، لذا كان هذا المنهج الذي يحاول الباحث اقتباسه من الكتاب والسنة، وسيرة الخلفاء الراشدين، موجهاً للصحة الإسلامية المعاصرة، ومن ثم لكل مسلم مثقف، يريد أن يشارك في هذه الصحة المباركة، ليكون فرداً مسلماً في المجتمع المسلم المنشود، سائلاً العون من الكريم الرحيم، وبالله التوفيق.

### والله غالب على أمره

قال تعالى في كتابه العزيز: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله } (التوبة: ٣٣)، وروى ابن حبان أن رسول الله ﷺ قال: [ ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، يعز عزيز أو ذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام، وذللاً يذل به الكفر... ]<sup>(٢)</sup>. وروى مسلم وغيره أن رسول الله ﷺ قال: [ إن الله زوى لي الأرض (أي ضم وجمع) فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ]<sup>(٣)</sup>. وعلق الألباني فقال: ومما لا شك فيه أن تحقيق هذا الانتشار يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء. وثبت في أكثر من كتاب من كتب السنة أن رومية (روما) - وهي عاصمة إيطاليا اليوم - ستفتح على يد المسلمين، وأنها لا بد مفتوحة لصدق خبر الصادق المصدوق ﷺ بذلك الفتح، ففي الحديث عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وسئل أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، فأخرج منه كتاباً قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً: أفسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: [ مدينة هرقل تفتح أولاً - يعني قسطنطينية ]<sup>(٤)</sup> وعلق الألباني فقال: وقد تحقق الفتح الأول على يد محمد الفاتح العثماني كما هو معروف، وذلك بعد أكثر من ثمانمائة عام من

(١) خالد شنتوت، كيف نربي أولادنا على الشورى، ص ١٢.

(٢) الألباني، الأحاديث الصحيحة (٧/١) صححه ابن حبان، وتحدير الساجد (ص ١٢١)، والمدر: الحضر، والوبر: البدو.

(٣) الألباني، الأحاديث الصحيحة (٧/١)، ومسلم (١٧١/٨)، وأبو داود (٩٧/٤)، والترمذي (٢٧/٢) وقال صحيح، وأحمد (٢٧٨/٥)، وفي جامع الأصول (٣١٦/١١).

(٤) أخرجه أحمد (١٧٦/٢) والدارمي (١٢٦/١)، وفي المستدرک في عدة مواضع منها (٤٢٢/٣) وصححه الحاكم ووافقته الذهبي، ووافقهما الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٨/١).

إخبار النبي ﷺ بالفتح، وسيحقق الفتح الثاني بإذن الله تعالى، ولا بد ولتعلمن نبأه بعد حين . ولا شك أيضاً أن تحقيق الفتح الثاني يستدعي أن تعود الخلافة الراشدة إلى الأمة المسلمة وهذا مما يشيرنا به ﷺ ( حسن علي جابر، ١٣٧ ) . وأخرج البخاري وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: [لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله . إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ] <sup>(٥)</sup> وروي عنه ﷺ أنه قال : [ تكون فيكم النبوة ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، تكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت ] <sup>(٦)</sup> .

ويقول سعيد حوى - يرحمه الله - ( في جند الله، ص ٤٧ ) : ( فالذي يبدو أن الملك العاض قد انتهى بانتهاة السلطنة العثمانية، ويبدأ الملك الجبري من ذلك الوقت وحتى الآن، ولا يزال مستمراً ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل بها أصحابها إلى الحكم غصباً عن إرادة الشعب وبدون رأي الأمة، بدأها كمال ( أتاتورك ) في تركيا، وتتابع في كل مكان ( من العالم الإسلامي )، ولكن اليقظة الإسلامية الحالية تبشر بأن ذلك لن يطول إنشاء الله . وعلى كل حال طالت المدة أم قصرت، لا بد من تحقق وعد رسول الله ﷺ ) . والملاحظ اليوم تجمع اليهود من أقطار الدنيا، من الشرق والغرب، ومن مختلف القوميات والألسن والألوان، من يهود روسيا إلى يهود أميركا إلى الفلاشا ويهود العرب ... يتجمعون في فلسطين، حيث المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين عند المسلمين ليتحقق وعد رسول الله ﷺ، ويهاجر اليهود إلى فلسطين لينبؤا فيها دولة قوية تحكم العالم كله - كما يخططون - ويريدون طرد المسلمين من المنطقة، أو استعبادهم وإذلالهم، بعد إفسادهم وإخراجهم من إسلامهم، وكاد أن يتحقق مخطط اليهود لولا لطف الله تبارك وتعالى ووعدته : { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون } ( الصف : ٩ ) . لولا ذلك لحقق اليهود أحلامهم، لكن لطف الله ورحمته بعباده، ووعدته أن يمكن لدينه الذي ارتضاه لعباده كافة وفق المسلمين في هذا العصر إلى الصحوة الإسلامية المعاصرة .

( وجاءت الصحوة الإسلامية في موعدها المقدر عند الله، وكانت مفاجأة ضخمة لكثير من الناس ) فوجيء بها المتغربون من المسلمين، كما فوجيء بها أعداء المسلمين الذين بذلوا جهودهم لإخراج الأمة المسلمة من الإسلام، وفوجئوا لأنهم أغفلوا قول الله تعالى { والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون } ( يوسف : ١٢ ) . كما أغفلوا قوله عز وجل { يريدون

(٥) صحيح البخاري (٥١/٤)، ومسنند أحمد (١١/١) واللفظ له، وجامع الأصول (٣٨١/١٠) .

(٦) رواه البزار، وأخرجه الطبراني في الأوسط، ورواه أحمد في مسنده واللفظ له، (٢٧٣/٤) . والسلسلة الصحيحة للألباني (٨/١)

ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون { (الصف : ٨-٩ ) ( محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ٣٦٤ ) .

وقامت الانتفاضة على يد حماس (حركة المقاومة الإسلامية) التي آمنت أن قضية فلسطين قضية إسلامية ، وليست ماركسية ولا قومية ، إنها إسلامية بكل ما تعنيه الكلمة ، بل إنها مركز الوعي الإسلامي المعاصر .

وسيغلب المسلمون اليهود كما وعد رسول الله ﷺ وذلك بعد أن يعود المسلمون إلى دينهم ، وتقوم الدولة المسلمة التي تقود الأمة المسلمة من جاكرتا إلى طنجة ، وعندما يعود المسلمون إلى إسلامهم ويطبّقونه في حياتهم سيكونون أقوى أمة في العالم ، وعندئذ يهزمون اليهود ، ويروى أنه في إحدى روايات الحديث [ لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود ... ] فيها زيادة تقول [ يقاتل بقتيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه ] وقال ابن ضريم ( الراوي ) ولا أدري أين الأردن يومئذ (٧) .

والآن فلننظر إلى واقع الصحوة الإسلامية بعد ما يزيد على نصف قرن منذ بدأها الإمام الشهيد ... هناك ظاهرتان على الساحة الأولى اتساع القاعدة ، بحيث يصح أن يقال : إن الإقبال على الإسلام أصبح تياراً ذاتياً عند الشباب لا يرتبط بنشاط جماعة معينة ، إنما ينبعث تلقائياً لدى الشباب ( كما هي الجزائر في السبعينات والثمانينات ) ، والثانية تبعث العمل الإسلامي وتفترقه ، وكثرة الجماعات التي تعمل في الساحة ، وتناقضها وتناوبها أحياناً ( محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، ٤٣٤ ) .

وبالنظر إلى واقع المسلمين المعاصر ؛ نجد التمزق المستمر ، والتخلف البغيض ، كما نجد أن المنطقية المسلمة أفلست من جميع النظريات والقيم الجاهلية ، فقد جربت الديمقراطية ، ثم الديكتاتورية ، كما جربت الإقطاع والاشتراكية ، والقومية والإقليمية ، والطائفية والعشائرية وأخفق ذلك كله ، وتؤكد للمسلمين اليوم أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها . وبالنظر إلى واقع الصحوة الإسلامية ، ومعاشة أمراضها وآلامها يتضح حاجة الدعوة المسلمين إلى المزيد من فهم السياسة الإسلامية ، إذ أنهم في أحيان كثيرة يخلطونها بالديمقراطية ...

### فما هو منهج السياسة الإسلامية ؟

وبإدعاء الأمر يؤكد الباحث أن السياسة الإسلامية متميزة عن السياسات الجاهلية ، كما يتميز الاقتصاد الإسلامي عن الاقتصاد الاشتراكي والرأسمالي وغيرهما ، وكما تتميز التربية الإسلامية عن غيرها من النظريات التربوية الأخرى كالتربية الرومانية أو الأوربية وغيرهما ، وكما أن السبب الأساس الذي يميز الاقتصاد الإسلامي والتربية الإسلامية هو أنهما يستمدان المفاهيم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، كذلك تستمد السياسة الإسلامية مفاهيمها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ولذلك تتميز بل تختلف اختلافاً كبيراً عن غيرها .

(٧) رواه الطبراني والبخاري وابن سعد عن نهيك بن ضريم ( كتر ١٤/٣٢٧ ) .

## لذلك يطرح هذا البحث الأسئلة التالية :

- ١ — هل السياسة جزء من الإسلام ؟
- ٢ — ما موقف الإسلام من المكيفيلية ؟ لأنها أصل السياسة الجاهلية
- ٣ — ما موقف الإسلام من الديمقراطية ؟ وبعبارة أخرى هل السياسة الإسلامية ديمقراطية ؟ أم تختلف عنها ؟
- ٤ — ماهي أهداف السياسة الإسلامية ؟ وماهي خصائصها التي تميزها عن سواها ؟

### أهمية البحث :

يعتقد الباحث أن صقل مفهوم السياسة الإسلامية، وتمييزها عن السياسة الجاهلية عامة، وعن الديمقراطية خاصة ؛ لأنها أكثر التباساً بها، ثم اعتماد هذا المفهوم الإسلامي للسياسة من قبل الصحوة الإسلامية، يعتقد الباحث أن ذلك ضروري لإقامة المجتمع المسلم، والمؤسسات الإسلامية ومن ثم الدولة المسلمة .

ويعتقد الباحث أن جزءاً كبيراً من تعثر الحركات الإسلامية المعاصرة يعود إلى عدم تبلور مفهوم السياسة الإسلامية لدى كثير من قادة العمل الإسلامي ؛ مما جعلهم يشوهون العمل الإسلامي عندما يرقعونه بأساليب غير إسلامية أحياناً . ويدعو الباحث المفكرين المسلمين إلى تركيز جهودهم حول تجلية وبلورة مفهوم السياسة الإسلامية وأساليبها وتمييزها عن غيرها، ثم نشر هذا الفكر الإسلامي بين المسلمين .

### هدف البحث :

الهدف الأساس من هذا البحث هو تنقية مفهوم السياسة الإسلامية وتمييزها عن السياسة الجاهلية في أذهان الدعاة المسلمين وقادة العمل الإسلامي خاصة، وشباب الصحوة الإسلامية عامة، وتمييز السياسة الإسلامية عن المكيفيلية، وتمييزها عن الديمقراطية .

كما يهدف هذا البحث إلى اكتشاف خصائص السياسة الإسلامية التي تميزها عن غيرها ؛ كالثورى والبيعة والتعاون والعدالة والاهتمام بأمر المسلمين . وقد خاضت الصحوة الإسلامية ببحر السياسة مضطرة غير مختارة، خاضته بدون بصيرة، كما قال الشيخ محفوظ النحناح ( لم نتقن قواعد اللعبة السياسية )، لذلك وقع الخلط بين السياسة الإسلامية والسياسة الجاهلية بدون قصد كما سبق لبعض المفكرين المسلمين أن خلطوا بين الاقتصاد الإسلامي والاشتراكية .

ولا يشك الباحث في إخلاص الدعاة والقادة المسلمين والشباب المسلم ؛ ولكن الإخلاص وحده لا يكفي ولا بد من الصواب، فالله عزوجل لا يقبل العمل إلا إذا كان:

- ١ — خالصاً لوجهه عزوجل .
- ٢ — صواباً أي موافقاً كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

لذا كان هذا البحث الذي جاء في مقدمة وخاتمة وبينهما تسعة فصول . عرف الإسلام والسياسة في الفصل الأول بهدف الإجابة عن السؤال هل السياسة من الإسلام؟ أما الفصل الثاني فتحدث عن المكيافيلية ( السياسة الجاهلية ) وتسمى كذلك سياسة المصالح ، وبين الباحث موقف الإسلام منها ( كما يفهمه الباحث ) . ثم قارن الباحث بين الشورى والديمقراطية في الفصل الثالث كي يميز السياسة الإسلامية عن الديمقراطية . وفي الفصل الرابع حاول الباحث أن يقدم بعض خصائص السياسة الإسلامية وأهدافها التي تميزها عن غيرها ، فكان الفصل الرابع مخصصاً للبيعة ، والفصل الخامس للشورى ، والسادس للتعاون ، والسابع للعدالة ، أما في الفصل الثامن فقد بين الباحث أن الاهتمام بالمسلمين من خصائص السياسة الإسلامية ، ثم أوجز الباحث مقومات الدولة المسلمة الأولى في الفصل التاسع .

ويشكر الباحث ربه عزوجل على نعمه الكثيرة التي أسبغها عليه ظاهرة وباطنة ومنها حبه للبحث وطلب العلم ، ويدعو الباحث ربه عزوجل أن يتقبل منه هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن يغفر له خطيئاته ، ويوفقه إلى ما فيه رضاه عنه في الدنيا والآخرة . ويشكر الباحث كثيراً من الأخوة الأفاضل الذين قدموا له العون والمراجع والنصائح الثمينة ، واستفاد الباحث من ملاحظاتهم وآرائهم وهم كثيرون منهم الأخوة الأفاضل الأستاذ محمد الخطيب الذي تفضل بمراجعة اللغة العربية ، والأستاذ هيثم إبراهيم الرغبان ، والدكتور الباحث مازن مطبقاني والأستاذ رسلان محمود والدكتور حكمت بشير ، والأخوان الطالبان الجزائريان بشير والزيير اللذان ساعداني في تخريج بعض الأحاديث ، وغيرهم كثير . ويسأل الله عزوجل أن يجزل لهم الثواب . ولا بد من التذكير بأنه ما كان صواباً في هذا البحث فمن نعم الله عزوجل ، وما كان خطأً فمن نفسي المقصرة ؛ وأسأل الله عزوجل أن يغفره لي ويدلني على الصواب إنه لطيف رحيم .

المدينة المنورة في ١٢ ربيع الأول ١٤١٤هـ

خالد أحمد الشنتوت



## الفصل الأول الإسلام والسياسة

تمهيد :

سيطرت الكنيسة على الحياة كلها في أوروبا خلال العصور الوسطى، والكنيسة لا تمثل ديناً سماوياً بل هي نتيجة للتبديل والتحريف الذي أدخله البشر وخاصة اليهود على الإنجيل، حتى صارت الكنيسة معادية للحياة . يقول دريبر الأمريكي في كتابه ( التزاع بين العلم والدين ) : ( دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين - المنافقون هم اليهود الذين أظهروا إيمانهم بالنصرانية ليحطموها - ، الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية ، ومنهم قسطنطين الفاجر الظالم ، ونشأ دين جديد تتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء )<sup>(٨)</sup> .

لذا فإن أوروبا - شرقها وغربها - وامتدادها في أمريكا تكره الدين كله ، وتنفّر من سيطرة الدين على واقع الحياة ؛ لما لاقّت من سيطرة الكنيسة في العصور الوسطى من ظلم وإقطاع وأتاوات ورهبانية تصادم الفطرة ، بينما ترتكب في بعض الأديرة أبشع المحرمات ، ثم جاءت مهزلة صكوك الغفرن ، ثم كانت الطامة الكبرى عندما وقفت الكنيسة في وجه العلم ، وأحرقت بعض العلماء وعذبتهم باسم الدين ، فلما قامت النهضة الأوروبية ؛ قامت على عدااء مع الدين ، وحصرت الدين داخل الكنيسة ، وفرضت عليه الإقامة الجبرية داخلها ، فالاقتصاد والسياسة وكل ما يتعلق بالحياة لاصلة له بالدين ، وكاد ينحصر عمل الدين في دفن الموتى ، يقول (روسو) : إن المسيحي لا تشغله سوى أمور السماء وحدها ، ووطن المسيحي ليس في هذا العالم . ( عبد الكريم الخطيب ، ص ١٠٥ ) .

وقام أعداء الإسلام من يهود وصلبيين وملحدون ومنافقين بمحاولة إدخال الإسلام تحت مفهوم الدين الذي تمثله الكنيسة ؛ ليحصروا الدين في المسجد ، ويعزلوه عن الحياة ، وإذا واجه أعداء الإسلام بعض الصعوبات في عزل الإسلام عن العلم أو الاقتصاد في أذهان المسلمين ، فقد وجدوا الأمر سهلاً جداً عندما دعوا إلى عزل السياسة عن الإسلام ، وأقنعوا كثيراً من المسلمين بأن الإسلام لا يتدخل في السياسة ، لأن السياسة هي الكذب والخداع والغش ( المكيفيلية ) ، وهذا لا يليق بالدين أن يقترب منها . حتى قالوا عن لسان الشيخ محمد عبده يرحمه الله أنه قال : أعود بالله من السياسة ، ومن

---

(٨) انظر أبو الحسن الندوي ، ماذا خسر العالم باخطاط المسلمين ، ومن هؤلاء الذين حرفوا النصرانية شاؤول اليهودي الفرنسي الذي صار اسمه (بولس) ، وتعتبر المسيحية الحالية من صنع بولس ثم قسطنطين ، انظر كتاب ( بابوات من الحي اليهودي ) لبواكيم برنيز ويتفاخر المؤلف ببولس ويقول عنه أنه حُرر المسيحية من القيود التي وضعها المسيح ( ص ٤٧ ) ، لأن المسيحية ليست ديانة عالمية وإنما بعث الله عيسى لبني إسرائيل ، فقد عمل بولس على انفصال المسيحية عن اليهودية وجعلها أممية مخالفاً بذلك تعاليم عيسى عليه السلام الذي قال ( إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالخرى إلى خراف بني إسرائيل الضالة ) ( انظر إصحاح متى ١٠ - ٥٦ ) فالدعوة المسيحية ليست عالمية ، بل جاءت لانتشال بني إسرائيل من المادية التي طغت على الجوانب الروحية عندهم ( انظر كتاب المسيح الدجال لسعيد أيوب ص ٩٣ ، طبعة دار الاعتصام ) .



لفظ السياسة، ومن ساس ويسوس وسائس ومسوس ..<sup>(٩)</sup>. وقال آخر في عصرنا هذا : ( لاسياسة في الدين، ولا دين في السياسة )، فما هي علاقة الإسلام بالسياسة ؟ وهذا يتطلب منا تعريف الإسلام، وتعريف السياسة لمعرفة العلاقة بينهما .

### تعريف الإسلام :

الإسلام هو الانقياد والخضوع والقبول لما أتى به محمد ﷺ ( المعجم الوسيط ) والاستسلام لله في أمره ونهيه على لسان الوحي، ويفضل الباحث أن يشتمل التعريف على جملة ( الانقياد التام ) فيكون التعريف : الإسلام هو الانقياد التام والخضوع لما أتى به محمد ﷺ، ويفضل الباحث هذه الإضافة ( الانقياد التام ) لأن بعض المسلمين يفوتهم الانقياد لله عز وجل في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وربما ترسب في ضمائرهم - نتيجة الغزو الفكري - أن الإسلام هو الشعائر التعبدية فقط ( الصلاة والصوم والزكاة والحج )، وينسون أن الإسلام يشمل الدين والدنيا، وأنه دين ودولة، وعبادات ومعاملات، قال تعالى: { ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين } ( النحل : ٨٩ )، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ( قد بين لنا في هذا القرآن كل علم وكل شيء، وقال مجاهد كل حلال وحرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل، فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خير ماسبق، وعلم ما سيأتي، وكل حلال وحرام، وما يحتاجه الناس في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم... ) ( مختصر تفسير ابن كثير للصابوني ) .

وكل ما يحتاجه المسلمون في حياتهم الدنيوية من أحكام سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها، موجود في القرآن الكريم والسنة المطهرة، على شكل أحكام أساسية ومبادئ مرنة لتستوعب كل زمان ومكان، ولا يكون المسلمون مسلمين بشكل صحيح وتام ؛ إلا إذا انقادوا لله عز وجل انقياداً تاماً في دينهم ودنياهم، في صلاتهم وصومهم وزكاتهم وحجهم، وبيعهم وشرائهم، ووجدتهم ومرحهم، وفرحهم وترحهم، وزواجهم وجهادهم، وكل ما يحتاجه مجتمعهم من أحكام سياسية واقتصادية ليكونوا خير أمة أخرجت للناس كما أرادهم الله عز وجل.

إلا أن مشكلة بعض المسلمين اليوم هي الفهم الجزئي للإسلام، وبالتالي لا ينقادون لله انقياداً تاماً، بل ينقادون لله في بعض أمورهم، ومن الأمور التي ينقادون فيها لغير الله الأمور السياسية ؛ لأنهم لا يعرفون أن الإسلام يشمل السياسة، بل كثير منهم لا يريد الاقتراب من السياسة لأن أعداء الإنسانية نشروا في العالم أجمع مفهوماً للسياسة ينافي الإسلام، لذلك ابتعد كثير من المسلمين عن السياسة .

---

(٩) أحمد شوقي الفنجرى، ص ٥٧، والباحث يتعجب من صدور هذا الكلام من رجل فاضل كالشيخ محمد عبده يرحمه الله، الذي أصدر مع جمال الدين الأفغاني صحيفة العروة الوثقى في باريس، للدفاع عن المسلمين وقضاياهم، ومن المعروف أن الأفغاني وعبده سلكا طريق العمل السياسي لإصلاح المسلمين، لذلك فإن الباحث يشك في نسبة هذا الكلام للشيخ محمد عبده يرحمه الله .

فهل مارس رسول الله ﷺ السياسة؟ وتولى إدارة شؤون المجتمع المسلم؟ وهل سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على سنته فقادوا المجتمع المسلم؟ أم أنهم ترفعوا عن السياسة!!؟ كما يفعل بعض أدعياء العلم اليوم!!؟ وتركوا السياسة لرجال السياسة وهم من غير العلماء والدعاة!!؟ وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: [ إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ]<sup>(١٠)</sup> كما أخرج مسلم يرحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: [ ... ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ]<sup>(١١)</sup> وقال الإمام النووي يرحمه الله:

( أي مات على صفة من صفات الجاهلية، وهي أنهم فوضى لإمام لهم ) . وتعطى البيعة للحاكم المسلم الذي يتولى سياسة المجتمع المسلم وتدير شئونه وأموره، أما بالنسبة للحديث الأول فإنه إذا كان الأمر باتخاذ أمير في السفر، فإنه في الحضر أولى؛ لأن شئون الحياة في الحضر أكثر وأوسع، والحاجة إلى الأمير أشد مما هي في السفر .

يقول الإمام البنا رحمه الله: ( إن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسياً بعيد النظر في شئون أمته، مهتماً بها، فالمسلم مطالب بحكم إسلامه أن يعنى بكل شئون أمته. ويقول البنا رحمه الله إننا سياسيون. بمعنى أننا نهتم بشئون أمتنا ونعمل لاستكمال الحرية ) ( حسن البنا، رسالة إلى الطلاب، ص ٨٠، ١٠ بتصرف ) . ويقول الدكتور محمود أبو السعود ( وهو من إخوان البنا رحمه الله ) ( إن السياسة جزء من العقيدة، وإن الإسلام الذي فرغ الإخوان أنفسهم للدعوة إليه وتطبيقه؛ يحتم عليهم أن يصلحوا المجتمع الذي يعيشون فيه، ويحدد لهم حقوقهم وواجباتهم إزاء الحاكم، ويأبى عليهم الخضوع للظلم والاستبداد، والذل والصغار ) ( محمود أبو السعود، مقدمة لكتاب ميتشل عن الإخوان المسلمين ) . ويقول البنا يرحمه الله رداً على من يتهم الإخوان بالسياسة: ( لأن المسلم يومذاك يترفع عن السياسة ) يقول: ( ندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام، وأحكام الإسلام، وهدى الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا ) ثم يقول: ( وإن للإسلام سياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة، وتلك هي سياستنا لا نبغي عنها بديلاً ) ( رسائل البنا، ص ١٤٦ ) .

وكل من يدرس بإمعان حياة شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله، سيجد أنه كان قائد جماعة تلتزم بأوامره، وتحارب تحت لوائه، وكان بمثابة إمام لها، وكان يطبق الحدود الشرعية فيما يستطيعه، ويغير المنكر باليد واللسان، ويبيث أنصاره في كل مكان، وقام بدور الإمام العام ( الخليفة ) في غيبة الإمام الراشد، وأعلن الحرب على التتار، وتصرف شيخ الإسلام في ذلك تصرف مرشد أمة وقائد جماعة من الأنصار، وإمام عامة<sup>(١٢)</sup> .

## تعريف السياسة

(١٠) سنن أبي داود (٢٤٩٦/٣)، وجامع الأصول (١٨/٥) وقال الأرنؤوط إسناده حسن .

(١١) جزء من حديث في صحيح مسلم كتاب الإمارة .

(١٢) عبد الرحمن عبد الخالق، مقتطفات من الصفحات ٩٠، ٩١ .

السياسة في اللغة تولى الرياسة والقيادة ،وساس الناس تولى رياستهم وقيادتهم ،أما ساس الدواب راضها وأدبها ،وساس الأمور دبرها وقام بإصلاحها ،والسائس راض ( مروض ) الدواب ومدربها ،والجمع ساسة وسواس ( المعجم الوسيط ) . السائس إذن هو الرجل الذي يتولى ترويض الخيول والعناية بها ،ويدربها على عملها ،ومن التمعن في عمل السائس نجد ما يلي :

١ — يتقرب السائس إلى الحصان بتقديم الطعام والماء إليه عدة أيام متتالية ؛ حتى يألفه الحصان ،ثم يداعبه فيمرر يده على ظهره . والمعروف أن المهر ( الحصان الصغير ) يقفز ويجمح إذا لمس إنسان ما ،وخاصة إذا لمس ظهره وكأنه يجن إذا مد أحدهم يده على ظهره .

٢ — يهدف السائس من تقربه للحصان إلى ترويضه كي يحقق الغاية التي وجد الحصان من أجلها ،فيصبح أليفاً يمتطي الإنسان ظهره ،ويحمل عليه أمتعته .

٣ — لا يستخدم السائس العنف مع الحصان ،ولو استخدمه مرة واحدة لفشل في مهمته ؛ لأن الحصان أقوى من السائس بدنياً ،ولا يتمكن السائس من هدفه بالعنف ،كما يتعطل الحصان عن تحقيق غايته .

ولدى عامة العرب ،وخاصة في شمال إفريقيا ،وأخص العامة الذين لم يتلوث فكرهم بالجاهلية الأوروبية الحديثة ،تعني كلمة سياسة عندهم ( اللطف واللين والتمهل ) وهي عندهم مناقضة للغضب والعنف ،ويقول العامة افعل ذلك بالسياسة أي افعله بلطف وتمهل بلا غضب ولا تسرع ،وإذا رأى أحدهم زميله متعجلاً قال له : ( بالسياسة ) أي باللطف واللين والتمهل .  
فما علاقة اللطف واللين والتمهل بالسياسة ؟

بما أن السياسة قيادة الجماهير ،والجماهير معظمهم من عامة الناس ،تغلب عليهم الفطرة ،إذا لاطفهم السياسي باللين ؛ وتودد إليهم بتأمين مصالح دينهم ثم دنياهم ،فإنهم يجوبونه ويثقون به ويسمعون منه ،فيسهل عليه قيادهم . ويتضح لنا منذ الآن أن العسكرية مفهوم مناقض للسياسة ،فالعسكرية تقوم على العنف والغضب ،لأن الغضب لازم للمقاتل ،بينما تقوم السياسة على اللطف واللين ،ويحاول العسكري تحقيق هدفه في أقصر وقت ممكن ،وبالسرعة القصوى ،بينما يمشي السياسي نحو هدفه بالتمهل ،والسرعة البطيئة . ومما يؤكد ذلك أن الحرب تبدأ عندما تفشل السياسة ،وإذا قامت الحرب قطعت العلاقات السياسية لأتت مناقضان لا يجتمعان معاً . فالسياسي يقود الأمة ،والعسكري يدافع عنها فيقتل أعداءها ،ويذود عن حدودها ،والسياسي يقود العسكري أيضاً لأن الجيش قطاع من قطاعات الأمة .

فمن هو السياسي إذن ؟ هل هو ضابط كبير ؟ أم هو ضابط متقاعد ؟ أم هو الأستاذ الجامعي ؟ وخاصة ذلك الذي يدرس العلوم السياسية ؟ وبالتالي هل السياسة علم أم فن ؟ المقصود بالسياسة علم أي أنها معلومات تدرس وتكتسب ،أما السياسة فن أي أنها قدرات فطرية كالشعر وغيره من الفنون التي لا يمكن اكتسابها إذا لم يفطر الإنسان عليها ،وقد تعددت الإجابات ومعظمها تلتقي حول إجابتين :

١ — السياسة علم :

علم يدرس في الجامعات ،وقد خصصت له كليات العلوم السياسية ،والاقتصاد السياسي ،والإدارة السياسية ،حيث يتعلم الطلاب كيف يقودون الجماهير ،ويركز في هذه الكليات على دراسة الجماعة وأساليب القيادة الجماعية ،وعلم النفس الاجتماعي ،وتاريخ الدول .. إلخ ،ولاتفصل السياسة في الجامعات عن الاقتصاد ،ويتخرج المتعمق في هذه الدراسات ( بعد الدكتوراة ) كخبير في السياسة ،لكن هل يستطيع كل متخرج من هذه الكليات أن يكون سياسياً ناجحاً ،أي قائداً لامعاً تنقاد له الجماهير !؟ والجواب على هذا السؤال تواجهه صعوبات كثيرة ،مشاهدة في الواقع ،فكثير من أساتذة الجامعات لا يصلحون لعمل سوى المحاضرات والبحث العلمي ،وقد يفشل في إدارة مدرسة ابتدائية مكونة من عشرة فصول فقط ،كما نجد عدداً من الزعماء اللامعين قادوا جماهير أمتهم ،وكسبوا ثقة الجماهير ولم يدخلوا الجامعات أبداً ،ومنهم هتلر قديماً وفاليسا حديثاً وغيرهم .

## ٢- السياسة فن :

أي أن السياسي موهوب بالفطرة ،زوده الخالق عزوجل بعدة قدرات كالذكاء والحزم والحكمة وقوة الإرادة والجرأة والجلد وغيرها ،فأهلته هذه الصفات للقيادة ،يقول أرسطو : ( بعض الكائنات خلقت للإمرة ،وبعضها للطاعة ،تتصف الأولى بالعقل والتبصر ،والثانية بالخصائص الجسمانية لتنفيذ الأوامر ) ( عبد الكريم الخطيب ،ص ٥٥ ) . كما أن بعض الناس وهبوا قدرات فطرية جعلتهم شعراء ،أو خطاطين ،وسبق القول أن بعض القادة ليس لهم حظ وافر من العلم ؛ ومع ذلك كانوا قادة لامعين . إلا أننا - على ضوء الإسلام - لا نستطيع أن نقول للرجل الموهوب سياسي لامع ،إن لم يكن متفهماً في الدين ،فالعلم ( وخاصة العلم الشرعي ومنه السياسة الإسلامية ) شرط من شروط الإمام المسلم ( الخليفة ) ،وشرط أيضاً من شروط أهل الحل والعقد ،وشرط من شروط الولاة والعمال ( الأمراء ) أيضاً ( الماوردي ،ص ٣٠ ) .

ونخلص من ذلك إلى أن السياسة علم وفن معاً ،والسياسي الناجح هو ذلك الرجل الموهوب بالصفات اللازمة كالصبر والذكاء وقوة الإرادة وغيرها ،ونال حظاً وافراً من العلم الشرعي ،ثم العلوم الإنسانية ،وخاصة علم السياسة وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس ،ثم درس الإدارة ومارسها لفترة كافية ،عندئذ ينضج ويصبح سياسياً لامعاً يقود الجماهير المسلمة نحو خيرها في الدنيا والآخرة .

## ٣- السياسة الإسلامية :

السياسة المسلمة : هي قيادة المسلمين إلى مافيه خيرهم في الدنيا والآخرة ،يقول الفنجري : ( فالسياسة في الإسلام هي علم إدارة شؤون الرعية ورعايتها ،والمعنى الحقيقي لكلمة سياسة هو قول الرسول ﷺ : [ وكلكم مسؤول عن رعيته ] ( أحمد شوقي الفنجري ص ٥٨ ) .

فقد خلق الله الناس لعبادته وحده دون غيره ،يعبدونه عزوجل في كل لحظة من حياتهم ،يعبدونه في صلاتهم وسائر الشعائر التعبدية ،ويعبدونه في حياتهم الخاصة والعامة ،في زراعتهم وصناعتهم وتجارتهم ،في حربهم وسلمهم ،في مساجدهم ومدارسهم وشوارعهم ،وفي كل مؤسساتهم الاجتماعية ،وفي كل لحظة من حياتهم ،والسياسة الإسلامية هي قيادة الجماهير المسلمة لتحقيق هذه العبادة ،وجعلها خالصة لله عزوجل

،وحده لاشريك له ،كما جاء به محمد ﷺ ،يقول الماوردي : ( والذي يلزمه أي الإمام من الأمور العامة عشرة أشياء أولها حفظ الدين على أصوله المستقره وما أجمع عليه سلف الأمة ،فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه ( عن الدين ) أوضح له الحجة ،وبين له الصواب ،وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود،ليكون الدين محروساً من خلل ،والأمة ممنوعة من زلل ) ( الماوردي ،ص ٥١ ) .  
وللسياسة الإسلامية أهداف عالمية منها :

١— أن تعبد البشرية رباً واحداً فتتحقق الغاية من خلق الجن والإنس { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ( الذاريات : ٥٦ ) .

٢— أن يعم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البشرية جميعاً { كنتم خير أمة أخرجت للناس ،تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله... } ( آل عمران : ١١٠ ) .

٣— تبليغ البشرية كافة دعوة الإسلام { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس } ( البقرة : ١٤٣ ) .

٤— أن تزول الفتنة من الأرض كافة { وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله } ( الأنفال : ٣٩ ) .

٥— فتح البشرية جميعاً وقبولهم لحكم الله عزوجل ( حسين جابر ،ص ١٣١ ) .

### السياسة جزء من الإسلام

وفي الختام يتضح أن السياسة جزء من الإسلام ،ويتضح أن الإسلام لا يقوم بأفراد ،بل في مجتمع ،وكل مجتمع لابد له من سياسة ،وقد أخرج الدارمي موقوفاً عن عمر رضي الله عنه أنه قال : [ ...إنه لا إسلام إلا بجماعة ،ولا جماعة إلا بإمارة ،ولا إمارة إلا بطاعة ... ] ( الدارمي (٧٩/١) ،انظر حسين جابر ،الإهداء ) . فالإسلام لا يقوم بأفراد ،والفرد وحده لا يقيم صلاة الجماعة ،ولا يقيم أسرة مسلمة أو مجتمعاً مسلماً ،ولا يجاهد أعداء الله إلا في جماعة ،ولا جماعة إلا بإمارة ،ولا إمارة إلا بطاعة ... وهذه هي السياسة ،فلا يكون المجتمع مسلماً بدون سياسة مسلمة كما سنرى .

ومن التاريخ والواقع نجد أعداء المسلمين جماعات ،بعضها دول وبعضها عدة دول بجماعة ،وقد زال الاتحاد السوفياتي واتحد الغرب مع الشرق غير المسلم ،ليكونوا قوة واحدة في وجه المسلمين ،بما يسمى النظام العالمي الجديد ،وعلى المسلمين أن يجاهدوا الخطر بما يوازيه ويكافئه ،وعلى المسلمين أن يتحدوا لمواجهة هذه الأخطار العالمية المتمثلة بالصهيونية والصليبية ،لذلك لا بد من السياسة للمسلمين كي توحد أمتهم في وجه أعدائها .

ويقول الفنجري : الإسلام لا يفرق بين السياسة والدين ،بل إن العمل السياسي الصالح خير عند الله ثواباً ومثلة من مزيد من العبادات فرسول الله ﷺ يقول : [ عدل حكم ساعة خير من عبادة سبعين

سنة [ (١٣) ] .. ويقول عزوجل : { الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور } ( الحج : ١٤ ) .

والله تعالى يربط بين الصلاة وهي فريضة تعبدية والزكاة وهي ضريبة اقتصادية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ممارسة سياسية ( أحمد شوقي الفنجري ، ص ٦١ ) .  
ويقسم أبو حامد الغزالي علوم الحياة إلى قسمين :

١ — علوم غير متصلة بالدين كالطب والحساب وغيرهما .

٢ — علوم متصلة بالدين ومنها علوم الفقه والتوحيد وعلم السياسة وعلم الاجتماع ، وهكذا يعتبر فقهاء الإسلام أن السياسة فرع من علوم الدين ( المرجع نفسه ، ص ٦٢ ) .

### ابن تيمية والسياسة :

يقول عبد الرحمن عبد الخالق : ( كل من يدرس بإمعان سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية سيجد أنه كان قائد جماعة تلتزم بأمره ، الذي يوجهه إليها كأمر وليس موعظة ، وكانت جماعته عاملة قائمة للدعوة والجهاد في سبيل الله ، متألفة ومتعاونة ينصر بعضها بعضاً ويوالي بعضها بعضاً ، وكان رحمه الله إمام أمة يطبق الحدود الشرعية فيما يستطيعه ، ويغير المنكر باليد واللسان ويث أنصاره ودعاته في كل مكان ) .  
مشروعية العمل الجماعي ، ص ٩ ) .

كما ركز ابن تيمية رحمه الله على الإصلاح السياسي من خلال أمور ثلاثة :  
الأول : بناء تصور سليم للحكم الإسلامي .  
الثاني : إقامة حكومة قوية .

الثالث : بعث روح الجهاد والمقاومة لمواجهة الأخطار الخارجية .

ويتضمن كتابا السياسة الشرعية ، والحسبة في الإسلام الجانب الأول ، أما الجانب الثاني فقد حاول إقناع أمراء المماليك بأفكاره حول الحكومة القوية ، وكان بعض الأمراء من تلامذته مثل كاتوغا المنصوري ، وكان في الصف الأول من المعركة عندما لاح خطر المغول ، وشارك في الحملة ضد الباطنيين في جبل كسروان (١٤) .

وقال تعالى : { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر } ( آل عمران : ١٠٤ ) ، واللام في { ولتكن } للأمر ، والأمر للوجوب وقال العلماء المقصود أن تكون

---

(١٣) العجلوني ، كشف الخفاء ، ( ٧٥/٢ ) رواه الديلمي عن أبي هريرة ، وأسنده من طريق أبي نعيم . . وأخرج الطبراني في المعجم الكبير ( ٢٠٩/٣ ) عن ابن عمر قوله ﷺ ( أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله عزوجل سرور يدخله على مسلم أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه ديناً أو يطرد عنه جوعاً ، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد ( يعني مسجده ﷺ ) شهراً ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزلو الأقدام ، قال الألباني ( وهذا إسناد ضعيف جداً ، لكن قد جاء بإسناد خير من هذا ، فرواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج ( ص ٨٠ ، ورقم ٣٦ ) ، وابن عساكر ( ١/٤٤٠/١١ ) من طرق عن بكر بن حنيس عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبي ﷺ ، وإسناده حسن ، السلسلة الصحيحة للألباني ( ٦٠٨/٢ ) رقم ( ٩٠٦ ) .

(١٤) ماجد عرسان الكيلاني ، هكذا ظهر جيل صلاح الدين ، ص ٥٤ بتصرف .

فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه (تفسير ابن كثير) { ولتكن منكم أمة } أي ليكن بعضكم دعاة إلى الخير (الإسلام)، ويقول بعض العلماء أيضاً { ولتكن منكم أمة } أي ولتكونوا أمة داعية إلى الخير، أي كلكم وليس بعضكم، فالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من واجبات كل فرد مسلم .

ويقول سيد قطب ( في الظلال (١/٤٤٤) ) : وإذا أمكن أن يقوم بالدعوة إلى ( الخير ) غير ذي سلطان، فإن ( الأمر والنهي ) لا يقوم بهما إلا ذو سلطان... إنه لا بد من سلطة تقوم على الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، سلطة تتجمع وحداتها وترتبط بحبل الله وحبل الأخوة في الله ؛ لتحقيق منهج الله في حياة البشر ... ومن ثم فلا بد من جماعة لتقوم على هذا الأمر العسير الشاق بقوة الإيمان والتقوى، وقيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته، كما قامت الجماعة المسلمة الأولى في المدينة، وعلى مثل ذلك الإيمان والأخوة يقوم منهج الله في الأرض في كل زمان .

### العمل الجماعي هو العمل السياسي

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال خطبنا عمر بالجابية فقال : يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، قال : [ أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفتشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كانا لثما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد مجبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرتة حسنته وساءتة سيئته ؛ فذلكم المؤمن ]<sup>(١٥)</sup> . فالجماعة هم الملتقون في الله، المؤتلفون على دينه مهما كان عدد الجماعة ضئيلاً، وأشد ماتكون الحاجة إلى الجماعة عندما يعم الفساد ويطغى الباطل، وعلى هذا فالعمل في جماعة لإعادة حكم الله في الأرض فرض لازم في عنق كل مسلم، لأن معظم تكاليف هذا الدين جماعية، ولا يستطيع المسلم أن يمارس دينه كما يريد الله إلا في مجتمع مسلم . وكذلك ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وإعادة الخلافة إلى الأرض فرض، والعمل من أجل قيامها فرض أيضاً .

ويقول تعالى : { والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير } ( الأنفال : ٧٣ ) . أي إن لم يتول المؤمنون بعضهم بعضاً كما يتكاتف الكفار جميعاً عليهم وينصر بعضهم بعضاً ضد المؤمنين فإن فتنة الشرك تعم الأرض بانتصار الباطل (صادق أمين، ٣٠)، وكل أمر لا يتم إلا بالاجتماع عليه فالجماعة له واجبة، كما هو مقرر في أصول الفقه، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فالجماعة فرض للقتال، وصلاة الجماعة والجمعة والعيدين، ولا تقوم الدعوة إلى الإسلام إلا بجماعة، ليكون الدين كله لله .

ولا يجوز للمسلمين أن يبيتوا ليلة بغير إمام يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإلا كانوا آثمين ( مشروعية العمل الجماعي، ٩ )، وقد أجل صحابة رسول الله ﷺ وفيهم العشرة المبشرون بالجنة

(١٥) الترمذي، وقال حسن صحيح غريب (١٠/٩) وفي جامع الأصول (٦/٦٦٩)، قال الأرناؤوط : ورواه أحمد في المسند رقم (١٢٧، ١١٤)، والحاكم في الإيمان من طرق صحيحة، فالحديث صحيح .

،أجلوا دفن رسول الله ﷺ حتى بايعوا أبا بكر الصديق ﷺ، ولم يبيتوا بدون خليفة . فالسياسة من الإسلام، ولا يقول خلاف ذلك إلا أحد ثلاثة :

- ١ — مسلم يترك السياسة لأنها على حد زعمه تلهي عن الله وعن الدار الآخرة .
- ٢ — مسلم يترك السياسة سياسة ، لأن الدولة الإسلامية في نظره ستقوم نتيجة إيصال الإسلام إلى كل إنسان ، وتريبته عليه ( سعيد حوى ، جند الله ٣٩٥ ) .
- ٣ — مسلم رأى بطش أعداء الله بالمسلمين ، أو ناله بعض ذلك ، وتحمل ما لا يخطر في ذهن من ألوان العذاب والخوف والألم ، ثم رأى أن أعداء المسلمين لا يلحقون أذاهم وتعذيبهم بمن يتعد عن السياسة من المسلمين لذلك آثر السلامة العاجلة ، متعللاً بضعفه أمام الطغاة .
- ٤ — ومن الدعايات المغلوطة أن العمل السياسي والتنظيم بدعة ، وهذا إدعاء ينكره الشيخ عثمان عبد السلام نوح في كتابه الطريق إلى الجماعة الأم إذ يقول : ( والذي أعرفه أن السلفيين لا ينكرون النظام ، بل لهم مسئولون لتنظيم الدعوة والدروس وغيرها ) ( ص ١٧٨ ) . ويقول : ( فعلاً إن الجهاد الصحيح لا يقوم إلا بإمارة ونظام وأنه واجب علينا الأخذ بالأسباب وإعداد القوة حسب الاستطاعة ) ( ص ١٨١ ) .

#### مناقشة :

أما القول الأول فيدل على أن صاحبه يفهم السياسة كما يراها في حياته المعاصرة، وعندئذ لا يلام على ابتعاده عن السياسة، لأنها في نظره كذب وخداع ونفاق ... الخ، لكن طلاب العلم لا يعذرون، وينبغي أن يميزوا بين الإسلام والجاهلية، في كل شيء، وخاصة في السياسة .  
وأما القول الثاني، فهو وجهة نظر، وأصحابها مجتهدون ؛ يثابون مرة واحدة لأنهم أخطئوا الاجتهاد، إذ لا يكفي أن نربي الأفراد على الإسلام، بل لابد من ربط هؤلاء الأفراد مع بعضهم لإقامة المجتمع المسلم، وهذا الربط هو ( السياسة )، ويتضح خطأ القول الثاني في أيامنا هذه، حيث كثر الأفراد المسلمون حتى صاروا أغلبية في بعض المجتمعات، ومع ذلك يعيشون في مجتمعات تنتشر فيها المحرمات، ويجاهر بالفواحش ؛ كالربا والزنا والخمور، وبكلمة موجزة تجرد الأقلية غير المسلمة ( المنظمة ) تحكم الأكترية المسلمة ( المتشرذمة ) بغير ما أنزل الله .

وأما الفريق الثالث فنسأل الله عزوجل أن يجنبنا والمسلمين كافة الفتن، وأن يشملنا برحمته ولا يبتلينا كما ابتلى هؤلاء الأخوة، وأن يحفظ تفكيرنا بعيداً عن انفعالاتنا، وأن يجعل عقولنا مع كتابه وسنة رسوله، وأن يثبتنا والمسلمين كافة على دينه، وأن يحمينا على الإسلام ويميتنا عليه إنه سميع مجيب .

#### هل العمل السياسي فرض كفاية ؟

يفهم بعض المسلمين أن العمل السياسي ( الجماعي ) فرض كفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط عن الباقي، وهذا صحيح ... لكن فات هؤلاء أن فرض الكفاية يسقط عن الباقي إذا قام به البعض ( أي استطاعوا القيام به ) فصلاة الجنازة مثلاً يستطيع عشرات المسلمين أن يكفون الميت ويدفوناه ( أي



يقومون بما يجب على المسلمين نحوه) ، لذلك يسقط هذا الفرض الكفائي عن الباقيين ؛ لأن عشرات المسلمين استطاعوا إتمامه على الوجه الأكمل . أما العمل السياسي ( حالياً على الأقل ) فإنه معدوم أو شبه معدوم، وبما أن الهدف من العمل السياسي كبير جداً ( وهو إقامة الخلافة المسلمة ) لذلك لن يسقط هذا الفرض عن أحد من المسلمين ، يقول الشيخ سعيد حوى يرحمه الله: ( فما دام حكم الإسلام غير قائم الآن ؛ فالعمل السياسي فرض عين على كل مسلم ، وإذا كانت الفوضى لا تقيم حكماً ، فالنظام فريضة ، وكل ما يحتاجه المسلمون لإقامة الحكم الإسلامي فهو فريضة ، وهذا كله يطلق عليه اسم العمل السياسي ( سعيد حوى ، جند الله ، ص ٣٩٧ ) .

ويرى الدكتور أحمد شوقي الفننجري أن العمل السياسي فرض على كل مسلم ، وقد فهم ذلك من قوله تعالى : { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون } ( آل عمران : ١٠٤ ) ... والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من الممارسة السياسية ، وهي فريضة على كل مسلم ؛ لا يمكنه التهرب منها بالسلبية والانطواء والعزلة ، وعلى كل مسلم أن يهتم بشئون المسلمين العامة وقضاياهم السياسية ، وعليه أن يدرس مشكلاتهم على اختلاف أسبابها وأنوعها ... وكل من يحاول العزلة عن مشكلات المسلمين ومآسيهم ومطالبهم مدعياً أنه يريد التفرغ للعبادة وحدها وللدين وحده ، فهذا هو المكذب بالدين ، وهذا هو التدين الكاذب الذي يرفضه الإسلام ، ويقول سيد قطب رحمه الله في ظلال الآية : { أرايت الذي يكذب بالدين } ، ( إن هذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ، ولا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر ، ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد ، مؤدية بهذا الإخلاص إلى آثار في القلب تدفع إلى العمل الصالح ، وتمثل في سلوك تصلح به حياة الناس في هذه الأرض وترقى . كذلك ليس هذا الدين أجزاء متفرقة موزعة منفصلة ، يؤدي منها الإنسان ما يشاء ويدع منها ما يشاء ، إنما هو منهج متكامل ، تتعاون عباداته وشعائره ، وتكاليفه الفردية والاجتماعية ، حيث تنتهي كلها إلى غاية تعود على البشر .

ويقول الأستاذ الإمام : ( فأولئك الذين يصلون ، ولا يأتون من الأعمال إلا ما يرى الناس مما لا يكلفهم بذل شيء من ما لهم ، ولا يخشون منه ضرراً يلحق أبدانهم ، أو نقصاً يلم بجاههم ، ... فخاصة المصدق بالدين التي تميزه عن سواه من المكذبين ؛ العدل والرحمة وبذل المعروف للناس ، وخاصة المكذب التي يمتاز بها عن المصدقين هي احتقار حقوق الضعفاء ، وقلة الاهتمام بمن تلدغهم آلام الحاجة ، وحب الأثرة بالمال ، والتعزز بالقوة ( تفسير المراغي ، ٢٥٠/٣٠ ) ، ط ١٩٦٤ م ) .

ويقول الرازي: ( قال المحققون في الملاءمة بين قوله { يراءون } وقوله { ويمنعون الماعون } كأنه تعالى يقول : الصلاة لي والماعون للخلق ، فما يجب جعله لي يعرضونه على الخلق ، وما هو للخلق يسترونه عنهم ، فكأنه لا يعامل الخلق والرب إلا على العكس ( التفسير الكبير للرازي ، ١١٦ / ١٦ ) ) .

ويقول رسول الله ﷺ: [ المؤمن الذي يخاطب الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخاطب الناس ولا يصبر على أذاهم ] <sup>(١٦)</sup> . ويقول ﷺ: [ الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ] <sup>(١٧)</sup> ، أي أن عماد الدين وقوامه النصيحة ، ونصح أئمة المسلمين بطاعتهم وإعانتهم على الحق ، ونذكرهم به ، وننبههم في رفق وحكمة ولطف ، فإنه لا خير في أمة لا تنصح لحاكمها ، ولا تقول للظالم أنت ظالم ، ولا خير في حاكم يكفأفواه الناصحين ، وأما النصيحة لعامة المسلمين فتكون يرشادهم لمصالحهم في أمر آخرتهم ودنياهم ( مصطفى البغا ، ومحى الدين مستو ، ص ٣٧ ) .

### لماذا أهمل المسلمون السياسة ؟

يهتم الشيعة بالسياسة أكثر من أهل السنة والجماعة ، وللعمل الجماعي ؛ والتكافل الاجتماعي دور كبير عندهم ، أكبر منه عند السنة فما سر ذلك ؟ ترى الشيعة أن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم المطلق للكون ، وأنه قد ألزم عباده بأوامر ونواهي لخيرهم في الدنيا والآخرة ، ولذلك عين لهم إماماً ليجمع الأوامر والنواهي نافذة التطبيق ( قمر الدين خان ، ص ٥٣ ) .

يقول فقيه الشيعة الحلي : ( . ثم أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة ، فنصب أولياء معصومين منصوبين ليأمن الناس من غلظهم وسهوهم وخطئهم ، فينقادون إلى أوامرهم لئلا يخلي الله العالم من لطفه ورحمته ) ( قمر الدين خان ، ص ٧٠ ) . وترى الشيعة أن الله أمر النبي ﷺ بتعيين علي بن أبي طالب كأول إمام للأمة من بعده ، وأن علياً رضي الله عنه قد حدد خلفاءه حتى الإمام الثاني عشر ، وهذا هو الإمام المنتظر . وخلاصة ذلك كله أن الإمامة ( العمل الجماعي ) عند الشيعة من أصول الدين ، لأنها واجبة بالنص والتعيين من الله ورسوله ، وهكذا فطاعة الشيعي للإمام هي طاعة ( أولي الأمر ) التي أمر الله بها كما يفسر الشيعة الآية : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } ( النساء : ٩٥ ) ، قالوا أولوا الأمر هم الأئمة المعصومون الإثني عشر ( تفسير القرطبي ) .

أما أهل السنة والجماعة فيرى بعضهم أن الإمامة ليست من أصول الدين ، وليست واجبة بالنص ، ولم ينص عليها في القرآن الكريم ، ولا في الحديث الشريف ، وإنما هي واجبة بالإجماع المعتمد على العقل . وجاء ابن تيمية رحمه الله ليؤكد وجوب الإمامة فقال : ( إن ولاية أمر الناس من أعظم الواجبات في الدين ، بل لا قيام للدين إلا بها ) ( قمر الدين خان ، ص ٥٤ ) .

وخلال العهد الأموي والعباسي عندما شاع علم الكلام قدمت أفكار تقلل من أهمية الإمامة منها :

(١٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (٣٨٨) ، ورواه أحمد (٣٦٥/٥) ، وقال الألباني : السند صحيح كلهم من ثقات رجال

الشيخين ( السلسلة الصحيحة (٢/٦٥٢) رقم (٩٣٩) .

(١٧) مسلم ، كتاب الإيمان ، باب رقم (٥٥) .

يقول المعتزلة : الإمامة واجبة بالعقل وليس بالشرع ولا تقوم إلا بإجماع الأمة ،ومن الواضح أن قولهم هذا موجه ضد الشيعة . كما تصور بعض المعتزلة إمكانية قيام المجتمع واستمراريته بدون الإمامة إذ يقول الأصم : ( إنه إذا تكافى الناس من التظالم لاستغنوا عن الإمام ) وماعدا الروافض ؛ تجمع المدارس الفقهية والدينية على أن من الجائز أن لا تقوم الإمامة على الأرض . أما الخوارج فقد رأوا أنه إذا أمكن تطبيق الشرع في المجتمع بدون أية سلطة دنيوية عليا ،فإن المجتمع لا يعد محتاجاً إلى إمام لتطبيق الشرع . ويرد النووي ( كتاب الإمامة ) على ذلك فيقول ( وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة ووجوبه بالشرع لا بالعقل وأما ما حكى عن الأصم أنه قال لا يجب وعن غيره أنه قال يجب بالعقل لا بالشرع فباطلان ( جميع النقول السابقة من قمر الدين خان ،ص ٥٠-٥٤ )

### الملك العاض

ومما ساهم في إبعاد المسلمين عن السياسة الملك العاض الذي ابتليت به الأمة المسلمة ،حيث افترق السلطان عن القرآن ،فانصرف العلماء إلى الفقه ،وحصروه في فقه الشعائر التبعدية فقط ،ثم المعاملات ،ولم يتطرقوا إلى فقه السياسة إلا في حالات نادرة جداً ،فقد أخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله ﷺ قال : [ لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة ،فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها ،فأولها نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة ]<sup>(١٨)</sup> . فقد نقض الحكم العاض مبدأ الحكم الإسلامي ،عندما حادوا عن الشورى ،وسكت العلماء اجتهاداً منهم ،لأن في سكوتهم كما رأوا ضرراً أقل من عدم سكوتهم ،وتبين الآن أن سكوتهم ذاك ألحق أضراراً بالغة بالمسلمين ،وأن كلامهم في السياسة يومذاك أقل ضرراً من سكوتهم .

وساد الفكر الإرجائي ،والفكر الطرقي ( الصوفي المتطرف ) وهو انسحاب من الحياة الاجتماعية ومازال هذا الانعزال مستمراً لدى كثير من المسلمين حتى يومنا هذا .

### الملك الجبري ( الديكتاتوريات ):

ثم انتهى الملك العاض ،ودخل العالم الإسلامي في الملك الجبري ،فسادت الانقلابات العسكرية في معظم أقطار العالم الإسلامي ،وتسلط العساكر على الشعوب المسلمة ،وخنقوا الحريات وكموا الأفواه ،وحكموا شعوبهم بالدبابة والمدفع وراجمات الصواريخ وقاذفات اللهب ،وهدموا المساجد أحياناً ،واضطهد العلماء المسلمون ،حتى أن ( زياد بري ) أحرق عدداً من العلماء المسلمين في الساحة العامة ،وكذلك فعل الحكام الشيوعيون في كابل ،وغيرها من المدن الأفغانية .. وقضت هذه الديكتاتوريات على كل من له أدنى اهتمام في السياسة والحياة الاجتماعية ،فشجعت العلماء على عزلتهم ودفعت سائر المسلمين إلى البعد عن السياسة ،والبعد عن الحياة الاجتماعية .

### المكافيللية :

(١٨) أحمد (٢٥١/٥) وقال الألباني : رواه الحاكم وصححه ،وإسناد أحمد صحيح (صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٩/١) رقم . (٥٧١) .

ومما أبعد المسلمين عن السياسة مفهوم المكيفلية، الذي جعل السياسة كذباً وخداعاً ومراوغة، وجعل الغاية تبرر الوسيلة، حتى صارت كلمة (سياسي) تعني ماكر ومخادع، فساعد ذلك على ابتعاد العلماء المسلمين عن السياسة، ووازي ذلك مفهوم فصل الدين عن الدولة تقليداً للغرب .

ثم عمت الصحوة الإسلامية معظم أرجاء العالم الإسلامي، واجتازت هذه الصحوة مرحلة الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، وهي الآن بصدد تكوين المجتمع المسلم، وهنا وجدت الصحوة نفسها بحاجة ماسة إلى قيادة الجماهير المسلمة لأنها الطريق الوحيد نحو إعادة الخلافة . عن النعمان بن بشير عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : [ تكون النبوة ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم يكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه . ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت ]<sup>(١٩)</sup> . وذلك الطور هو الملك العاض الذي انتهى عام (١٩٢٤) عند سقوط الخلافة العثمانية، وبدأ الملك الجبري الذي تعايشه أمتنا الآن في صورة الانقلابات العسكرية، ولا ندري متى يرفعه الله ؟ لتسعد البشرية قاطبة بالطور الجديد، ذلك الطور هو الخلافة على منهاج النبوة . الذي تصبو إليه الأمة الإسلامية والبشرية كافة، لأنه وحده الذي يملك حل مشكلاتها .

-----

---

(١٩) أحمد (٢٧٣/٤)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : (١٨٩/٥) رواه أحمد والبخاري وأبو داود، والطبراني في المعجم، ورجاله ثقات ( السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٥) (٨/١) .

## الفصل الثاني الإسلام والمكيافيلية

تمهيد :

لماذا ابتعد العلماء المسلمون عن السياسة ؟ وترفعوا عن الخوض فيها ؟ وتركوها للعلمانيين الذين فصلوا الإسلام عن السياسة ، كل هذه الأسئلة تجد أجوبتها عندما نعرف أن السياسة المعاصرة في العالم كله ، ومنذ قرنين أو أكثر هي السياسة المكيافيلية ، لذلك يرى الباحث ضرورة إلقاء مزيد من الضوء على المكيافيلية ، وهي صورة معكوسة للسياسة الإسلامية ، وبذلك يتضح منهج السياسة الإسلامية ، لأنه ( وبضدها تتميز الأشياء ) .

### ميكافللي

ولد نيقولا ميكافللي في فلورنسة ( إيطاليا ) عام ( ١٤٦٩م ) ، من أسرة توسكانية عريقة ، وكان والده حمامياً بارزاً ، ومن الداعين إلى النظام الجمهوري في ظل حكم استبدادي ، وشب ميكافللي في عهد الأمير المديشي ( لورنزو العظيم ) الذي انتهى حكمه بفوضى سياسية ، ثم انتخب نيقولا ميكافللي سكرتيراً للمستشارية الثانية لجمهورية فلورنسة ، واستمر ثلاثة عشر عاماً في الحكم ، فزحف الجيش الفرنسي من جديد إلى فلورنسة ، وعادت أسرة مديشي ، ونفي ميكافللي من مدينته . فعاش بعيداً عن فلورنسة ، معتمداً على دخل متواضع من ممتلكات صغيرة . وهناك في الريف قرأ التاريخ حتى تمكن من تأليف كتاب الأمير ، الذي أهده إلى أحد أفراد أسرة مديشي آملاً في إعادته إلى منصبه . ووزع كتاب الأمير على شكل مخطوطات ، وطبع بعد خمس سنوات من وفاة ميكافللي عام ( ١٥٣٢م ) . وبعد عشرين عاماً طبع للمرة العشرين ، وفي عام ( ١٥٥٩م ) وضعت روما كتاب الأمير على قائمة الكتب الممنوعة ، وقررت محاكم التفتيش إحراق جميع كتب ميكافللي ، وصارت كلمة ميكافللي مرادفة لكلمة مخادع في الأعمال الأدبية والمسرحية . وبقي كتاب ( الأمير ) مغايراً للتيارات الجهورية للفكر السياسي الحديث مدة ثلاثة قرون ، وقد بدأ ميكافللي يتسلل إلى الفكر السياسي في أواخر القرن الثامن عشر ، ثم سيطر على الفكر السياسي في القرنين التاسع عشر والعشرين ( فاروق سعد ص ٢٠ — ٢٧ بتصرف ) .

### عرض موجز لكتاب الأمير

قدم ميكافللي لكتابه برسالة إهداء منه إلى ( لورنزو العظيم ) نجل بيار دي ميشي ، يرجوه أن يقبل هذه الهدية المتواضعة التي لا يملك غيرها .

ثم يعرض فصول الكتاب الستة والعشرين وتدور حول أنواع الحكومات وطرق الاحتفاظ بالحكم ، وتقديم النصائح للحاكم المحتل ليتمكن من استمرار الاحتلال وتثبيت حكمه ، وقدم من خلال هذه الفصول أخلاق الأمير المثالي في نظره ، وصفاته التي تعينه على البقاء في الحكم ، وسيقدم الباحث موجزاً ومقتطفات من هذه الفصول :

يدور كتاب الأمير كله حول الطرق الكفيلة بتثبيت الحاكم واستمرار حكمه، دون أي اعتبار آخر، وكل وسيلة جائزة لأن الغاية منها هي بقاء الحاكم والمحافظة على كرسي الحكم .

في الفصل الثالث يقول عن الدولة المضمومة حديثاً إلى المملكة ( ...ومن الواجب في سبيل الإحتفاظ بها .... القضاء نهائياً على الأسورة التي كانت تحكم في الماضي )، (وعلى الحاكم أن يقيم بينهم، ويقيم فيها مستعمرات تقيم فيها جاليات في مكان أو مكانين استراتيجيين، ولن يكلفه ذلك سوى أخذ بيوت قلة من المواطنين الذين يضحون مشردين وفقراء لا يتمكنون من إلحاق الأذى بالأمير، بينما يهدأ الآخرون حتى لا يصبهم مأصااب إخوانهم، وإذا أساء الأمير إلى الإنسان يجب أن تكون إساءة كبيرة جداً بحيث لا يتمكن المساء إليه من الإنتقام ) . (وعلى حاكم المقاطعة المحتلة أن يضعف جيرانه الأقوياء، وأن يقضي على الأقوياء في إمارته الجديدة، وهكذا فعل الرومان ) ( وهم أمراء حكماء يهتمون بمستقبل دولهم وليس حاضرها فقط ) ( ٥٨ ) .

ويقول في الفصل الثاني عن حكم المدن أو الممالك التي كانت حرة :  
لا تدعن المدينة الحرة إلا لأبنائها ( حكام عملاء )، وهذا هو السبيل للاحتفاظ بها، وكل من يسيطر على مدينة حرة ولا يقوم بتهديمها، يتعرض هو للدمار منها ... وعليه أن يمزقهم شر ممزق، ويفرقهم في كل صقيع ( ص ٧٦ ) .

ويقول في الفصل الثامن : ( ... على المحتل أن يرتكب فظائحه فوراً ولمرة واحدة، وأن لا يعود إليها من يوم لآخر، ليكسب ولاء شعبه، حيث يعطيهم المنافع قطرة قطرة، حتى يشعر الشعب مذاقها ويلتذ بها ) ( ص ٩٦ ) .

وفي الفصل الثاني عشر يقول : ( توجد القوانين حيث تتوفر الأسلحة القوية ) ( ص ١١٧ )، وفي الفصل (١٤) : (وعلى الأمير أن لا يكثرث بوقوع التشهير بالنسبة لبعض المثالب، إذا رأى أن لاسبيل له للاحتفاظ بالدولة بدونها، فبعض الفضائل تدمر الإنسان، وبعض الرذائل تؤدي إلى السعادة ) ( ص ١٣١ )، وهذا هو صريح مذهبه ( الغاية تبرر الوسطة ) أي تصبح الرذيلة فضيلة لأنها تؤدي إلى السعادة . وفي الفصل ( ١٨ ) يقول تحت عنوان العهود والمحافظة عليها : ( الأمراء العظام لم يهتموا بالوفاء بوعودهم، وتمكنوا بالمكر والدهاء من الضحك على عقول الناس وإرباكها، وتغلبوا على أقرانهم الذين جعلوا الإخلاص والوفاء رائدهم، والإنسان يلجأ إلى القانون بينما يلجأ الحيوان إلى القوة، وعلى الأمير أن يلجأ إليهما معاً ؛ ويقلد الأسد والثعلب بأن واحد، والحاكم الذكي لا يحافظ على وعوده عندما يراها ضارة بمصالحه ) ( ص ١٤٧ ) .

ويبدو أن الفصل الثامن عشر يكون صلب نظريته السياسية إذ يتابع فيه فيقول : ( والبابا اليكساندر السادس لم يقيم بأي عمل سوى خداع الآخرين، وتقديم الوعود داعماً إياها بالإيمان المغلظة، ثم لا يتمسك بها، وإذا أراد الأمير الجديد المحافظة على دولته فإنه يضطر إلى مخالفة العهود، وأن يعمل خلاف الرأفة والإنسانية والدين، وأن لا يفضح نفسه بأقواله، وعليه أن يجعل الناس يرون فيه الرحمة مجسدة والوفاء للعهود والنبيل والإنسانية والتدين، وفي أعمال جميع الناس، ولاسيما الأمراء ؛ تبرر الغاية الوسيلة ) ( ص ١٥١ ) .

هذه معظم القضايا الخطيرة في كتاب الأمير بالإضافة إلى قضايا أخرى تبدو أنها خطيرة، ويقول سعيدحوى عنه : ( ينصح الأمير بما يثبت له إمارته ،حتى لو كان محتلاً غزياً ،والفضيلة عند مكيافللي هي الاحتفاظ بالإمرة ،والرذيلة عكس ذلك ،وكل الوسائل المؤدية إلى حفظ الإمرة مبررة ،وهذا لا يصح في الإسلام . (فصول في الإمرة والأمير ،ص ١٦٨) .

ويقول فاروق سعد ( مترجم الكتاب ) : ( إذا درس القارئ هذا الكتاب (الأمير) وأمعن النظر فيما حوله من أحداث ووقائع واتجاهات وتيارات ،رأى أن الكثير منها توجهها نظريات مكيافللي وآراؤه . وتتحكم فيها قواعده وأفكاره ،مما يشير إشارة واضحة إلى أن هذا الكتاب رغم مرور نحو من خمسمائة عام عليه مازال الموجه الملهم لكثير من رجال السياسة ومنفذيها في مختلف بلدان العالم ) . ويقول كريستان غاوس عميد جامعة برنستون الأسبق : ( اختار موسوليني كتاب الأمير أطروحة للدكتوراة ،وكان هتلر يضعه في سريره ليقرأ به قبل النوم ،وتتلمذ لينين وستالين على هذا الكتاب أيضاً،ومند خمسين عام بدأنا نطلق على مكيافللي اسم مؤسس علم السياسة الحديث ) (ص ١٨) . ويقول موسوليني : ( الذي حصل على الدكتوراة في كتاب الأمير ) : إن مكيافللي يحتقر البشر،فالبشر عنده خبثاء ،يتمسكون بمصالحهم المادية أكثر من تمسكهم بحياتهم الخاصة ) ( ص ٧ ) .

### السياسة المعاصرة مكيافللية

يقول فاروق سعد : ( إذا كان لأرسطو الفضل في منهجة المعرفة واعتماد المنهج الاستقرائي في التفكير السياسي ،وإذا كان ابن خلدون قد ربط الفكر السياسي بعلم الاجتماع ،فقد حقق مكيافللي انفصال التفكير السياسي عن الأخلاق ،واكتشف اتساق السياسة في قوانين ثابتة لا تتغير معتمداً في ذلك المنهج الموضوعي ) فالسياسة عند فلاسفة اليونان وأرسطو خاصة هي كل ما من شأنه أن يحقق الحياة الخيرة في المجتمع ،وهذا التحديد يعتبر السياسة فرعاً من الأخلاق (محمد علي محمد ،ص ٧) .

وهذا هو سر محاربة أوربا لكتاب الأمير مدة قرنين تقريباً ،ثم فشا بين المثقفين في القرن الثامن عشر ،بعد أن سيطر الفكر الوضعي على أوربا . وتحررت من الدين والأخلاق والقيم الإنسانية الخيرة . وبشكل عام تحاول أوربا منذ عدة قرون ،بعد أن سيطرت عليها الفلسفة الوضعية المادية ؛ تحاول أن تسجن الدين والأخلاق في دور العبادة ،مثل الكنيسة عندهم والمسجد عندنا ،وتحاول أن تصبغ الحياة البشرية كلها بالصبغة الوضعية بعيداً عن الدين والأخلاق . وهذه هي السياسة المعاصرة التي نهجت منهج المكيافللية ،ففي الفيزياء لانقول عن تمدد المادة بالحرارة إنه خير أو شر ،بل هو منفصل عن الأخلاق ،وكذلك عند مكيافللي وأتباعه ؛ لا نقول عن أية وسيلة يتخذها الحاكم للمحافظة على حكمه ،وتقوية دولته ومد نفوذها ،لا نقول عن تلك الوسيلة أنها خيرة أو شريرة أو حلال أو حرام ،لأنها قضية (علمية) منفصلة عن الأخلاق ،ومنفصلة عن الدين على حد زعمهم .

وعلى سبيل المثال زرع دويلة إسرائيل في قلب العالم الإسلامي قضية سياسية هدفها إقامة دولة يهودية ،تمد نفوذ الصهيونية والصليبية وتقوي شوكتهم ،وتشرد ملايين العرب المسلمين من ديارهم ،وتزعم إقامة مملكة سليمان التي ستشرد المسلمين العرب وتحكم العالم كله ،وتحكم (الأميين) كلهم

.. ومع ذلك نقول هذه قضية سياسية ( علمية ) ليست خيراً ولا شراً ، ولا حلالاً ولا حراماً ، لأنها منفصلة عن الدين كما يدعون إنها قضية (علمية) مثل تمدد المادة بالحرارة ؟

وعندما يريد طاغية ما أن يخذ ثورة الشعب ضد طغيانه ، ويثبت حكمه ودولته ؛ فيقدم على قتل عشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ ، وتدمير بيوتهم فوق رؤوسهم بالمدفعية والطائرات وراجمات الصواريخ ... كل هذه الأعمال قضية سياسية ( علمية ) قام بها الحاكم لتثبيت دولته وحكمه ومد نفوذها ، وهي منفصلة عن الدين والأخلاق ؟ ومن ثم ما قام به هتلر من تخريب للبشرية وحرق لملايين البشر ( إن صح ذلك ) وما فعله ستالين من ذبح رفاقه ، والملايين من الشعب وخاصة من المسلمين ليس شراً ولا خيراً لأنه يريد تثبيت حكمه ودولته ؟

يريد الباحث من الإسهاب في هذه الأمثلة الوصول إلى أن فصل السياسة عن الدين والأخلاق انحراف كبير وقعت فيه البشرية تحت تأثيرالفكر المادي ؛ ورد فعل لاضطهاد الكنيسة للعلماء ورجال الفكر ، والسياسة شأنها في ذلك شأن العلوم الإنسانية كلها ، يمكن استنباط أصولها من الكتاب والسنة ، وما يسمى حالياً بعلم الاجتماع أو علم النفس أو الاقتصاد ؛ ليست علوماً ، ويدل على صحة قولي الدمار الذي تمشي إليه البشرية في ظل هذه العلوم الحالية .

يقول الدكتور عبد الغفار عزيز : ( الدين والسياسة توأمان لا ينفصلان عن بعضهما ، ليس في الإسلام فقط ، وإنما في كل الأديان والرسالات السماوية ، لذلك فان السياسة علم أخلاقي تتحد غاياته في تحقيق العدالة في المجتمع ، والله تعالى ما أرسل الرسل إلا لتعليم الناس الأخلاق وتحقيق العدالة بينهم ) (الدين والسياسة ، ٥٠) ، وعندما ربط أرسطو السياسة بالأخلاق كان تفكيره سليماً ، وبعيداً عن التأثير بالعوامل التي اصطنعت هذا الفصل فيما بعد ) . ويقول الدكتور جعفر شيخ ادريس : (كثيراً ما نرى الإنسان المسلم صادقاً في حياته الخاصة ، لا يكذب ولا يسرق ولا يخون ، لكنه ما إن يبدأ التعامل مع السياسة حتى تجرد نفسه إزاء إنسان آخر ، حيث لا يجد حرجاً في الكذب والمراوغة ، معتقداً أن للسياسة معايير تختلف عن المعايير الشرعية ، وهذا خطأ لأنه نمط غربي في التفكير لانزال متأثرين به للأسف ) (صحيفة المسلمون ، العدد ٣١٢) . ويقول الدكتور عبد الله النفيسي : ( ثمة تداخل كبير بين ماهو ديني وسياسي ... ولم يقل أحد للصحابة تلك سياسة ولا شأن لكم بها ، إنما مضوا في طريقهم ؛ حتى بنوا حضارة إسلامية مازالت آثارها قائمة ... ومن هنا نقول إن اعتقال الإسلام في المسجد مسألة بحاجة إلى نظر ومراجعة لأنها تعيق حركة الإسلام الشاملة ، وأن روعة الإسلام وعظمته وشموليته وواقعيته لا يمكن أن تبرز إلا من خلال الحركة اليومية في المدرسة والمصنع والوزارة والجامعة والشارع والجريدة والتلفاز والإذاعة ( مجلة المجتمع ، العدد ٨٢٣ ) .

### السياسة المعاصرة سياسة مصالح

المصلحة كما يفهمها المعاصرون هي الخير الشخصي العاجل ، وقد تتوسع هذه المصلحة الشخصية حتى تشمل حزباً أو طائفة أو طبقة معينة... وهذا الخير نسبي بلا ريب ، وقد يكون شراً لغيرهم ، فالحاكم الذي يدمر عشرات الألوف من شعبه ، من أجل تثبيت حكمه يحقق مصلحة له ولأزلامه ؛ وفي أحسن الأحوال لطائفة محدودة جداً من أتباعه . والمصلحة متغيرة فقد تكون مصلحتي اليوم مع (أ) ومصلحتي غداً مع (ب) لذلك يرر أهل زماننا للسياسيين تقلباتهم من اليمين إلى اليسار ويقولون ( يلعب على الحبال كلها )



فهذه أمريكا كانت حليفة لروسيا ضد هتلر لأن مصلحتها تقتضي ذلك، ثم صارت أمريكا عدوة لروسيا عندما تنافرت مصالحهما على مناطق النفوذ في العالم، ثم تتفقان معاً ضد المسلمين فتمد كل منهما إسرائيل لأن تدمير المسلمين مصلحة مشتركة لهما .

كما تقف دولة ( ما ) حليفة لدولة أخرى في حربها مع دولة ثالثة، لأن مصلحة الأولى في القضاء على الدولة الثالثة، لذلك وقفت مع الدولة الثانية فلم تساعد الثانية حياً أو تطوعاً وإنما لأن مصلحتها تقتضي تدمير الدولة الثالثة .

ومن الأمثلة مساعدة أمريكا وحلفائها للجهاد الأفغاني على الرغم من كراهية أمريكا للإسلام والمسلمين لكنها تريد تدمير الاتحاد السوفياتي، وقد تم ذلك، وكفت أمريكا عن مساعدتهم، بل صارت تحاربهم وتفرض عليهم الملك ظاهر شاه . كما دعمت أمريكا نظاماً ماركسياً مع أنها ضد الماركسية، لكن لها مصلحة في إرهاب شعوب المنطقة لتبقى بحاجة إلى أمريكا . ومن الأمثلة كذلك اعتراف تركيا بدولة إسرائيل لإرضاء حلف الأطلسي، مع أن الأتراك شعب مسلم و متمسك بدينه، لكن مصالح الدولة التركية كما توهموا في مسaire حلف الأطلسي الذي يحمي دولة إسرائيل ( سيمر موقف السلطان عبد الحميد رحمه الله كمثال عن سياسة المبادئ ) .

وخلاصة سياسة المصالح أن الدولة (أ) إذا رأت الدولة (ب) تعتدي على (ج) الصغيرة الضعيفة، وعرفت (أ) أن (ب) معتدية وظالمة وطاغية، لكن (ب) وعدت (أ) ببعض المصالح، عندئذ تناصر (أ) الدولة (ب) وتقف إلى جانبها، لأن مصلحتها تتحقق في ذلك، أما الأخلاق والمروءة ومساعدة الضعيف ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف ... فهي قضايا أخلاقية لا علاقة لها بالسياسة، فالسياسة لا تقوم على الأخلاق، وإنما على المصلحة فقط كما يزعمون .

### صفات الأمير في السياسة الجاهلية

يستخلص الدكتور محمد رواس قلعجي صفات الأمير الناجح عند مكيافللي وهي:

- ١ — سوء الظن بالرعية، لأن الشعب يغلب عليه الشر، والأخبار فيه قليل .
- ٢ — الإحتفاظ بالقوة والسيطرة، بأية وسيلة، والشر يصبح فضيلة عندما يحقق المصلحة .
- ٣ — الأخلاق الفاضلة، والسلوك المستقيم ؛ صفتان مهلكتان للأمير .
- ٤ — لا يعبأ بالمعائب ( كالظلم والخيانة وسفك الدم وحقن الحريات ) طالما تؤدي إلى الإحتفاظ بكرسي الحكم .
- ٥ — أن يتصف بالنفاق، ليبقى في السلطة، ( فلا يرى منه الرائي، ولا يسمع منه السامع، إلا الأمانة والعفة والتقوى وحب الإنسانية ) .
- ٦ — الغدر من الصفات الضرورية للأمير (... لا ينبغي للأمير أن يحفظ العهود إذا كانت ضد مصلحته ) .

٧ — الخبث (... فيستعمل الخير أو ضده في الوقت المناسب، وأن يقلل من طيبه) .

٨ — البخل ( .. من الحسن أن يذاع عنه أنه كريم، ولكن الكرم يضر ) .

٩ — أن يتخذ لنفسه واجهة من الرجال تقيه غضب الشعب، فما كان من خير نسبه لنفسه، وما كان من شر ألصقه بهم، فيظهر الأمير بدور المنقذ .

١٠ — ولكي يرضي الواجهة يتساهل معهم ،وييسر لهم الرفاهية والغنى ،وإذا أخطأ أحدهم لا يشتد عليه الأمير .

١١ — أن يكون ضميره ميتاً ،وعقله مرناً ،حتى لا يؤنبه على ارتكاب الآثام ،ومرونة العقل حتى لا يتأثر بالمتناقضات . هذه أهم صفات الأمير الناجح عند مكيافللي ،فكم منها ينطبق على هذا العصر ؟

### السياسة الإسلامية سياسة عقائدية

السياسة العقائدية نقيض سياسة المصالح ،ويسمى البعض سياسة المبادئ وهي سلوك إنساني لا ينفصل عن الدين والأخلاق ،ومن أهم أسسها أن الغاية لا تبرر الوسيلة . ففي منهج السياسة الإسلامية نساعد الضعيف لأنه ضعيف يستحق المساعدة حتى لو عادت علينا مساعدته بأضرار محتملة ،ونقاوم الظالم لأنه ظالم مهما نواجه من المصاعب المحتملة وحسب المبدأ { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } ( البقرة : ٢٨٥ ) .

ومن أفضل الأمثلة على السياسة العقائدية :

١ — كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل لنصرته وإيوائه حتى يبلغ رسالة ربه ، وكان ممن تكلم معهم في ذلك بنو عامر بن صعصعة فقال رجل منهم يقال له بحيرة بن فراس أرايت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك ،أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال ﷺ : [ الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء ] ( السيرة النبوية لابن هشام ، ١/٤٢٢ ) فقال بحيرة : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه . فقد رفض النبي ﷺ أن يعد هؤلاء بشيء ، وهو في وقت أحوج ما يكون إلى الإيواء والنصرة ، ولكن المبادئ لا تقبل المساومة ، ولا يعرف حملتها التلون والمخادعة .

٢ — موقف السلطان عبدالحميد يرحمه الله من اليهود ، عندما عرض عليه اليهود آلاف الليرات الذهبية لخزانة الدولة العثمانية ، وآلاًفاً أخرى لخزائنه الخاصة مقابل أن يسمح لليهود بالإقامة في فلسطين ، ومن المعلوم لدى عبد الحميد أن اليهود قوة عالمية ، وأن وقوفهم مع دولته سيقويها ، ووقوفهم ضدها سيقضي عليها ، وحسب سياسة المصالح كان عليه أن يوافق لأن في ذلك تثبيت لدولته ، أما سياسة المبادئ فإنها تحسب الأمر في الدنيا والآخرة أيضاً ، وقد نظر السلطان عبد الحميد يرحمه الله إلى آخرته ، ووجد نفسه خارجاً عن الإسلام إن هو فرط في شبر من الأرض الإسلامية ، ولم تكن مصلحته الدنيوية العاجلة تغلب مصلحته الأخروية الأجلية ، لذلك رفض بل طرد المبعوث اليهودي ووبخ حاجبه الذي أدخله عليه ، وكانت النهاية أن خسر السلطان عبدالحميد دولته ، وحفظ آخرته ( إن شاء الله ) ، فسقط في مقياس مكيافللي ، وفاز في مقياس الإسلام .

والمسلم لا يحرص على الإمارة ، وإنما ينظر إليها كأمانة ثقيلة أنيطت به ، يقول عنها عمر رضي الله عنه أنه لو خرج منها سالماً يلحقه منها أذى لكان هذا غاية ما يطمح إليه . ويرفض أن يولى ابنه ويقول : يكفي آل الخطاب أن يحمل واحد منهم وزير الأمة .

## أهداف السياسة الإسلامية في المجتمع المسلم:

- ١ — حفظ الدين على أصوله .
  - ٢ — تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين .
  - ٣ — حماية البيضة والذب عن الحوزة ( وزارة الدفاع والداخلية) .
  - ٤ — إقامة الحدود لتصان محارم الله ، وحقوق العباد عن الانتهاك .
  - ٥ — تحصين الثغور بالعدة والقوة والرجال .
  - ٦ — جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .
  - ٧ — جباية الفية والصدقات على ما أوجبه الشرع .
  - ٨ — تقدير العطاء وما يستحق من بيت المال (التكافل الاجتماعي وبيت مال الزكاة) (الفراء، ٢٧) .
- ومما يلزم الإمام نشر العدالة بين الرعية ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والعمل لكل مواطن ، فتوفر الدولة المدارس والجامعات الكافية للمواطنين ، كما توفر فرص العمل لهم بما يناسب إمكاناتهم ويخدم المجتمع . والعدالة في فرض الضرائب وجبايتها ، وضمان الحد الأدنى من العيش للفقراء قال عمر رضي الله عنه: ( إن سلمني الله لأدعن أرامل العراق وهن لا يحتجن إلى أحد بعدي ) ( مصنف عبد الرزاق ، ١٠٣/٦ ) ، وقد وضع عمر جميع إمكانات الدولة لحل الأزمة عام الرمادة .

ويقول ابن تيمية رحمه الله ( الحسبة ، ٨ ) : ( جميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ) . ولذلك ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأحكام في جملتها وتفصيلها جاءت لتحقيق مصالح الناس ، والتي ترجع في النهاية إلى المحافظة على أحد الأمور الخمسة : الدين والنفس والعقل والعرض والمال ( محمد سليم العوا ٩٥ ) .

## أهداف السياسة الإسلامية في الأمة المسلمة :

تتكون الأمة المسلمة من عدة مجتمعات إسلامية ، ترتبط بالعهيدة لتكون الأمة المسلمة ، ولكل مجتمع أمير يتبع خليفة المسلمين ، وتهدف سياسة الخلافة وشورى الخلافة ومؤسستها إلى :

١ — تجسيد الأخوة بين المجتمعات المسلمة ، والعمل على تقليل الفوارق بينها ، وتغذية العقييدة الإسلامية والأخوة الإسلامية تنفيذاً لقوله عزوجل { إنما المؤمنون أخوة... } ( الحجرات : ١٠ ) وقوله عزوجل : { وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون } ( المؤمنون : ٥٢ ) وقوله أيضاً : { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... } ( آل عمران : ١٠٣ ) .

٢ — إقامة التعاون بين المجتمعات المسلمة ، بحيث يتحقق التكامل الاقتصادي والعسكري والعلمي ... وسائر شؤون الحياة ، فتستغني الأمة المسلمة عن غير المسلمين ولا تحتاجهم ، استجابة لأمره عزوجل : { وتعاونوا على البر والتقوى } ( المائدة : ٢ ) ، ولأمر رسوله ﷺ : [ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه ] .

٣ — الجهاد في سبيل الله والذود عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فالأمة المسلمة مسؤولة أمام الله عزوجل عن حماية المسلمين أيأ كانوا ، يقول سبحانه وتعالى :

{ وقتالوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.. } ( الأنفال : ٣٩ )، والفتنة هي رد المسلم عن دينه كله أو بعضه، بالقوة أو بال المكر والتخريب الخفي .

### أهداف السياسة الإسلامية في البشرية

وللسياسة الإسلامية أهداف إنسانية تتحقق على مستوى البشرية كلها ومنها :

١ — الدعوة إلى الله عزوجل ، وتبليغ الناس كافة رسالة الإسلام باستخدام الوسائل المكافئة لكل زمان ومكان .

٢ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول تعالى : { كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. } ( آل عمران : ١١٠ ) ، وهذه الأمة جعلها الله عزوجل شاهدة على الأمم قال سبحانه وتعالى : { وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً... } ( البقرة : ١٤٣ ) . وبذلك تكون الأمة المسلمة جند الله في الأرض ، تأمر الناس كافة بالمعروف ، وتنهاهم عن المنكر ، كما علمها الله عزوجل . وعندما تقوم هذه الأمة المسلمة ؛ لا يبقى ظلم من الدول العظمى على الدول الضعيفة ، لأن الظلم منكر ، لا ترضى به الأمة المسلمة ، بل ستغيره بيدها لأنها أقوى أمة على سطح الأرض ، ولأنها جند الله عزوجل .

٣ — تعاون الأمم كلها من أجل الخير ، كالتعاون الصحي والعلمي ، وفي مجال الفضاء واستثمار البحار وغيره ، فالأمة المسلمة تتعاون مع غيرها من الأمم من أجل خير البشرية كلها . يقول محمد قطب : ( إن الصلاة والنسك جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة ، والحكم بما أنزل الله جزء منها كذلك ، وإقامة العدل الرباني في الأرض جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة ، وإقامة الحياة كلها ، بكل ألوان النشاط على قاعدة أخلاقية مدارها تقوى الله عزوجل وخشيته في السياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية ، والوفاء بالمواثيق جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة ) ( مفاهيم إسلامية ، ص ٣٣٨ ) .

هذه لمحة موجزة عن أهداف السياسة الإسلامية ، والغرض من ذلك الإشارة إلى المسؤولية العظيمة المناطة بالأمير المسلم ، والأهداف المرسومة له ، ليعمل جاهداً على تحقيقها في المجتمع المسلم والأمة المسلمة والبشرية كلها .

وعندما يسعى الأمير المسلم إلى تحقيق أيّاً من هذه الأهداف ، فإنه يسلك الوسيلة المشروعة ، ليصل إلى هدفه المشروع ، فالغاية لا تبرر الوسيلة ، والأهداف الإسلامية لا يمكن الوصول إليها بوسائل غير إسلامية . كما أن الأمير المسلم مسؤول أمام الله عزوجل ، ومسؤول أمام الأمة المسلمة كذلك ، وليست الدولة دولته يعمل على تثبيتها ، وإنما هو عضو في دولة مسلمة لا يختلف عن غيره من موظفي الدولة ، وفي سيرة الخلفاء الراشدين مثال ناصع لما أقول .

### صفات الأمير المسلم

أخرج البخاري رحمه الله عن أبي هريرة قال : بينما النبي ﷺ في مجلسه يحدث القوم إذ جاءه أعرابي فقال : متى الساعة ؟ فمضى رسول الله ﷺ في حديثه ، فقال بعض القوم : سمع ما قال فكره ما قال ، وقال بعضهم بل لم يسمع ، حتى إذا قضى حديثه قال : [ أين السائل عن الساعة ؟ قال ها أنا ذا يا

رسول الله، قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال : وكيف إضاعتهما ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة [ (٢٠) ] .

ويقول الطرطوشي في رسالته إلى الأمير علي بن يوسف بن تاشفين: ( يا أبا يعقوب لقد ابتليت بأمر لو حملته السماوات لانفطرت ... إنك حملت الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ) ، لذلك يتهيب المسلم الإمارة ، ويرفضها خوفاً من المسؤولية العظيمة التي يكلف بها ، ويحاسب عنها إن قصر في أدائها . وقد استخلص الشيخ سعيد حوى رحمه الله من كتاب ( بدائع السلك في طبائع الملك ) ثلاثين صفة للأمير المسلم ، هذه أهمها :

١- العقل: ويقصد به الذكاء (فالسياسة كلها عقل) ، فالأمور تتشابه وهي مقبلة ولا يعرفها

إلا ذوو الرأي ، فإذا أدبرت يعرفها الجاهل كما يعرفها العاقل (سعيد حوى، فصول، ص ١٧) .

٢- العلم : فالخليفة ووزير التفويض (نواب الخليفة، ورئيس مجلس الوزراء ، وولاة الأقاليم) ، ينبغي أن يكون كل منهم مجتهداً . وغير هؤلاء من الأمراء يلزمهم من العلم بقدر مهامهم التي يكلفون بها ، والمقصود بالعلم هو العلم الشرعي أولاً ، ثم العلوم الإنسانية ثانياً ، والعلم بالمهمة التي يقوم بها ( كالزراعة أو الصناعة أو التجارة ... ) .

٣- العدالة : والعدالة عند الفقهاء هي التحلي بالفرائض والفضائل ، والتخلي عن المعاصي والذرائع ، وعن كل ما يخل بالمرودة ( عبد القادر عودة ، ص ١٣٥ ) ، وأن لا يبصر على الصغائر ، وأن يكون صادق اللهجة ، ظاهر الأمانة بعيداً عن الريب ، مأموناً وقت الرضا والغضب ، لا يجاهر بمعصية ، ولا يجور في الحكم (أبوفارس ، ص ١٨٦) ، وأقل ما يجب من هذه الصفة ( العدالة ) أن تكون ممن تقبل شهادته تحملاً وأداء ( البغدادي ، ٢٧٧ ) .

٤- الشجاعة : والشجاعة فضيلة ، والفضيلة وسط بين رذيلتين هما التهور والحبس ، والأمير لا ينبغي أن يكون جباناً ولا متهوراً .

٥- العفة : فالأمير يرى مالا يراه غيره ، ويقدر على مالا يقدر عليه الآخرون ، ويضعف أمامه الناس ، وهو محل طمع الظالمين ، وهدف الماسونيين ، فإن لم يكن عفيفاً سقط .

٦- الحلم : وهو امتصاص غضب الآخرين ، ومن آثاره كظم الغيظ والغضب ، ومن آثاره العفو ، والعفو من خير مناقب الأمير المسلم ، قال تعالى : { ... والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين } ( آل عمران : ١٣٤ ) . ومن آثاره أيضاً الرفق واللين فقد أخرج مسلم رحمه الله عن رسول الله ﷺ أنه قال : [ إن شر الرعاء الحطمة .. ] (٢١) . والحطمة : الراعي الظلوم للماشية يهشم بعضها ببعض .

٧- الثبوت : فلا يصدق ما ينقله له الوشاة ، بل يتأكد ويتثبت قبل أن يقدم على الفعل ، قال تعالى : { يأأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوم بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين } ( الحجرات : ٦ ) .

(٢٠) جامع الأصول (٣٩٦/١٠) وصحيح البخاري في العلم (١٣٢/١) .

(٢١) صحيح مسلم في الإمارة ، جامع الأصول (٥٤/٤) ، وأحمد (٦٤/٥) .

- ٨- الوفاء بالوعد والعهد: وهذه من أهم أخلاق الإيمان، والخلف بالوعد من أخلاق المنافقين.
- ٩- الصدق: قال رسول الله ﷺ: [ ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر ] (٢٢).
- ١٠- الحزم وكنم السر والثبات على الحق وعدم التردد (كموقف أبي بكر ﷺ مع أهل الردة).
- ١١- الصبر ومخالفة الهوى، والهوى ضد الشريعة.
- ١٢- التواضع اقتداء برسول الله ﷺ، وصحابته الكرام، وسلامة الصدر من الحقد والحسد، فالأمير الحقود يظلم ويدمر، والحسود يظلم ويغمر الناس حقهم.
- ١٣- بذل النصيحة وقبولها فينصح رعيته ولا يهملهم، بل يسعى جاداً في خيرهم، وقبول النصيحة والمشورة من خاصته وبطانته وعامة المسلمين.
- ١٤- الكفاءة: ومنها أن يباشر الإمارة بنفسه، وأن يتابع وزرائه ومعاونيه ولا يكل الأمر إليهم، بل يفعل كما فعل الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم. يقول ابن خلدون: ( وأن يكون جريئاً في إقامة الحدود، واقتحام الحروب، قوياً على معاناة السياسة... ) ( المقدمة، ٢١٢ ) . ومن الكفاءة سلامة جسده، وقوة تحمله للجهاد، والعمل المتواصل لمصلحة الأمة .
- ١٥- أن يكون ذا عصبية قوية تشد أزره، وتعينه على مهامه، وتسهر معه على حمل الأمانة . وهو مدلول القرشية، إذ أن قريش كانت أقوى القبائل العربية يومذاك، كما يقول ابن خلدون: ( فالعلة وجود العصبية الغالبة، فحيثما وجدت في قوم كانت الإمامة فيهم )، وفي معظم أقطار العالم الإسلامي لم يبق للقبيلة دور في الحياة السياسية ( وحيث تكون الروابط القبلية قوية، لا توجد حياة سياسية ) . لذا فإن الباحث يرى أن العصبية المعاصرة هي الحركة السياسية، أو الحزب، أو الجماعة... فيشترط في الخليفة المعاصر، أو الإمام المسلم أن يكون من الحزب الأقوى، ليكون له أعوان أقوياء يحملون معه هذه الأمانة، وكذا في سائر الأمراء الذين يختارهم الإمام لمساعدته في عمله، فلا يختار فرداً لا عصبية له .
- وبعد المقارنة بين صفات الأمير المسلم، والأمير المكيفللي نجد الفرق بين الإسلام والجاهلية، ويتضح لنا مدى حاجة البشرية كلها إلى الإسلام في السياسة، كما تحتاجه في الاقتصاد والتربية وسائر شؤون الحياة .

(٢٢) جامع الأصول (١١/٧٠٧)، صحيح مسلم في الإيمان (١/١٠٧)، والنسائي في الزكاة، باب الفقير المختال .

## الفصل الثالث الإسلام والديمقراطية

تمهيد :

من أجل إيضاح مفهوم السياسة الإسلامية، سيلقي الباحث ضوءاً على الديمقراطية، لأنها آخر مفهوم جاهلي يلتبس على كثير من المسلمين؛ الذين صعب عليهم التمييز بين الإسلام والديمقراطية، حتى صار كثير من الغيورين على الإسلام يصفونه بالديمقراطية، ويقولون الإسلام ديمقراطي، أو ديمقراطية الإسلام، أو يقولون الديمقراطية أسلوب إسلامي والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذ بها .

ومما يلفت النظر أن الصحوة الإسلامية المعاصرة تستخدم هذه المصطلحات، وتطالب بالديمقراطية كأسلوب للحكم، بل وصل الأمر إلى حد استخدام الأسلوب الديمقراطي في انتخاباتها، واستخدمت الدعاية الانتخابية داخل صفوفها؛ بما يوجد في الدعاية من مجانبة للحق ومبالغات وظلم... الخ .

فقد عقدت في القاهرة ندوة للتطور الديمقراطي في الوطن العربي في القاهرة في (٢٩/٩/١٩٩٠) وحتى (١/١٠/١٩٩٠) بالاشتراك مع مركز الدراسات السياسية بالقاهرة، وضمنت الندوة عدداً من المستشرقين، وعدداً من الدعاة المسلمين منهم الدكتور (عصام العريان) (من قادة الإخوان في مصر) حيث جاء في كلامه: (للتأمر الدولي نصيب حاسم في عدم قيام تجربة إسلامية ديمقراطية) (مجلة لواء الإسلام، العدد ٨ السنة ٤٥)، ونشرت لواء الإسلام (نفس العدد) مقالاً بعنوان (الإسلام والديمقراطية) (للأخ الدكتور المذكور جاء فيه قوله: (فنحن أول من ينادي بالديمقراطية ويطبقها ويدود عنها حتى الموت). ويقول الأخ راشد الغنوشي: (نحن هنا لسنا ندعو إلى نظام فوضوي يعدم الدولة، وإنما ندعو إلى نظام ديمقراطي، نظام إسلامي يخفف فيه وطأة الدولة على المجتمع.. (مجلة الإرشاد الجزائرية، العدد ٦)، كما جاء في بيان الثورة الإسلامية الذي وزعته الحركة الإسلامية في سوريا ومنهاجها ما يفسر بأنه مدح للديمقراطية عندما قال البيان: (لكن الاستعمار حين جلا عن هذا القطر (سوريا) خلف نظاماً ديمقراطياً زائفاً، وبذلك غابت عن الساحة العامة كفاءات كان يمكن أن تسهم في تدعيم استقلال الوطن، وكسر القيود عن المواطن، وترسيخ التقاليد الديمقراطية التي تضع أمور الوطن بين أيدي المواطنين (بيان الثورة الإسلامية في سوريا، ص ٨)، ويقول أحد الدعاة المسلمين الأكراد متمنياً أن يعيش شعبه بعيداً عن الديكتاتورية (... ضرورة التخلص من النظام الديكتاتوري، والقضاء تماماً على أساليبه التصفوية والدموية، والعيش في مجتمع واحد يحكم بالديمقراطية والعدل..) (صحيفة المسلمون، العدد ٣١٢). ويقول الدكتور أحمد شوقي الفنجري في كتابه (الحرية السياسية في الإسلام): (ديمقراطية الإسلام وتتمثل في ديمقراطية الحاكم، والرعية ونظام الحكم) وكرر لفظ الديمقراطية بمعدل مرتين أو ثلاث في الصفحة الواحدة، ومن ذلك قوله: (وخلاصة لذلك نجد أن أسلوب اختيار الحاكم في الإسلام هو نفسه الأسلوب الذي تتبعه الديمقراطية في القرن العشرين) ويقول: (فبغير البيعة الحرة والشورى المزمرة والعدل العام والمساواة والحق وسماع النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير

ذلك من المعاني التي جاء بها الإسلام، والتي تسمى في عصرنا الحاضر بالديمقراطية بغير هذه يفقد الحاكم شرعيته . والحاكم المسلم لا يملك إلا أن يكون ديمقراطياً (ص ١٣٩) . بل إن أحد كبار الدعاة والقادة يقول: ( نريدها ديمقراطية كاملة شاملة للجميع ) ( مجلة العالم ٢١/٦/١٩٨٦ م ) .

وهكذا يتضح الخلط بين مفهومين مختلفين هما السياسة الإسلامية والديمقراطية، حتى أنهما لا يفترقان في أذهان كثير من المفكرين المسلمين، فخصائص السياسة الإسلامية كالشورى والعدل... هي نفسها خصائص الديمقراطية، وعندما سئل الشيخ محمد عبده عن الشورى قال: ( إن الشورى تعني كل ما توصل إليه الإنسان الغربي في عصرنا هذا من التنظيمات الديمقراطية الحديثة، وإذا كان تحقيق الشورى لا يتم إلا بما فإن وجودها في الإسلام (يقصد المسلمين) واجب فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ) (الفنجرى، ص ١٩٦).

ويذكر الباحث بالتباس مفهوم الاشتراكية بمفهوم الاقتصاد الإسلامي، قبل بضعة عقود حتى أن أحد كبار الدعاة المخلصين (كما نحسبه) ألف كتاباً سماه ( اشتراكية الإسلام )، وكان مضمون الكتاب يختلف عن اسمه، فالمضمون إسلامي، وسماه صاحبه بذلك الاسم بسبب ذلك الالتباس . وقد دفع رحمه الله إلى ذلك نتيجة البهرجة والزخرف والبريق الذي أحاط بمفهوم الاشتراكية يومذاك، وخاصة لدى الجماهير التي كوتها مآسي الإقطاع والبرجوازية السائدة في ذلك العصر . وإذا انكشفت الاشتراكية للناس كافة فإن الديمقراطية مازالت توهم كثيراً من الناس بأنها الحل لمشكلة المسلمين السياسية، وأنها سبيل الخلاص من الحكام المستبدين، ولكنه وهم أيضاً سوف يتضح عندما يقوم أول حكم إسلامي معاصر يطبق الشورى؛ فيعرف الناس كافة أن الشورى ( وليس الديمقراطية ) هي سبيل الخلاص، وبعبارة أدق الإسلام هو الحل الوحيد للعرب والمسلمين والبشرية كافة . ومن أحداث الجزائر الأخيرة (١٩٩٢م) يتضح أن الديمقراطية حق لغير المسلمين، أما إذا أراد المسلمون السير من خلالها إلى الإسلام، فإنها تلغى وتستبدل بالديكتاتورية تحت مباركة الدول العريقة في الديمقراطية وفي محاربة الإسلام والمسلمين .

وسيضطر الباحث إلى إلقاء مزيد من الضوء على الديمقراطية من أجل التعرف عليها، ليتبين الفرق بينها وبين الإسلام، لأنه ( وبضدها تتميز الأشياء ) .

### الديمقراطية

كلمة يونانية الأصل تعني حكم الشعب، أي أن الشعب يحكم نفسه بنفسه، ولا يوجد حاكم غيره، وقد مورست الديمقراطية الحقيقية في أثينا قبل الميلاد، عندما كان سكان أثينا لا يزيد عددهم على ثلاثة آلاف مواطن، أما العبيد فلا شأن لهم بالسياسة، لأنهم أدنى من مستوى البشر العادي في المفهوم اليوناني الذي مازال مقدساً لدى كثير من المعاصرين . حتى أن أرسطو يعرف العبيد فيقول: هم القسم الحي من الملكية .

يجتمع هؤلاء المواطنون (الأحرار) وعددهم ثلاثة آلاف في ساحة واحدة، كلما لزمهم حاكم جديد أو قانون جديد، وفي تلك الساحة منصة للخطابة . يتحدث الخطباء لتوضيح آرائهم، ثم يصوت الحاضرون، فإذا نيلت الأكثرية نصح المشروع، ونصب الحاكم أو سن القانون . والأكثرية المقصودة



طبعاً هي الأكثرية العددية ؛ التي يتساوى فيها الفيلسوف مع الجندي العادي ،دون الانتباه إلى الفروق بين الناس في تفكيرهم وقدراتهم . وعلى ضوء ذلك يكون الشعب كله مشاركاً في تعيين الحاكم أو سن القوانين ،وهذا هو حكم الشعب للشعب ،أو الشعب يحكم نفسه ،أو الديمقراطية . أما الديمقراطية الأوروبية الحديثة فقد اضطر فيها إلى انتخاب مجلس النواب ؛ الذي ينوب عن الشعب في ممارسة الحكم بعد أن زاد عدد الشعب وتعذر جمعه في ساحة واحدة ،كما كان في أئتنا . ونشأت هذه الديمقراطية الأوروبية المعاصرة بعد فصل الدين عن الحياة ،وبتعبير أصح بعد فصل الكنيسة عن الحياة الاجتماعية ،وتحررت أوروبا من سلطة الكنيسة التي استعمرتها طيلة عصور الظلام الأوروبية ،التي تسمى عندهم العصور الوسطى ،وانفصل الدين عن العلم ثم ظهرت العلمانية ،وفي هذه الأجواء نشأت الديمقراطية الأوروبية الحديثة . فالديمقراطية إذن ( نشأت في تربة الكفر والإلحاد (أئتنا) ،ثم ترعرعت في منابت الشرك والفساد (أوروبا) ،فمن اليونان القديم حيث كان الشرك والإلحاد ،إلى روما ،ثم أوروبا بعد أن تم فصل الدين عن الدولة ) (عدنان النحوي ،ص ٣٩) .

وديموقراطية اليوم تدعي أنها تحمي حقوق الإنسان في العالم كله ،لكن الإنسان الذي تعرفه الديمقراطية الأوروبية والأمريكية المعاصرة ؛ هو الإنسان غير المسلم ،إنه المشرك أو الملحد أو الوثني أو عباد البقر ،أما المسلم فلا حقوق له عند هؤلاء الديمقراطيين ،ومن الأمثلة على ذلك اهتمام وسائل الإعلام الديمقراطية بأوربي واحد يختطف في لبنان ،فيسيطر اسمه على الإذاعات العالمية والمحلية ،وتتدخل دول ورؤساء جمهوريات من أجل البحث عنه ،وفك أسرهِ وإعادته إلى أسرته قبل عيد الميلاد ،وفي نفس الوقت يذبح عشرات الألوف من المسلمين معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ ،كما يذبح بضعة آلاف من المسلمين في مكان آخر بطريقة وحشية جداً ،ويقتل مئات من المسلمين كل يوم في شرق جنوب آسيا ،ولا تذكر وسائل إعلام الديمقراطية شيئاً عن ذلك . وكأن الديمقراطية المعاصرة مخلصه لأصلها اليوناني ،فتعتبر المسلمين كالعبيد في أئتنا أو روما ليسوا من البشر ،وإنما من الأشياء كما قال فيلسوفهم الكبير (أرسطو) ،وهذه إحدى ثمرات الديمقراطية المعاصرة ... لأنها نبتت في بيئة الكفر والإلحاد .

### خصائص الديمقراطية :

من أهم خصائص الديمقراطية أنها ضد الديكتاتورية والطغيان الفردي ،والحاكم فيها مقيد بالبرلمان ،والدستور ،ومراقب من الشعب والصحافة والمعارضة ،وإذا قورنت بالحكم الفردي ،أو نظام الحزب الواحد ،فهي أفضل منه بألف مرة ،أما إذا قورنت بالشورى الإسلامية ؛ فالفرق بينهما بعيد كذلك ،لأنه فرق بين منهج بشري وآخر رباني ،وشتان بينهما .

١ — الديمقراطية هي حكم الشعب ،فالشعب هو الحاكم وليس الله عزوجل ،ولا يجد الشعب قيد في حكمه لنفسه ،يستطيع أن يجعل الحلال حراماً ،والحرام حلالاً ،ويجوز لمجلس الشعب ( البرلمان ) أن يناقش أي قضية ،وله الحرية المطلقة في ذلك ،والبرلمان فوق الدستور لأنه

يستطيع أن يعدل الدستور ، أو يغيره كله ، فنواب الشعب هم الحاكم المطلق لأنهم ينوبون عن الشعب الحاكم المطلق الأصلي .

٢ — الانتخاب هو الوسيلة التي ينتقى بها نواب الشعب ، ويشارك في الانتخاب الرجال والنساء وكل من بلغ الثامنة عشر عاماً من العمر . وفي الانتخاب تقوم دعايات انتخابية يروج فيها المرشحون لأنفسهم حتى يصوت لهم الناخبون ، ويستخدم المرشحون في الدعاية كل وسائل السياسة المكيفلية من كذب وخداع وتضليل ، وقذف لخصومهم وتشويه لهم ، كل ذلك من أجل الفوز بأصوات الناخبين .

وفي ديموقراطيات العالم الثالث ( وهي صور كاذبة من الديمقراطية ) تباع أصوات الناخبين بدراهم معدودة ، وهكذا يستطيع الأغنياء أن يشتروا الأصوات لينجحوا في البرلمان ، ومن ثم يحكمون قبضتهم على البلاد والعباد ، ويستردون أضعاف ما صرفوه في شراء الأصوات وفي الدعاية الانتخابية . وفي العالم الثالث تزور الحكومة الانتخابات وتحسب النتائج قبل الانتخاب ، وينجح مرشح الحكومة للرئاسة بنسبة ( ٩٩,٩٩٪ ) في بعض الأحيان ، وأقل نسبة متواضعة عندهم ( ٩٧ ) بالمائة ، أو تمنع الحكومة الآخرين من الترشيح فينجح مرشحو الحكومة بالتركية . أو تدخل في صناديق الانتخاب مئات أو آلاف البطاقات الانتخابية المزورة .

٣ — في ( البرلمانات ) الديمقراطية صراع دائم ومستمر بين كتلة الحكومة وهي أغلبية النواب ، وكتلة المعارضة وهم الذين لم تكسب أحزابهم مقاعد كافية في البرلمان كي يشكلوا الحكومة ، فيشكلون الأقلية البرلمانية . ويقوم الدس والتدليس والكيد بين الأكثرية والأقلية في البرلمان ، حتى أن نيكسون ( الرئيس الأسبق للولايات المتحدة ) يأمر مساعديه بوضع أجهزة تنصت في قاعة اجتماعات الكتلة المعارضة في مجلس النواب ، كما عرف يومذاك بفضيحة ( ووتر جيت ) . وتنهمك الصحافة في إظهار عيوب الطرف الآخر مع المبالغة والكذب أحياناً ، وتنمو الخلافات الحزبية الضيقة القائمة على الصراع من أجل كرسي الحكم .

٤ — في النظام الديموقراطي تقوم الصحافة الحرة - وهي أفضل حسنات الديمقراطية - تقوم بشتم خصومها وقذفهم ، وتنشر أخبار كاذبة عنهم بقصد تشويه سمعة منافسيها ، وخاصة قبيل موسم الانتخابات .

٥ — العلمانية صفة ملازمة للديموقراطية ، وقد تأصل تلازمهما منذ أن نشأت في أثينا ، وحتى عندما أخذت بما أوربا الحديثة بعد فصل الدين عن الحياة .

## أزمة الديمقراطية

### انتحار الديمقراطية الأمريكية

يقول قدرتي قلعي في كتابه ( أميركا وخطرسة القوة ) تحت عنوان انتحار الديمقراطية ( ... ) وبدأ تطاعني نفوذ الشركات الكبرى ؛ يفرغ الديمقراطية الأمريكية من محتواها ... وظل هذا النفوذ يتصاعد باستمرار ، وكانت القيم تنحدر وتفسر القوانين لمصلحة صاحب النفوذ الأقوى ( ص ٥١ ) ، ومنذ

أن تغلغت الصهيونية في المجتمع الأميركي، وسيطرت على مرافقه السياسية والإعلامية، وغدا لأصوات اليهود ذلك الثقل في انتخابات رئاسة الجمهورية؛ أضحى رئيس الجمهورية الأميركية مجرد دمية في أيدي اليهود، حتى قال وايزمان إن الصهيونية هي صاحبة السيادة الحقيقية في الولايات المتحدة، وإن زعيمها هو الرئيس الفعلي لها (ص ٥٣).

(... وقد بات هذا الانتخاب خطراً على الديمقراطية نفسها، لأن فئة قليلة يقل عددها عن نسبة ثلاثة في المائة من مجموع المواطنين؛ أصبحت تسير هذه الانتخابات وتوجهها لأغراض غير أميركية، ولمصلحة دولة غير الدولة الأميركية، ولأن هذه الفئة الصغيرة المدركة لهدفها، والمتضامنة في عملها، والمتفوقة في تنظيمها (يقصد الصهاينة)، تفرض إرادتها على الأكثرية الخالية الذهن من ذلك الهدف، أو العاجزة فكرياً عن فهمه والإحاطة به، وإدراك أخطاره المقبلة، فلا يتم اختيار الحكام والقضاة والنواب والشيوخ والرؤساء لكفائيتهم وخبراتهم ومبادئهم السلمية وتفوقهم العلمي والخلقي، بل لأنهم أكثر انسياقاً في المخطط الصهيوني، والعمل لتحقيق أهداف إسرائيل.

وهكذا بدلاً من أن يجمع هؤلاء الثلاثة بالمائة ويزج بهم في السجون؛ لأن ولاءهم ليس لوطنهم، باتوا يسيطرون على مقدرات الوطن، ويسخرونه لخدمة الطغمة الحاكمة في إسرائيل... حتى بات من المستحيل معرفة من يحكم أميركا الكنيست أم البيت الأبيض؟ (ص ٥٩)

### أميركا تحارب الديمقراطية في العالم

ويقول قدرى قلجعي أيضاً: (... وجهت وكالة المخابرات الأميركية الضربة القاضية إلى الديمقراطية في مناطق نائية، كما لغمت طريقة عمل الديموقراطية داخل المجتمع الأميركي ومن المعلوم بالضرورة أن المخابرات الأميركية تصنع الانقلابات في العالم الثالث وتصنع زعماءها، وتجعلهم استبداديين يحكمون شعوبهم بالحديد والنار، ويسرقون ثروات أمتهم ويتلفونها على ملذاتهم، لتبقى هذه الأمم ضعيفة ومتخلفة ومن ثم تقدم موادها الخام للشركات الأميركية، كما تبقى أسواقها مفتوحة أمام صناعاتها، يقول مايلز كوبلاند في كتابه لعبة الأمم (٨٠ - ٨٦):

كان لفشل تجربتنا في سوريا (يقصد حسني الزعيم) أثر كبير على تصرفاتنا، فقد آثرنا الانسحاب مؤقتاً من مسرح الشرق الأوسط، وخلال الفترة التي امتدت لغاية (١٩٥٢م) انهمك موظفو الخارجية في البحث عن طرق أفضل؛ لضم أحد الحكام العرب إلى طاولة اللعب... فطلب وزير الخارجية يومئذ دين اتشيسون من وكالة المخابرات إعارته كيرميت روزفلت ليرأس وبسرية تامة لجنة ضمت نخبة من الأخصائيين من الخارجية والدفاع والشركات والجامعات، وأوكلت لها دراسة شؤون العالم العربي عامة، والتزاع العربي الإسرائيلي خاصة... وفي أوائل عام (١٩٥٢م) كان قرار اللجنة أن تكون مصر أول الخطوات الجديدة... ورحل روزفلت إلى مصر في شباط (١٩٥٢م) كي يشرف على تنفيذ المخطط عن

كتب، وفي أيار تأكد روزفلت أن الجيش وحده هو القادر على مواجهة الموقف المتدهور في مصر<sup>(٢٣)</sup>، وعلى إقامة حكم يستطيع الغرب أن يقيم معه علاقات ود وتفاهم . وهكذا صنعت المخابرات المركزية الأمريكية عدداً من الانقلابات العسكرية في العالم الثالث ، كان الهدف منها محاربة الديمقراطية فيها ، وإقامة حكم فردي استبدادي ، تحت شعاعات براقية ينخدع بها الجماهير ، ومنها إجراء انتخابات صورية يتم فيها التزوير ، وتقرر أسماء الناجحين ونسبة نجاحهم سلفاً .

### الديمقراطية في الجزائر

في عام (١٩٨٨م) انتفض الشعب الجزائري معبراً عن نفاذ صبره بسبب سوء الأحوال السياسية والمعاشية ، مما دفع الشاذلي بن جديد ( رئيس الجمهورية يومئذ ) إلى فتح أبواب السياسة الجزائرية على مصراعيها للديمقراطية ، وتشكلت عشرات الأحزاب السياسية خلال سنتين فقط ، وسمح للشعب الجزائري أن يعبر عن رأيه في انتخابات البلدية عام (١٩٨٩م) ، ثم انتخابات مجلس الشعب عام (١٩٩١) ، فأدى ذلك إلى فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ وهي حزب المعارضة الرئيسي وحصلت على أكثر من ثمانين في المائة من مقاعد المجلس ، وعندما رأى الغرب عامة وأمريكا خاصة أن المسلمين سيحكمون بلادهم بدينهم الذي أنزله الله ، عندئذ تحركوا بسرعة ودفعوا بعض الضباط في الجيش إلى إجبار الشاذلي بن جديد على الاستقالة ، ومن ثم إلغاء الانتخابات السابقة واللاحقة ، واعتقال قادة الجبهة وعناصرها الفعالة وزجهم في السجون .

واتضح لكل العالم أن الديمقراطية الغربية لغير المسلمين ، فقد يسمح الغرب بقيام حكم ديمقراطي في بلد غير إسلامي ، أما المسلمون فلا يسمح الغرب لهم إلا بالاستبداد والقهر ، كي لا يستردوا قوتهم ويقفوا في وجه الاحتكارات الصهيونية والأمريكية .

### الديمقراطية تتحول إلى استبداد

يقول الدكتور توفيق الشاوي (ص ١٢): ( بل إنها قد تطورت فعلاً على يد فلاسفتها ومنظريها ووصلت كما رأينا في الديمقراطيات الشعبية إلى تأصيل الحكم الاستبدادي الشمولي باسم حكم الأغلبية ، ودكتاتورية الحزب الذي يعطونه سلطة مطلقة لحدود لها يمارسها زعماءه وحكامه ، دون الاعتراف بشريعة تهيمن عليها ، هذا التطور في الديمقراطيات الشعبية يقابله تطور في الديمقراطيات الغربية ، التي جعلت الليبرالية باباً واسعاً لكل عوامل الانحلال والظلم الاجتماعي والفساد والتسيب الأخلاقي ، بل فتحت لحكامنا باب الاستبداد الشمولي المطلق باسم سيادة الدولة ، مستخدمين سلطة إصدار قوانين وضعية لا يمكن لأحد أن يعرف مقدماً ماتفرضه في المستقبل ، وما تجيزه من اتجاهات نحو الاستبداد والفساد أو الانحلال .

(٢٣) يقصد انتشار حركة الإخوان المسلمين وامتداد نفوذها في مصر ، وخوف أمريكا من استلامهم الحكم في مصر ، وعبر عن ذلك بقوله : الموقف المتدهور في مصر .

## الشورى و الديمقراطية

مما لا ريب فيه أنه توجد نقاط تشابه بين الشورى والديمقراطية، وهذا هو سبب التباس الديمقراطية على كثير من المسلمين، وتوجد كذلك نقاط اختلاف؛ لم يرها كثير من المسلمين، بسبب لمعان الديمقراطية وبريقها، ولأن التفكير الإسلامي المعاصر ينفعل بالواقع أحياناً كثيرة حتى يتعد عن أصوله من الكتاب والسنة. وربما ساهم (الملك الجبري) الذي يكف أفواه المسلمين وبطونهم وعقولهم؛ ساهم في تمسك بعض المسلمين بها وتوهمهم الخلاص فيها.

### نقاط التشابه بين الشورى و الديمقراطية

١- الشورى والديمقراطية كلاهما ضد الفردية والطغيان الفردي، فالشورى نظام سياسي إسلامي مستمد من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا مجال فيها لطغيان الفرد، والديمقراطية نظام سياسي أنتجه البشر لا يستطيع الفرد فيه - ماعدا العالم الثالث - أن يسيطر على الشعب وحده، فالديمقراطية الأوربية لا مجال فيها لطغيان الفرد، وهذه حسنتها اللامعة التي أكسبتها هذا البريق والزخرف، ومجلس الأمة (البرلمان) أعلى من الحاكم ويمكنه الاعتراض عليه.

٢- في الشورى والديمقراطية يوجد نواب للشعب، يمارسون الحكم والسياسة، ثم يختلطان في طريقة انتقاء هؤلاء النواب، كما تختلف الأسماء، فمفهم أهل الشورى، أو أهل الحل والعقد أو مجلس الشورى... أما في الديمقراطية فيسمون البرلمان، أو مجلس النواب، أو مجلس الشعب.

### نقاط الاختلاف بين الشورى و الديمقراطية

أما نقاط الاختلاف بينهما فإنها أكثر وأعمق، حتى إنهما منفصلان عن بعضهما تماماً ومنها:

١- الشورى نظام رباني والديمقراطية نظام بشري:

الشورى نظام رباني، أمر الله المسلمين بتطبيقه في حياتهم، وفي البشرية جميعاً، ومارسها رسول الله ﷺ في حياته عندما كان قائداً للمجتمع المسلم في المدينة المنورة، وقد رسمت سيرته ﷺ وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم؛ معالم هذه الشورى، (والشورى أساس في طبيعة هذا الدين، في طبيعة الإيمان، ولا تقتصر على الحكم والدولة، ولكنها تمتد إلى الفرد المؤمن، والأسرة المؤمنة، والجماعة المؤمنة) (عدنان النحوي، ٦٧٣). أما الديمقراطية فإنها نظام بشري اخترعته أثينا وطورته أوروبا الحديثة، وشتان بين النظام الرباني، والنظام البشري، وبينما تصلح الشورى لكل زمان ومكان، نجد الديمقراطية في تغير دائم من خطأ إلى خطأ آخر، لأن البشر يعجزون عن وضع نظام لأنفسهم، وقد تطف بهم خالقهم بوضع ما يحتاجون من أنظمة للفرد والمجتمع والأمة والبشرية كافة.

يقول الدكتور توفيق الشاوي (ص ٨٩): (إن الديمقراطية نشأت في بيئة يونانية وثنية، كانت تصور الآلهة في صورة بشريسيطرون ويستبدون ويتصارعون ويتقاتلون بل يتزاوجون ويتوالدون، فلم يكن غريباً أن يكون المثل الأعلى للبشر أن يقلدوهم في التأله وادعاء السيادة التي تعطى للدولة ومن يمثلونها سلطة مطلقة سواء كانوا أفراد أم جماعات تمثل أغلبية أو أقلية وسواء أكان تمثيلهم لها صحيحاً أم زائفاً).

أما الشورى فإنها تنبع من عقيدة التوحيد ... وبذلك تحجب دعوى السيادة أو السلطة المطلقة عن البشر كافة وعن الحكام جميعاً .

## ٢ — الشورى نظام كامل والديمقراطية جزء فقط

يقول الدكتور توفيق الشاوي (ص ٩٠) : ( يضاف إلى هذين العنصرين عنصر ثالث، هو الطابع الاجتماعي الأخلاقي لمبدأ الشورى ، فهي ليست مجرد نظرية سياسية أو نظام حكم كالديمقراطية ، بل هي منهج اجتماعي وأخلاقي للتعايش والتشاور والتضامن والتكافل الشامل بين أفراد المجتمع .. ) . فالفرد المسلم مطالب بالتشاور في شؤونه الخاصة مع من يثق بهم من إخوانه المسلمين ، وماندم من استشار ، ويطلب الاستشارة من أهل الاختصاص كالصائم الذي يخاف من إلحاق الضرر بمعدته إن كانت بها قرحة يجب عليه استشارة طبييين مسلمين عدلين من ذوي الاختصاص ؛ قبل أن يقرر الفطر أو الصوم . ويتشاور العلماء في القضايا الفقهية قبل إصدار الفتوى ؛ حتى أصبحت الفتوى قراراً جماعياً ، وأخيراً يستشير الحاكم مستشاريه من ذوي الاختصاص ، كما يصدر أهل الحل والعقد قراراتهم بالشورى وموافقة الجميع أو الأغلبية .

## ٣ — الاختيار في الشورى يختلف عن الانتخاب في الديمقراطية

في النظام السياسي الإسلامي نقول الاختيار وليس الانتخاب ، وهذا مصطلح القاضي أبي يعلى والماوردي رحمهما الله ، وهذه أهم نقاط الاختلاف بينهما :

أ — في الديمقراطية يساهم جميع الشعب في انتخاب مجلس النواب ، أو رئيس الجمهورية ، وتتساوى أصواتهم ، فصوت ( المراهق ) في الثامنة عشر يساوي صوت عضو مجلس الشيوخ الذي ناهز الستين من عمره ؛ قضى نصفها في العمل السياسي . وصوت المرأة ربة البيت يعدل صوت الوزير . وقد يتنافس مرشحان لرئاسة الجمهورية يحصل الأول على (مائة ألف) صوت من أصوات العمال والمراهقين وربات البيوت ، و(خمسة آلاف) صوت من أصوات المثقفين ، و ( مائة ) صوت من أصوات الرجال الكبار من أهل الدراية والحكمة والرأي فكان مجموع أصواته (١٠٥١٠٠) صوت ، وأثناء الانتخاب لايفصل بين أصوات العمال وغيرهم ، وفصلها الباحث هنا بغرض التوضيح فقط . بينما يحصل المرشح الثاني على (ثمانين ألف) صوت من أصوات العمال ، و(٥٠٩٩) صوتاً من أصوات أهل الرأي والحكمة ، و(عشرون ألف ) صوت من أصوات المثقفين ، فيصبح مجموع أصواته (١٠٥٠٩٩) صوتاً ، أي أقل من المرشح الأول بصوت واحد فقط ، ومع أن المرشح الثاني صوت له (٥٠٩٩) من أهل الرأي والحكمة من أعضاء الشيوخ وكبار القوم ؛ بينما صوت للأول (١٠٠) منهم فقط ، كما صوت للثاني عشرون ألف مثقف ؛ بينما صوت للأول خمسة آلاف مثقف فقط ، لكن المرشح الأول يفوز بسبب تفوقه بصوت واحد فقط ، جاء من زيادة أصوات العمال حيث حصل الأول على (مائة ألف منهم ) بينما حصل الثاني على ثمانين ألف فقط ، وصوت عامل واحد

، ينتصر على آلاف الأصوات من المثقفين وأهل الرأي والحكمة ،بالإضافة لأصوات عشرات الألوف من مثقفها ، ويفوز الأول ،لأن العبرة بعدد الأصوات فقط (٢٤) .

وهذا ظلم وتعسف وتخريب للأمة ،عندما نحمل أصوات أهل الرأي والحكمة والمثقفين ،مقابل صوت عامل واحد فقط ،وربما اشترى المرشح الأول آلافاً من أصوات العمال نقداً بالدراهم وقد يكون صاحب ذلك الصوت أمياً لا يفقه شيئاً في السياسة ،ولما وصل صندوق الانتخاب أعطاه أحد زبانية الانتخاب وسماسته بطاقة المرشح الأول فدسها في الصندوق وهو لا يدري ماذا فعل وما قيمة صوت العامل أو الفلاح ،أو الشاب المراهق ،أو ربة البيت ماقيمة هذه الأصوات في انتخاب رئيس الجمهورية ؟ هل يعرفونه؟ وهل يعرفون مهمات رئاسة الجمهورية ؟ فيقارنون بين صفاته وقدراته وبين المهمة المنتخب لها؟وعندئذ يحكمون على صلاحيته لها أو عدمها . ولدي بعض الشواهد منها:

ذهب رجل من القرية إلى الانتخاب ،لينتخب رئيس الجمهورية ،وفي اليوم التالي سألته : من انتخبت ؟ فقال : هاها ،لقد انتخبت ،ولما أعدت عليه السؤال أظهر لي بطاقته الشخصية المهورة بختم الانتخاب ،ليؤكد لي أنه انتخب ... وبعد قال لي دخلت إلى الغرفة فحتموا لي البطاقة ،وقالوا لي مع السلامة . وهذا كان قاعدة متبعة مع عشرات الألوف من الناخبين ،وكان الموظف المشرف على الانتخاب يعتبر مجرد حضور المواطن موافقة على مايرغب به الموظف نفسه ،وقد انتقي هذا الموظف بعناية من قبل الحكومة التي ( هندست ) الانتخاب .

### التكليف الشرعي للانتخاب

ولاية أمر الناس من أعظم الأمانات ،وقد أمر الله جل وعلا بأداء الأمانات إلى أهلها ،فقال عزوجل { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } (النساء : ٥٨) وتتحقق الأهلية للولاية بأمرين : القوة أي الكفاية والمقدرة على القيام بما يناط به على الوجه المنشود . والأمانة وهي الديانة والورع والتقوى التي تحمل صاحبها على مراقبة الله في السر والعلن ،وعدم التفريط في شيء مما وكل إليه من مهام هذه الولاية .

والانتخاب أمرجلل واختيار فاصل تتقرر به هوية البلاد ،ويسهم في صياغة مستقبل الأمة ،لذا ينبغي على المسلم أن يتساءل عما تبرأ به ذمته أمام ربه ،وعن المحددات الشرعية التي تحكم أداءه لهذا الدور . وإن هذه العملية (الانتخاب) تندرج تحت ثلاثة أبواب في الفقه الإسلامي وهي أبواب الأمانة والشهادة والولاء والبراء .

### ١ — الأمانة

سبق أن ولاية أمور الناس من أعظم الأمانات ،وقد أمر الله عزوجل بأداء الأمانات إلى أهلها ،وقد جعل النبي ﷺ إضاعة الأمانة بتوسيد الأمر لغير أهله من علامات الساعة ،وجعل خيانة الأمانة خصلة من خصال النفاق [ وإذا أوْتَمَنَ حَانَ ] ،وبين أن من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من

(٢٤) أرجو أن لا يفهم من ذلك انتقاص حق العمال في العمل السياسي ،فلا يضير العالم الكبير أن يكون جاهلاً بتغيير ( بلاتين ) السيارة ،كما لا يضير العامل أن يكون أستاذ الجامعة والوزير وأعضاء مجلس الشيوخ أكثر دراية وخبرة منه في العمل السياسي .

هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين. ولا يتحقق أداء الأمانة إلى أهلها إلا بدفعها إلى القوي الأمين، والقوة والأمانة في كل مكان بحسبه، وفي مجال مجلس النواب القوي الأمين هو من التزم بالإسلام عقيدة وشريعة، ويقدر على إقامة الحجة والانتصار للشريعة ودحض شبهات خصومها، والدراية بمكائده هؤلاء الخصوم وأراجيح السياسة والقدرة على التعامل مع هذه الأجواء بكفاية وديانة، فلا تحمله الكفاية والدهاء على التخوض في محارم الله، أو أن يستعمل من الحيل والأساليب ما يسخط الله، ولا تحمله الديانة على الإفراط في حسن الظن، والغفلة عما يجري حوله فينخدع ويغبن، ويتحول إلى أضحوكة بل ألعوبة في يد خصوم الشريعة من خيراء الدجل ودهـاقنة السياسة، والخلاصة أن يكون كما قال عمر رضي الله عنه: ( لست بالخب ولا الخب يخدعني ) .

## ٢ — الشهادة

يتضمن الانتخاب تركية وشهادة بأن هذا المرشح قد اجتمعت فيه القوة والأمانة اللازمة لأداء هذا العمل، فهو أرضى المرشحين لله ورسوله، وأقومهم بتبعات ومهام العمل النيابي، لذلك فهو أجدر من غيره بأن يقدم لهذا الموقع وأن تبذل له الأصوات التي تمكنه من الحصول عليه حتى يضطلع بأداء هذه الأمانة . ولا يخفى أن أمر الشهادة أمر جليل، فقد شدد النبي صلى الله عليه وسلم في شهادة الزور وقال: [ عدلت شهادة الزور الإشراف بالله، وتلا قول الله تعالى: { فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور } ] وجعلها صلى الله عليه وسلم من أكبر الكبائر فقال: [ ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاث: الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ] <sup>(٢٥)</sup> والزور كما قال الثعلبي تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يجيل لمن سمعه أو رآه أنه بخلاف ماهو به، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق . وإذا تمهد ذلك فقد علم أن هذا الاختيار (الانتخاب) إن لم يصادف محلاً فهو بمثابة شهادة الزور التي تعدل الإشراف بالله، والتي تحل أصحابها دار البوار.

وكي ينجو الناخب من شهادة الزور يجب عليه أن لا يشارك في الانتخاب إلا إذا كان مالكاً لحق الشهادة، ومملكه ذلك الحق يعني قدرته عليها، ويقدر عليها بشرطين :

١— إذا كان عالماً بالمهمة التي ينتخب لها ( كعضو مجلس نيابي، أو رئيساً للدولة، أو عضواً للمجلس البلدي ... )، يعرف الواجبات المطلوبة من هذا العضو، كي يقارن مؤهلات المرشحين بواجبات هذه المهمة .

٢ — إذا كان عالماً بأحوال المرشحين، وصفاتهم ومؤهلاتهم وقد عرفهم عن قرب، لأنه يريد أن يشهد بأن هذا المرشح أهلاً لهذه المهمة، أو ليس أهلاً لها، ولا تكون شهادته صحيحة إلا إذا كان مطلعاً على أحوال المرشحين، وهذا لا يكون إلا إذا كان الناخبون من طبقة المرشحين، أي

(٢٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٧) . ويأمل الباحث أن يقدم بحثاً عن فقه الانتخابات بإذن الله .



يكون الناخبون لرئيس الدولة من زملائه ( أمثاله ) الذين يعرفونه جيداً ، أما الذين لا يعرفونه فلا يجوز لهم أن يشهدوا على مالا يعرفون .

### ٣ ————— الولاء والبـراء

يخوض المرشحون للمجالس النيابية معركة انتخابية تتصارع فيها إيدولوجيات شتى وكل اختيار لأحد المرشحين يعد دعماً له في مواجهة خصومه ، ونصرة له على منافسه ، وذلك هو محض الموالاتة التي لا تتعقد إلا على أساس الإسلام ، ولا تشد أصرتها إلا على أساس الكتاب والسنة ، ولما كان الإسلام هو أحد هذه القوى المتصارعة ، يريد تحكيم شريعة الله عز وجل وإبطال ما يعارضها من النظم والمذاهب ، فقد تعين على الناخب المسلم أن يعطي صوته للمرشح المسلم الذي غلب على ظنه أنه سيعمل من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية ، ولا يجوز للمسلم شرعاً أن يمنح صوته لغير هذا المرشح المسلم ، وإذا تعدد المرشحون المسلمون فعلى الناخب المسلم أن يبحث عن القوي الأمين فيهم ويمنحه صوته .

ومن هنا كانت إشاعة العلم بالتكليف الشرعي لعملية التصويت ، وأنه أمانة يجب أن تؤدي إلى أهلها ، وشهادة يجب أن تقام على وجهها ، وموالاتة يجب أن تبذل على قانونها في الشريعة ، من أوجب الواجبات التي يتعين الاعتناء بها في بداية هذا المعترك ، حتى تتمكن من أن نستجيش مذخور الإيمان في أعماق الأمة ، ونوظفه في نصرة الحق والتمكين لشريعة الله في هذه المواقع ، فمتى يدرك المسلمون أن ذهابهم إلى أماكن التصويت من جنس ذهابهم إلى أماكن العبادة ، وأن ترجيحهم لمرشح على آخر عملية شرعية تتعلق بثلاثة أبواب في الفقه وهي : الأمانة والشهادة والولاء والبراء ، وإلها إن لم تتم على الوجه الذي يرضي الله ورسوله ؛ كانت مدعاة لسخطه وغضبه .

### إسلامية الانتخاب

إن بداية الرشد في الانتخاب هو التحرر من جاهلية التعصب القبلي أو الحزبي أو الاقليمي التي أفسدت على هذه الأمة دينها وديناها ولا تزال ، وبداية الرشد كذلك أن يدرك الناخب أنه يقدم شهادة لله أن هذا المرشح أرضى لله من غيره ، لذلك فهو أهل لأن تناط به هذه المسؤولية ، وأن تدفع إليه هذه الأمانة ، والتي إن دفعت إلى غير أهلها كانت خيانة لله ولرسوله وللمؤمنين .

وبداية الرشد كذلك أن يدرك الناخب المسلم أن من والى علمانياً أو شيوعياً فهو مثله ، وأن من دعا بدعوة الجاهلية فقدم الولاء للعشيرة أو الحزب على الولاء للإسلام والشريعة فهو من جثي جهنم وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ومن بداية الرشد إنضاج الوعي السياسي للأمة ، فيجب أن يدرك المسلمون أن لهم شريعة معطلة يجب الانتصار لها ، وخلافة غائبة يجب العمل على إحيائها ، وأن يدركوا أن تحكيم الشريعة يرتبط بأصل الإيمان بالله ورسوله ، ولا مجال فيه لترخص ولا مساومة ، ومن بداية الرشد أن يدرك المسلمون أن حسن اختيار المرشحين جزء من الانتصار للإسلام ، وأن هذا الاختيار يجب أن يتم على أساس الولاء للإسلام والرضا بتحكيم شريعته ، والمجاهدة على ذلك .

صفات أهل الشورى ( وهم من يختار الإمام ومن في حكمه )

وأهل الشورى لهم صفات تميزهم عن غيرهم ،وينبغي على الناخب المسلم أن يتعرف عليها ،كي يضع صوته في محله الصحيح ،ولا تخدعه شعارات الدعاية الانتخابية التي تديرها الأحزاب ،وتضحك بها على عقول الناخبين ،وهذه أهم الشروط:

١- العدالة الجامعة لشروطها أي لا يعرف منهم الفسق ،والظلم ،وغير ذلك مما حرمه الشرع الحنيف أو كرهه ( والمقصود بالعدالة أن يكون قائماً بالأركان والفرائض ،متوقياً الكبائر من الآثام ،لا يصر على الصغائر ،وأن يكون صادق اللهجة ،ظاهر الأمانة ،بعيداً عن الريب ،مأموناً وقت الرضا والغضب ،لا يجاهر بمعصية ،ولا يجوز في الحكم ،وعلى هذا لا تجوز إمارة الفاسق لأنه متهاون في الدين ،ومستهتر بأحكام الإسلام ) ( أبو فارس ،١٨٦ ) . يقول ابن خلدون : (... ولا خلاف في انتفاء العدالة فيه بفسق الجوارح من ارتكاب المحظورات وغيرها ) ( المقدمة ٢١٢ ) ،ويقول البغدادي : ( وأقل ما يجب له من هذه الخصلة أن يكون ممن تقبل شهادته تحملاً وأداء ) .

٢- العلم الكافي لمعرفة الغرض من الاختيار ،ومكانته في حياة المجتمع ،ومن ثم الشعور بعظم مسئولية هذا الاختيار أمام الله عزوجل ،ومن ذلك أن يتذكر قول الله عزوجل : { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل } (النساء : ٥٨) ،وقوله أيضاً : { يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون } (الأنفال : ٢٧) . ومن الضروري أن يعلم حدود المهمة التي سيختار لها ،فإذا كان سيشترك في اختيار رئيس الجمهورية ،يجب أن يعرف مهمات رئيس الجمهورية ،وأن يعرف المرشحين لهذا المنصب معرفة تكفي للحكم عليهم فيما إذا كانوا يصلحون لهذه المهمات ؟ بل عليه أن يقدر على معرفة الأفضل والأصلح لتولي تلك المهمة في ذلك الزمان والمكان . وإن لم يتمكن من ذلك فقد انتفى عنه شرط العلم الذي يؤهله ليكون من أهل الاختيار .

٣- الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيارالأصلح والأقوم ( الماوردي ،٦ ) . وهكذا فمن يشارك في اختيار رئيس الجمهورية ينبغي أن يكون ممن يحق له شرعاً أن يكون رئيساً للجمهورية ،ومن يساهم في اختيار رئيس البلدية ينبغي أن يكون ممن يحق له شرعاً أن يكون رئيساً للبلدية ،وهكذا يتحقق شرط العلم والرأي ،أما العامة الذين لا تتوافر فيهم الصفات السالفة الذكر، فلا يحق لهم المشاركة في الاختيار ،يقول الماوردي (ص٦): ( فإذا ثبت وجوب الإمامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم (أي من يقدر عليها) ،فإذا قام بها من هو من أهلها سقط الفرض عن الجميع ،وإن لم يقم بها أحد خرج من الناس فريقان أهل الإمامة حتى ينتصب أحدهم إماماً ،وأهل الاختيار حتى يختاروا إماماً للأمة ،وليس على من عدا هذين الفريقين من الأمة في تأخير الإمامة حرج ولا مآثم .

ومن تاريخ الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم نجد أن عمر رضي الله عنه حصر ترشيح الخليفة في ستة فقط من الصحابة ( أي جعل أهل الإمامة ستة فقط ) ،وكان هؤلاء الستة بمثابة مكتب تنفيذي لاختيار الخليفة آنذاك ،أما أهل الاختيار فهم الذين استشارهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ،وهم كبار الصحابة

من المهاجرين والأنصار، وقادة الجند، ولم يستشر كافة المسلمين في المدينة المنورة، ناهيك عن المسلمين في غيرها .

وقال صاحب العقد الفريد ( ٣٩/٣ ) : ( لما قتل عثمان رضي الله عنه أقبل الناس يهرعون إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتراكت عليه الجماعة في البيعة ، فقال لهم ليس ذلك لكم ، إنما ذلك لأهل بدر ، أين طلحة والزبير وسعد ؟ فأقبلوا فبايعوا ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ، ثم بايعه الناس ) . وجاء في تاريخ الطبري ( ٧٢٤/٤ ) قال محمد بن الحنفية كنت مع أبي حين قتل عثمان رضي الله عنه ، فقام فدخل منزله ، فأتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ، ولا نجد اليوم أحد أحق بهذا الأمر منك . وقال أبو بشير العبادي كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه ، واجتمع المهاجرون والأنصار ، فيهم طلحة والزبير ، فأتوا علياً فقالوا : يا أبا حسن ، هلم نبايعك ، فقال : لا حاجة لي في أمركم ، فاختاروا . فقالوا : ما نختار غيرك .

وجاء في الطبري أيضاً بقيت المدينة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه خمسة أيام وأميرها العاقبي بن حرب ، يلتمسون من يجيئهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه ، يأتي المصريون علياً فيختبئ منهم ، ويلوذ بجيطان المدينة ، ( بساتينها ) ، فإذا لقوه باعدهم وتبرأ منهم ومن مقاتلتهم مرة بعد مرة . ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، فأرسلوا إليه حيث هو رسلاً ، فباعدهم وتبرأ من مقاتلتهم ، ويطلب البصريون طلحة فإذا لقيهم باعدهم وتبرأ من مقاتلتهم مرة بعد مرة .

ثم قال الطبري : فلما اجتمع أهل المدينة ، قال لهم أهل مصر أنتم أهل الشورى ، وأنتم تعقدون الإمامة ، وأمركم عابر على الأمة ، فانظروا رجلاً تنصبونه ونحن لكم تبع ، فقال الجمهور علي بن أبي طالب نحن به راضون . والشاهد هنا أن أهل مصر قالوا لأهل المدينة بالحرف والنص والتحديد ( أنتم أهل الشورى ) ، أي أن غيركم ليس من أهل الشورى . وبالتالي لا شأن له باختيار الخليفة .

من هذه النصوص المنقولة عن الطبري يتضح أن عامة المسلمين لا يتدخلون في اختيار الخليفة ، ويتضح أن أهل الاختيار ( اختيار الإمام ) هم خاصة المسلمين مثل المهاجرون والأنصار في زمن الخلافة الراشدة ، أما المسلمون الذين قدموا من الكوفة ومصر والبصرة فلم يقبل منهم علي ولا طلحة ولا الزبير اختيارهم ، ولم يسمحوا لهم بالتدخل في هذا الأمر .

والمشهور عند المسلمين **تضييق نطاق الشورى** كماورد في طبقات ابن سعد ، قال : ( فلما اجتمعوا ) يقصد الستة ( قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اجعلوا أمركم إلى ثلاثة نفر ، فجعل الزبير أمره إلى علي ، وجعل طلحة أمره إلى عثمان ، وجعل سعد أمره إلى عبد الرحمن ، فائتمر أولئك الثلاثة حين جعل الأمر لهم ، فقال عبد الرحمن أيكم يتبرأ من هذا الأمر ، ويجعل الأمر إلي ( أي يتركوا له أمر الاختيار شريطة أن لا يختار نفسه ) ( ابن سعد ( ٣٤٤/٣ ) والبخاري والنسائي وغيرهم ) . ويتضح كيف عمل ( مكتب الشورى ) على تضييق نطاق الاختيار ، فبعد أن كان عددهم ستة أصبح ثلاثة ، ثم أصبح واحداً وهو عبد

الرحمن بن عوف رضي الله عنه الذي فوض باختيار الخليفة وهذا عكس الديمقراطية تماماً حيث تنادي بتوسيع مجال الشورى .

### أهل الشورى عند أبي بكر رضي الله عنه

لما ثقل مرض أبي بكر رضي الله عنه جمع الناس ونزع بيعته من أعناقهم، وكلفهم أن ينتخبوا غيره للخلافة، فذهبوا وتشاوروا وبحثوا فلم يتفقوا على أحد، فرجعوا إليه فوكلوه أن يختار لهم، فقال : أمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده .

وبدأ ( استشاراته ) ، وجعل يدعو أصحاب الرأي وكبار الصحابة واحداً بعد واحد ، فعدوا أولاً عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فكلمه في الأمر ، فنصح به عمر رضي الله عنه ، ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال مثل ذلك ، ثم شاور سعيد بن زيد رضي الله عنه وأسيد بن حضير رضي الله عنه وغيرهما من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين وسمع بذلك بعض الصحابة ( ممن لم يشاورهم أبو بكر ، لأنهم ليسوا من أهل الشورى رضي الله عنهم ) ، ممن لا يرون انتخاب عمر رضي الله عنه ، فدخلوا عليه فقال له قائل منهم ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد ترى غلظته ، وهو إن ولي كان أظف وأغلظ ؟

قال أبو بكر : أجلسوني . فلما جلس قال أبالله تخوفوني ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم . أقول اللهم إني قد استخلفت على أهلك خير أهلك ، ثم اضطجع رضي الله عنه ، (الطنطاوي ، ٦٠) . ويلاحظ أن هؤلاء الصحابة الذين ليسوا من أهل الشورى ، لم يتمكنوا رضي الله عنهم من معرفة مكانة عمر رضي الله عنه ، وأهمية توليته للخلافة ، لأنهم ليسوا من أهل الشورى ، مثل الصحابة الآخرين رضي الله عنهم الذين شاورهم الصديق رضي الله عنه ، فتمكنوا من معرفة ذلك ، وأشاروا به .

### أهل الشورى عند عمر رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه يتبع نهج الإسلام في الحكم فلا يرم أمراً إلا عن مشورة تنفيذاً لقوله تعالى : { وشاورهم في الأمر } ، وقوله سبحانه { وأمرهم شورى بينهم } ، فلما أراد الخروج إلى العراق ، نادى الصلاة جامعة ، فاجتمع إليه الناس فأخبرهم الخبر ، فقال العامة : سر وسر بنا معك ، فدخل معهم في رأيهم وكره أن يدعهم حتى يخرجهم منه في رفق ، ثم بعث إلى أهل الرأي فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب فقال : أحضروني الرأي فإني سائر فاجتمعوا جميعاً ، وأجمع ملؤهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقيم ويرميه بالجنود ، فنادى عمر الصلاة جامعة ، وقام في الناس فقال ... والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره ، وكذلك يحق على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بين ذوي الرأي منهم ، فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر... أيها الناس إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ( تاريخ الطبري ، ٨٣/٤) .

ولما خرج عمر رضي الله عنه إلى الشام في إحدى قدماته لقيه في سرع ( قرب تبوك ) أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه فأخبروه أن الطاعون وقع في الشام ( قال ابن عباس ) فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين ، فدعاهم واستشارهم وأخبرهم أن الوباء وقع في أرض الشام فاختلّفوا فقال بعضهم معك بقية

الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، وقال بعضهم قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: أدع لي الأنصار فدعوهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال ادع لي من كان هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوهم فلم يختلف عليه رجلان فقالوا: ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.... ثم جاء عبد الرحمن بن عوف ﷺ وكان متغيباً فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه ] (٢٦) ، فحمد الله عمر ﷺ ثم انصرف .

ولما بلغ عمر ﷺ أن أهل فارس تجمعوا يريدون فهاوند، نادى بالناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فاستشارهم، فقام عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، رضي الله عنهم، في رجال من أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: لا نرى أن تسير أنت إليهم، فأرسل النعمان بن مقرن ﷺ (الطبري ٢٣٧/٤) .

ومن البدهي أن أهل الشورى غير هؤلاء الستة الذين كلفهم عمر ﷺ بترشيح الخليفة؛ وقد شاورهم عبد الرحمن بن عوف ﷺ خلال الأيام الثلاثة كما قال الطبري (٢٨٥/٢) : ( ودار عبد الرحمن لياليه يلقي أصحاب رسول الله ﷺ، ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس، يشاورهم... فلما صلوا الصبح (نهاية الأيام الثلاثة) جمع عبد الرحمن الرهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد فاجتمعوا حتى التح المسجد بأهله، قال عبد الرحمن: إني قد نظرت وشاروت، ثم دعا علياً فقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله ورسوله وسيرة الخليفين من بعده؟ قال علي: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ودعا عثمان فقال له كما قال، قال عثمان: نعم، فبايعه .

نخلص من هذا العرض المطول لفقده الاختيار عند صحابة رسول الله ﷺ إلى أن هذه العملية (الانتخاب) عمل سياسي هام جداً، يترتب عليه صلاح الأمة أو خرابها، وأقل ما يوصف به أنه شهادة يؤديها المختار (الناخب) لله عز وجل وأن الشاهد موصى من رسول الله ﷺ. بما معناه: (على مثل هذا فاشهد وأشار إلى الشمس)، أي اشهد على أمر تراه واضحاً كوضوح الشمس، وإلا فلا تشهد، فإذا طلبت للشهادة في قضية لا تعرفها فإنك تقول لا أدري، وكذلك في الاختيار فإن كنت تعلم ما هو الاختيار؟ ومن تختار؟ وماذا يترتب على ذلك؟ فأنت من أهل الاختيار، وإلا فاتق الله أيها المسلم .

والاختيار مراتب، فهناك اختيار إمام المسلمين، وربما يدعى المسلمون لاختيار النقباء (النواب)، وقد يكون الاختيار على نطاق المدينة الواحدة لاختيار أعضاء المجلس البلدي مثلاً، وفي كل مستوى من هذه المستويات لابد من توفر هذه الشروط :

١- معرفة المهمة التي يختار لها فأهل الاختيار المكلفون باختيار إمام المسلمين يجب أن يكون

لديهم العلم بمعرفة مهام الإمام وواجباته، ويجب أن يعرفوا المرشحين معرفة كافية للتمييز بينهم

(٢٦) صحيح البخاري (٣١/٧)، وموطأ مالك (٧٧/٤) .

ومعرفة الأفضل لهذه المهمة ،عندئذ يقارن أهل الاختيار بين واجبات المهمة وصفات المرشحين لها ،فيعرفون الأفضل لهذه المهمة . وتكون شهادتهم صحيحة إذا اجتهدوا وأخلصوا .  
٢- معرفة المرشحين للمهمة ويجب أن تكون معرفة وافية تكفي للحكم عليهم ،والمفاضلة بينهم ،معرفة عن قرب ومعايشة واهتمام .

يقول الماوردي (ص٦) : ( فأما أهل الاختيار فالشروط المعتبرة فيهم ثلاثة أحدها العدالة الجامعة لشروطها ،والثاني العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها ،والثالث الرأي والحكمة المؤديان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح ،وبتدبير المصالح أقوم وأعرف ) . ثم يذكر الماوردي ضرورة معرفة أهل الاختيار المرشحين للإمامة معرفة تكفي لمعرفة الأصلح فيقول (ص٦) : ( وإنما صار من يحضر ببلد الإمام متولياً لعقد الإمامة عرفاً لا شرعاً ،لسبوق علمهم بموته ،ولأن من يصلح للخلافة في الأغلب موجودون في بلده ) . أي يعرفهم وعاش معهم ،وخالطهم حتى يستطيع أن يحكم على صلاحيتهم للإمامة .

كما يقول القاضي أبو يعلى الفراء ( ص ٢٤ ) : ( وإذا اجتمع أهل الحل والعقد على الاختيار تصفحوا أحوال أهل الإمامة الموجود فيهم شروطها ،فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلاً ،وأكملهم شروطاً - وهذا يعني أنهم يعرفونهم معرفة شخصية وافية - فإذا تعين لهم من بين الجماعة من أدام الاجتهاد إلى اختياره وعرضوها عليه ،فإن أجاب إليها بايعوه عليها ،وانعقدت له الإمامة ببيعتهم ،ولزم كافة الأمة الدخول في بيعته والانقياد إلى طاعته ) .

### يا أيها الناخب المسلم

فقد تمهد في فقه الشريعة أن ولاية أمور الناس من أعظم الأمانات ،وقد أمر الله جل وعلا بأداء الأمانات إلى أهلها ،فقال عز وجل : { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها } (النساء : ٥٨) ،وتتحقق الأهلية للولاية بأمرين القوة ( الكفاية والمقدرة على القيام بما يناط به على الوجه المنشود ) ،والأمانة ( وهي الديانة والورع والتقوى التي تحمل صاحبها على مراقبة الله في السر والعلن ،وعدم التفريط بشيء مما وكل إليه من مهام هذه الولاية ) . ولما كان الأمر جلالاً ،وكان الاختيار فاصلاً تنقرر به هوية البلاد ؛ فإن المسؤولية تزداد جسامة وخطراً ،ويصبح من المتعين على كل فرد أن يتساءل عن دوره وما تبرأ به ذمته أمام ربه في هذه المعركة . وإن هذه العملية (الانتخاب) تندرج تحت ثلاثة أبواب في الفقه الإسلامي وهي أبواب الأمانة ،والشهادة ،والولاء والبراء .

١- الأمانة : وقد جعل النبي ﷺ إضاعة الأمانة بتوسيد الأمر لغير أهله من علامات الساعة ،وجعل خيانة الأمانة خصلة من خصال النفاق [وإذا أؤتمن خان] وبين أن من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين .

٢- الشهادة : والاختيار (الانتخاب) يتضمن تزكية وشهادة بأن هذا المرشح قد اجتمعت فيه القوة والأمانة اللازمة لأداء هذا العمل ،فهو أرضى المرشحين لله ورسوله ،لذلك فهو أجدر من غيره بهذا الموقع ،وقد شدد الرسول ﷺ في شهادة الزور وجعلها من أكبر الكبائر ،وقرئها

بالشرك وعقوق الوالدين ، فعن أبي بكره عن أبيه قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال: [ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاث: الإشارك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور ، وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت] ( سبق تخريجه ) .  
 ٣- الولاء والبراء : واختيار المرشح يعد دعماً له في مواجهة خصومه ، ونصرة له على منافسه ، وذلك هو محض الولاء الذي لا ينعقد إلا على أساس الإسلام ، ولا تشد أصرهما إلا على أساس الكتاب والسنة ( الصاوي ، ١٦٦ ) .

#### – وتختلف الديمقراطية والشورى في الدعاية الانتخابية

أما في الديمقراطية فالدعاية الانتخابية ديدها ، وركن أساسي فيها ، والمجتمع الأمريكي يعيش نصف عمره على الأقل في الدعاية الانتخابية ، إذ يبدأ التحضير للانتخاب قبل سنتين ، وتعاد الانتخابات كل أربع سنوات .

والدعاية الانتخابية ضرورية للديمقراطية لأن الناخبين لا يعرفون المرشحين ، ولا يعرفون ماذا يفعلون في الانتخابات ، لذلك فالدعاية الانتخابية ضرورية عندهم ، بل الدعاية الناجحة تجعل حزباً معيناً يفوز بالانتخابات ويصل إلى سدة الحكم ، والدعاية الضعيفة تؤدي إلى الفشل . والدعاية الانتخابية تقوم على الكذب والقذف والتضليل ، ولوسائل الإعلام الدور الأكبر فيها ، ووسائل الإعلام العالمية مازالت بيد أعداء البشرية من القوى الخفية المسيطرة على العالم ، ويسارع المرشحون إلى إطلاق الوعود ، ودعوة الناخبين إلى انتخابهم ، ومن وسائل الدعاية الانتخابية إظهار عورات الخصم السياسي ، والتجسس عليه وفضحه بدلاً من ستره ونصيحته ، كما يصل الأمر إلى حد القذف وتلفيق الحكايات والأخبار لإسقاط الخصم عند جمهور الناخبين ، فيفشل في الانتخابات .

ولا يرى الباحث حاجة المسلمين للدعاية الانتخابية ، بل يرى ضررها الكبير في المجتمع المسلم ، وتبدو نشازاً فيه ، لأن الأصل في المسلم أنه لا يطلب الإمارة ، فقد قال سبحانه وتعالى { تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين } ( القصص : ٨٣ ) ، وأخرج الستة ماعدا مالك عن عبد الرحمن بن سمره عن رسول الله ﷺ قال: [ يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ] (٢٧) وللبخاري والنسائي عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : [ إنكم ستحرصون على الإمارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرزعة وبئست الفاطمة ] (٢٨) . وللشيخين وأبي داود والنسائي عن أبي موسى قال دخلت على النبي ﷺ أنا ورجلان من بني عمي فقال أحدهما يارسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عزوجل ، وقال الآخر مثل ذلك فقال : [ إنا والله لانولي هذا العمل أحداً

(٢٧) صحيح البخاري ، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها ، ومسلم (١٦٥٢) في الإمارة ، وأبو داود في الخراج (٢٩٢٩)

والترمذي (١٥٢٩) في النذور ، والنسائي (٢٢٥/٨) في آداب القضاة ، وأحمد (٦٢/٥) وجامع الأصول (٥٨/٤) .

(٢٨) البخاري (١١١/١٣) في الأحكام باب ما يكره من حرص على الإمارة ، والنسائي (٢٢٥/٨) في آداب القضاة ، وأحمد

(٤٤٨/٢) ، وجامع الأصول (٥٩/٤) .

سأله أو حرص عليه [ (٢٩) ]. ( وإن أدب المسلم ألا يطلب الإمارة لنفسه، وألا يزاحم عليها، وألا ينزاع أهلها، وإذا أعطيتها وكان ضعيفاً عنها فعليه ألا يقبلها، إلا إذا تعين لها فقد وجب عليه أن يقوم بحقتها (سعيد حوى، فصول، ١٤). والمقصود بقوله تعين لها أي لا يوجد من يقوم بها غيره، ولا يدخله الشيطان من باب أنه هو الأفضل، فيكفيه نقصاً أن يرى نفسه (الأفضل)، بل ليتذكر جواز إمارة المفضل، وليتذكر أنه يستطيع أن يضع كل إمكاناته (الفذة) وخبرته وعبقريته بين يدي أخيه الأمير، أما إذا لم يوجد من تتوافر فيه الشروط المنصوص عنها في غيره، وهذا فرض مستحيل فعندئذ لا بأس بقبوله بما بعد أن يلح عليه أهل الاختيار .

فما فائدة الدعاية إذن في المجتمع المسلم، حيث لا تجد من يحرص على الإمارة، ويسعى إليها؟ ويقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوصي رافع الطائي أقم الصلاة المكتوبة لوقتها، وأدّ زكاة مالك طيبة بما نفسك، وصم رمضان، ووحج البيت ...، ولا تكن أميراً...، ثم قال هذه الإمارة التي ترى اليوم سيرة (باردة) قد أوشكت أن تفسو وتكثر حتى ينالها من ليس بأهلها، وإنه من يكن أميراً فإنه من أطول الناس حساباً، وأغلظهم عذاباً، ومن لا يكون أميراً فإنه من أيسر الناس حساباً، وأهونهم عذاباً، لأن الأمراء أقرب الناس من ظلم المؤمنين، ومن يظلم المؤمنين فإنما يخفر الله (ينقض عهده) (كتر العمال، ٣/ ١٦٢). وسئل الإمام أحمد رحمه الله في الرجل يكون في بلد لا يكون فيه أحد أولى بالقضاء منه لعلمه ومعرفته، فقال: ( لا يعجبني أن يدخل الرجل في القضاء، هو أسلم له ). ووجه ذلك ما رواه أبو حفص بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: [ من سأل القضاء وكل إلى نفسه، ومن أجبر عليه نزل عليه ملك يسدده ] (٣٠)، ثم يقول القاضي أبو يعلى: ( وذهب قوم إلى نفي الكراهة (كراهة طلب الإمارة) لأن نبي الله يوسف عليه السلام رغب إلى فرعون في الولاية والخلافة، فقال: { اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم } (يوسف: ٥٥). وهذا يدل على جواز الطلب من غيره، لأن يوسف عليه السلام كان نبياً معصوماً من الظلم والجور فيما يليه من الأعمال، وهذا المعنى غير مأمون في حق غيره ) (الفراء، ٢٧). والخلاصة يرى الباحث أن الدعاية الانتخابية نشاز في المجتمع المسلم لما يلي:

١- كراهية طلب الإمارة .

٢- تضيق نطاق الاختيار (الانتخاب)، لأن من شروط الناخب معرفة المرشحين، لذلك لا حاجة للدعاية الانتخابية، فإذا كان الناخب على درجة من الوعي والمعرفة بحيث يعرف المرشحين؛ وبالتالي يستطيع أن يقارن بينهم، ويفضل أحدهم لهذه المهمة، فلا حاجة للدعاية الانتخابية، بل إن الناخب الذي تؤثر فيه الدعاية الانتخابية لا يصلح كي يكون ناخباً، لأن علمه ضعيف، ورأيه بسيط لذلك أثرت فيه الدعاية، ومثل هذا لا يجوز أن يكون ناخباً .

(٢٩) البخاري (١١١/١٢) ومسلم (١٧٣٣) والنسائي (٢٢٤/٨) وأبو داود (٢٩٣٠) وجامع الأصول (٦٠/٤) .

(٣٠) الترمذي في الأحكام (١٧٠/١)، وأبو داود في القضاء (١٤٧/٢)، وصححه الحاكم في المستدرک (٩٢/٤)، والمقطع من الأحكام السلطانية للفراء (ص ٧٠) .



ويريد الباحث أن يخلص المجتمع المسلم من أمراض المعارك الانتخابية التي تترك الحزابات والأحقاد في المجتمع المسلم . وقد عملت هذه المعارك الانتخابية عملها المخرب وأطلقت سمومها في بعض الحركات الإسلامية المعاصرة ، فأدى ذلك إلى انقسام صفها ، وتشرذمها ونمو الخلافات بين أبنائها ؛ فتنازعو ثم فشلوا ثم تشرذمت تلك الحركة التي دوخت أعداءها قبل أن يسלט الله عليها ذلك البلاء ؛ المسمى الانتخابات الديمقراطية ؛ وما يرافقها من دعاية انتخابية بما فيها من التشهير والتضليل ... ، وأثناء الحملات الانتخابية كان المرء يعجب من الافتتاح على الأخوة ، وتسقط هفواتهم ، والتنقيب عن عيوبهم وفضحهم بدلاً من سترهم ، والسعي الحثيث وراء الناخبين الذين لا يعرفون من ينتخبون ، والذين أعطي لهم حق الانتخاب تمثيلاً مع الديمقراطية وجهلاً بالسياسة الإسلامية أعطي لهم حق الانتخاب وهم لا يعرفون المرشحين ، ولم يسبق لهم رؤيتهم ومخالطتهم للحكم عليهم ، ولا يعرفون المهمة التي ينتخبون لها ، لذلك تسابق الكبار إليهم ليحروهم بالقناعة أو الخجل أو التضليل ، المهم أن يدلوا بأصواتهم ؛ لأن أصواتهم ستقرر مصير أمة ، وستصنع التاريخ . وقد تركت الدعاية الانتخابية أحقاداً وأمراضاً يصعب علاجها ، إلا إذا شاء الله ذلك ، ونسأل الله العليّ القدير أن يغفر لنا ولهم ، وأن يصلح أحوالنا وأحوالهم وأحوال المسلمين ويدلنا ويدلهم على الحق ، ويحفظ لنا ديننا الذي ارتضاه لنا ، إنه غفور رحيم .

### الأكثرية والأقلية

ومن الفوارق بين الشورى والديمقراطية موضوع الأكثرية والأقلية ، ففي الديمقراطية العبرة للأكثرية فقط لأنها أكثر عدداً ، كما مر معنا ، أما الأكثرية في الشورى فإنها أكثرية خاصة ، فنقول أكثرية أهل الشورى ، وأكثرية أهل الحل والعقد ، ولو فرضنا أن أكثرية أهل الحل والعقد اختاروا إماماً وبايعوه ، وأكثرية العامة لا ترغب به (فرض ذلك جدلاً) ، لو حصل ذلك ؛ فإنه إمام ويجب على العامة من المسلمين أن يبايعوه ، لأنه صار إماماً عندما بايعه أكثر أهل الحل والعقد ، وعلى العامة أن يقلدوا هؤلاء الأكثرية من أهل الحل والعقد ويبايعوه ، ومن لا يبايع منهم ثم يموت ؛ يموت ميتة جاهلية كما نص الحديث الشريف .. [ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية] (مسلم ، الإمارة) . ويقول النووي رحمه الله : أي مات على صفة من صفات الجاهلية وهي أنهم فوضى لا إمام لهم .

أما الأقلية فإنها في الديمقراطية تسمى المعارضة في البرلمان ، وهذه المعارضة يصبح همها إظهار الحكومة (المشكلة من الأكثرية) فاشلة أمام الشعب ، وربما تعمل على عرقلة سير الحكومة بالطرق الدستورية (قادري ، ١٣٥) ، ويقوم الصراع بينهما ولا ينتهي إلا بعد سقوط الحكومة ، ليتم تبادل الأدوار عند ذلك ثم يستأنف الصراع . وهكذا دواليك . أما في الشورى فإن الإمام الذي يبايعه أكثر أهل الحل والعقد صار إماماً (والإمام له مكانة دينية) ويجب شرعاً على الأقلية ما يلي :

١- أن تبايعه ، ومن لم يبايع فمات مات ميتة جاهلية .

٢- يجب طاعته ، وتنفيذ أوامره ، تنفيذاً لأمر الله عزوجل { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم .. } (النساء : ٥٩) .

٣- وعلمنا رسول الله ﷺ أن تنشط الأقلية لتنفيذ قرار الأكثرية ، كما فعل ﷺ يوم أحد ، ومن ثم فلامعارضة في أهل الحل والعقد أو مجلس الشورى المسلم ، وإنما الجميع يخلص ويجهد في تقديم النصيحة عملاً بقول رسول الله ﷺ فعن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : [ الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ] ( شرح النووي ، ١/٣٧ ) . فيقدم النصيحة ، ويحرص على مصلحة الأمة لا مصلحة الحزب . ويوفر ذلك كثيراً على الأمة ، مثل سحب الثقة من الحكومة ، أو مهاجمة الصحف للحكومة ، وتلفيق الأخبار الكاذبة أو تضخيم الصحيحة وتهويلها ضد الحكومة . وهذا لا يعني أن لا تراقب الحكومة ، بل إن الأمة كلها تراقب الحكومة في أعمالها ، وتنصحها ( ولقد فشلت النظم الديمقراطية لأنها تسمح للأقلية أن تناقش رأي الأكثرية ، بعد انتهاء المناقشة ، عندما تقره الأكثرية ، وتشكك الأقلية في قيمته وصلاحيته أثناء التنفيذ ) ( عبد القادر عودة ، ص ٢٠٤ ) .

### موقف الحركة الإسلامية من الديمقراطية

أرجو أن لا يفهم مما سبق الهجوم على الديمقراطية في كل زمان ومكان ، بل لا بد من التذكير أن الباحث قارن الديمقراطية بالشورى ، وأراد من ذلك الإسهاب ما يلي :

١- أن لا تسلك الحركات الإسلامية مسلكاً ديمقراطياً داخل صفوفها ، فالحركات الإسلامية هي نواة المجتمع المسلم ، ثم الدولة المسلمة ، ويجب أن تقوم على الإسلام ، وأن تكون صافية من الشوائب الجاهلية ، ويعزو الباحث قسماً كبيراً من التعثر السياسي للحركة الإسلامية المعاصرة إلى عدم صفائها وخلاصها من شوائب الجاهلية ، ولا عجب في ذلك ، عندما نتذكر قول رسول الله ﷺ للصحابي أبي ذر رضي الله عنه [ إنك امرؤ فيك جاهلية ] ، فكيف إذن بعض الدعاة في الحركات الإسلامية المعاصرة ، بل يرى الباحث أن مسلمي الصحوة الإسلامية المعاصرة على الرغم من مزاياهم الحسنة الكثيرة إلا أنهم لم يستطيعوا حتى الآن تصفية نفوسهم من الجاهلية ، والمهم منهجهم وليس ذواتهم ، المهم أن يكون منجهم إسلامياً صافياً يقوم على الشورى ، لا على الديمقراطية .

٢- أن يكون واضحاً لدى كل مسلم أن الشورى وليس الديمقراطية ؛ هي نظام الحكم الرباني الذي ارتضاه سبحانه وتعالى للناس كافة .

أما موقف الحركة الإسلامية المعاصرة في تعاملها السياسي مع الحركات السياسية الأخرى ، فمما لا شك فيه أن الديمقراطية وليس الديكتاتورية ، هي أخف الضررين ، لذلك تطالب الحركة الإسلامية بها . وتعتبر آخر ، فإن النظام الديمقراطي أقل ضرراً من أي نظام سياسي غير إسلامي ، وتعتبر آخر النظام الديمقراطي أقرب الأنظمة السياسية إلى النظام الإسلامي ؛ لكنه يختلف عنه بالتأكيد . وفي الجو السياسي الديمقراطي تستطيع الحركة الإسلامية أن تمهد لقيام الحكم الإسلامي ، وتتمكن من إحلال الشورى بدلاً من الديمقراطية ، لأن الشورى نظام أرقى من الديمقراطية .

ويقول عبد الله قادري ما خلاصته ( سبب الإعجاب بنور الفتيل هو غياب الشمس ، وسبب هذا الإعجاب بالديمقراطية هو غياب التطبيق العملي للإسلام ؛ في معظم الشعوب الإسلامية ، وغياب الإسلام عن التطبيق مثل غياب الشمس ، وإذا ظهر في ظلمة الليل سراج ( فتيل ) أعجب به الناس ، وهكذا أعجب المسلمون بالديمقراطية لغياب تطبيق الإسلام .

ولكن بصيص النور خير من الظلمة المطبقة، فالنظام الديمقراطي أحف ضرراً وأقل شراً من الاستبدادي، لذلك تجد المصلحين في بلدان المسلمين التي أثقلها الحكم الاستبدادي يتمنون الحكم الديمقراطي، والغالب أنه إذا طبق النظام الديمقراطي في بلاد المسلمين كما في بلاد الغرب؛ ستكون الغلبة للإسلاميين.

لذلك يسعى أعداء المسلمين إلى حرمانهم من ممارسة الديمقراطية، لأن الديمقراطية تمنح الشعوب شيئاً من الحرية، والمسلمون الأحرار لا يختارون غير الإسلام، لذلك مكن أعداء المسلمين للأنظمة الديكتاتورية في بلاد المسلمين.

واستدل القادري بقول ابن تيمية: (... فإذا لم يحصل النور الصافي بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف، وإلا بقي الإنسان في الظلمة، فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة، إلا إذا حصل على نور لا ظلمة فيه) (الفتاوى، ١٠/٤٦٣).

وبناء على ذلك فإن النظام الديمقراطي، الذي يصل فيه الحكام إلى الحكم بالحمولات الانتخابية الفاسدة خير من الوصول إلى الحكم بالانتقالات العسكرية (عبد الله قادري، ص ١٢٢-١٣٨ بتصرف كبير).

### النظام الإسلامي غير ثيوقراطي

الحكم الثيوقراطي هو الإدعاء بأن الله عزوجل هو الذي أعطى فلاناً من الناس الحكم، والحاكم عندئذ يدعي أنه مفوض (موكل) من الله عزوجل، وليس من الشعب، وعندئذ يرتكب ما يرتكبه من ظلم وقهر وغيره باسم الله وباسم الدين، كما كان في أوروبا خلال العصور الوسطى، حتى كره الأوروبيون الدين، وكان شعار الثورة الفرنسية (أعدمو آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس). أي تخلصوا من الكنيسة أولاً، ثم من الإقطاع. ويقول لويس السادس عشر: (إن سلطة الملوك مستمدة من تفويض الخالق، فالله لا الشعب مصدرها، وهو مسؤول أمام الله وحده عن كيفية استعمالها. وجاء في مقدمة مرسوم ديسمبر سنة (١٧٧٠) التي أصدرها لويس الخامس عشر (إننا لم نتلق التاج إلا من الله، فسلطة عمل القوانين من اختصاصنا وحدنا بلا تبعة ولا شركة) (السيد الشوربجي، ص ٥٥).

إن الذين ذهبوا هذا المذهب كذبوا على الله، فهذا الذي ذهبوا إليه يرفعهم إلى مرتبة الألوهية، ولم يعط ذلك لأحد، حتى الأنبياء والرسل، وهذا الذي زعمه أولئك الحكام نوع من أنواع الشرك الذي وقع فيه النصارى كما قال تعالى: { اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، والمسيح ابن مريم... } (التوبة: ٣١).

أما الإسلام فالحاكم فيه ليس منصباً من قبل الله كما تزعم النظريات الدينية النصرانية، وليس حراً في أن يقرر ما يشاء، الخليفة المسلم تنصبه الأمة المسلمة، وهو يلتزم بأحكام الشرع ولا يجوز له الحيدة عنها، وهو مسؤول أمام الأمة، وأمام مجلس الشورى عن أعماله (الأشقر، ٣٢٢).

وقد ادعت فئة من الشيعة أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ، ومن بعده لولده الحسن بن علي ﷺ، وهكذا يعددون إثني عشر إماماً، نص على إمامتهم، وإذا أخذنا بعين الاعتبار عصمة الإمام التي تعتقد بها الشيعة، عندئذ نرى أن نظام الحكم كما يراه الشيعة نظام ثيوقراطي، لأنه يعتقد أن الحاكم فيه يولى بالنص ولا يولى بالاختيار من قبل الأمة.

أما نظام الحكم الإسلامي، فالإمام أو الخليفة تنصبه الأمة المسلمة ممثلة في أهل الحل والعقد، وتستطيع أن تخلعه إذا رأى أهل الحل والعقد ذلك، كما أن الأمة كلها تمارس مراقبة الحاكم المسلم، وتنصحه، وتسأله، وتنكر عليه، والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى، ومعروفة لا تخفى .

يقول القرضاوي ( إن الدولة الإسلامية دولة مدنية، تحتكم إلى الشريعة، رئيسها وأعضاؤها بشر، يصيبون ويخطئون، يحسنون ويسئون، يطيعون ويعصون، وعلى الناس أن يعينونهم إذا أحسنوا. ويرفضوا أمرهم إذا أمروا بمعصية ) يوسف القرضاوي، مجلة الإرشاد الجزائرية، ٤/١٠٤١٠هـ .

-----

## الفصل الرابع خصائص السياسة الإسلامية

كي يميز الباحث منهج السياسة الإسلامية فقد حاول أن يميزه عن السياسة الجاهلية (المكياقلية)، كما حاول أن يميزه عن الديمقراطية، والآن يحاول الباحث أن يبين الخصائص التي تميز هذا المنهج، وهي: البيعة، والشورى، والعدالة، والتعاون، والاهتمام بالمسلمين .

### البيعة

#### البيعة العامة والبيعة الخاصة

البيعة اصطلاح سياسي إسلامي خلاصته أنه يجب على كل مسلم ديانة أن يبايع أميراً يطبق شرع الله عزوجل في المجتمع، لأن الدين لا يقوم بدون ذلك وفي هذا يقول ابن تيمية يرحمه الله: ( لا يجوز للمسلمين أن يبيتوا ليلة بغير إمام يقودهم بكتاب الله وسنة رسوله ؛ وإلا كانوا آثمين ) مشروعية العمل الجماعي، ص ٩٠). والبيعة في مصطلحها الأصلي هي مبايعة إمام المسلمين ذي الشوكة، وتسمى البيعة العامة، حيث يبايع الإمام من أهل الشورى أولاً، وعندئذ يصير إماماً، ويجب على المسلمين كافة مبايعته. أما البيعة لأمر جماعة إسلامية فهو عهد أو نذر، ولا ضرر في تسميته بيعة إذ لا مشاحة في الاصطلاح، فهذا عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، عندما اشتدت الحرب على المسلمين يوم اليرموك، ينادي بأعلى صوته من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور، ومعهما أربعمائة من أبطال المسلمين وفسانهم، فدافعوا عن فسطاط خالد حتى أثبتوا جراحاً كلهم، فتراجعت الروم أمام ثبات عكرمة وأصحابه (الوكيل، ٦٧)، وإن نقضها لا يزيد عن كفارة اليمين، أما نقض البيعة العامة لإمام المسلمين فإنه يخرج من الملة، ونقض بيعة أمير جماعة إسلامية معاصرة لا يخرج من جماعة المسلمين، لأن جماعة المسلمين هي مجموع الجماعات الإسلامية المعاصرة وغيرها من الأفراد الملتزمين بالإطار العلمي لجماعة المسلمين<sup>(٣١)</sup>. ويقول ابن تيمية كذلك ( إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، ولا يقوم الدين إلا بها (قمر الدين خان، ٥٠)، والبيعة الخاصة هي المشاركة في العمل الجماعي، لذا سيتحدث الباحث عن العمل الجماعي وحكمه في الشرع، ثم يتحدث عن (أولي الأمر) الذين يطلب من كل مسلم مبايعتهم .

### العمل الجماعي

أخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال (... إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه كان هلاكاً له ولهم) (الدارمي، ٩٧/١). فالفرد وحده لا يستطيع أن يقوم بأحكام الإسلام، بل إن أكثر أحكام الإسلام تعالج الحياة الاجتماعية، وما يتفرع عنها من سياسة واقتصاد وأسرة وجهاد... الخ، وإن ثلثي أحكام الفقه الإسلامي إنما ينط تنفيذها بجهاز الحكم في المجتمع الإسلامي. يقول ابن تيمية يرحمه

(٣١) انظر: شرعية الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية المعاصرة، لمركز تطبيق الشريعة في إسلام آباد .

الله ( ... فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ،لحاجة بعض الناس إلى بعض ،ولابد لهم عند الاجتماع من رأس،حتى قال النبي ﷺ: [ إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم ] (جامع الأصول ١٨/٥) . فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر ،تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع ،ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة . وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل ، وإقامة الحج ،والجمع ،والأعياد ،ونصر المظلوم ، وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والإمارة (السياسة الشرعية ،١٥٣) .

ويقول ابن تيمية أيضاً فقد أوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر منبهاً بذلك على سائر أنواع الاجتماع (السياسة الشرعية ،١٦١) ،ويقول الشوكاني في (نيل الأوطار ،٨ / ٢٦٥ ) : وهذا شرع لثلاثة في فلاة أو مسافرين فشرعته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ،ويحتاجون دفع التظالم وفصل الخصام أولى وأحرى .

إذن لا إسلام بلا جماعة ،وليس الدين علاقة شخصية بين الفرد وربه فقط ،أي لا إسلاماً كاملاً بلا جماعة ،فالفرد وحده يستطيع أن يطبق جزءاً يسيراً جداً من الإسلام ،وثلثي الإسلام يعجز الفرد وحده عن تطبيقها ،فالإسلام يشمل علاقة الإنسان بربه عزوجل ،ثم علاقة الإنسان بالناس الآخرين ،وعلاقته بالكون ،ولأن الإنسان مدني بالطبع ،وقد فطره الله على ذلك الطبع ،والإسلام دين الفطرة ،ودين الله للبشرية كلها ،في كل زمان ومكان ،ولا يقوم هذا الدين إلا في مجتمع ؛ هو المجتمع الإسلامي،ولكن لاجتماعه بدون إمارة.

وهنا لا بد من التفريق بين مفهوم (الجماعة) و(التجمع) وسنمثل الجماعة بالعمارة، والتجمع بكومة الحجارة ،والأفراد هم لبنات البناء . وهذا التشبيه مستمد من كتاب الله عزوجل ،وحديث رسول الله ﷺ ،فقد قال عزوجل { إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص } (الصف : ٤ ) ،أي يحب المجاهدين الذين يصفون أنفسهم ويثبتون في أماكنهم عند لقاء العدو ،(كأنهم بنيان مرصوص) أي كأنهم في تراصهم وثبوتهم في المعركة ،بناء قد رص بعضه ببعض ،وألصق وأحكم حتى صار شيئاً واحداً ( صفوة التفاسير ) ،والعمارة بنيان مرصوص ،كل موحد ،يشد بعضه بعضاً ،والعمارة شيء أكبر بملايين المرات من لبنات مبعثرة كما سنرى بعد قليل .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : [ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه ] (٣٢) ،وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ : [ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ،إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ] (٣٣) . والبنيان وحدة متماسكة قوية ،يشد بعضه بعضاً ،والعمارة كما أسلفت تختلف عن قطع الحجارة اختلافاً نوعياً ،فليست العمارة مجرد مجموعة من قطع الحجارة كما سنرى ،والجسد وحدة منظمة متماسكة ،إذا وخزت شوكة أحد أصابع القدمين ؛ تداعى له الجسد كله بالسهر والحمى ،والجسد ليس مجرد مجموعة كبيرة من

(٣٢) البخاري (٧١/٥) ومسلم (٢٥٨٥) ،وجامع الأصول (٥٦٤/٦) .

(٣٣) البخاري (٣٦٦/١٠) في الأدب ،ومسلم (٢٥٨٦) في البر والصلة ،وجامع الأصول (٥٤٧/٦) .

الخلايا الحية، بل يختلف اختلافاً نوعياً عن الخلايا الحية المفردة وحدها، إنه كيان جديد، كما أن العمارة كيان جديد يختلف عن قطع الحجارة المبعثرة .

أما العمارة فهي مجموعة من قطع الحجارة (المصقولة) والمشكلة حسب مقاييس وأشكال معينة، ثم بنيت هذه القطع حسب مخطط وضعه المهندس، فذاك الحجر مكانه في الأساس (القاعدة) ولا يصح أن يكون في قمة العمارة وذاك الحجر صقل ليكون في السلم ولا يصح أن يكون عند النافذة، وهكذا نجد كل حجر وضع في مكانه المناسب الذي أعد له، وبتعبير آخر وضع الحجر المناسب في المكان المناسب . أما كومة الحجارة فتتكون من مئات أو ألوف القطع المرمية بشكل عفوي فوق بعضها دون أي اعتبار، سوى اعتبار التجميع، كالفلاح الذي يجمع الحجارة من الأرض المزروعة، فيكومها في مكان واحد كي لا يفسد تبعثها الأرض كلها، وتعطل مكاناً صغيراً بدلاً من أماكن كثيرة كانت تعطلها، ويرمي الفلاح قطع الحجارة دون أي اعتبار فتتكوم في مكان واحد فوق بعضها .

ومن الملاحظ أن الحجارة المبنية في العمارة كلها ترى الشمس والهواء، وقد صفت بطريقة لا تحرم أيّاً منها من ذلك الحق، وتستطيع الوصول إلى أي حجر منها، وكل حجر يقوم بوظيفته في العمارة . أما الكومة فقليل من القطع ترى الشمس والهواء، والأحجار الباقية حرمت منهما، كما أننا لا نستطيع الوصول إلى أحجار الكومة كلها، ومعظم أحجار الكومة لا عمل لها .

والفرق بين الجماعة والتجمع كالفرق بين العمارة والكومة، فقد بنيت العمارة حسب مخطط وهدف معين، أما الكومة فهي تجمع بلا هدف، ويسمى تجمعا عشوائياً، أو تجمهراً عارضاً . ومما يؤسف له أن حالة كثير من المجتمعات (المسلمة) المعاصرة ليست أفضل من الكومة، لأنها تجمع وليست جماعة، لأن الجماعة لا تكون بلا إمامة، والتجمعات التي يعيش فيها المسلمون اليوم لا تحقق مفهوم الجماعة، لغياب عدة عناصر هامة وأساسية . وأهمها الإمارة.

وأولو الأمر كما سيتضح بعد قليل هم العلماء العاملون المخلصون لله، الذين ينهضون بهذا الواجب، المتعين في أشخاصهم لأن الله عز وجل رزقهم العلم، هؤلاء هم الإمارة، إذ لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا إمارة، ثم لا إمارة بلا طاعة . وقد ورد في الكتاب والسنة نصوص كافية وقطعية الثبوت والدلالة على وجوب طاعتهم، بل إن طاعة (أولي الأمر) طاعة لله عز وجل، كما تبين النصوص ومنها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني ] <sup>(٣٤)</sup>، ويقول سبحانه وتعالى : { من يطع الرسول فقد أطاع الله... } ( النساء : ٨٠).

ومن الملاحظ بين المسلمين اليوم أن مفهوم الطاعة والبيعة ضاع من أذهانهم، ولا يوجد إلا في أذهان بعض الخاصة، وعندما توجد تجدها مهزوزة، وغير واضحة وثابتة، ولا يخطر في ذهن كثير من المسلمين أن مخالفتهم لأولي الأمر حرام شرعاً، مثل عصيانهم لأوامر الله ورسوله .

### التشردم سلطان المسلمين المعاصرين

(٣٤) البخاري (٩٩/١٣) في الأحكام، ومسلم (١٨٣٥) في الإمارة، وجامع الأصول (٦٤/٤) والنسائي (١٥٤/٧) .

وغلب على أفراد المسلمين التشردم والعزلة، بل صار التشردم فضيلة حتى أنهم إذا أرادوا مدح الرجل المعاصر قالوا هذا وحده لا يحتلط مع أحد، ولا يخرج من بيته، ودخل الشيطان من هذا الباب باب العزلة بحجة الفتن فصار كثير من المسلمين كومة من حب الذات، والسعي وراء الدنيا، عندما أسقط من حساباته الاهتمامات الاجتماعية، وحصر نشاطه في شخصه ومصالحه الخاصة فقط، حتى تضخمت هذه الذوات المنفردة المنعزلة واصطدمت ببعضها، وأصبح من المشهور أن الاتفاق بين المسلمين على أي شيء أصبح من الأحلام في زماننا هذا .

وغابت عنهم النصوص القطعية الدلالة والثبوت التي تأمرهم بالجماعة والبيعة وطاعة أولي الأمر ومنها ما أخرجه أحمد يرحمه الله عن الحارث الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ: [ ... وأنا آمركم بحمس الله أمرني بهن ، بالجماعة ، والسمع والطاعة ، والهجرة ، والجهاد في سبيل الله ، فإن من خرج من الجماعة قيدشبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع ... ] ، قالوا : يا رسول الله ، وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم [ (أحمد ، ٢٠٢/٤) ] ، ويقول عز وجل { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... } (آل عمران : ١٠٣) ، أي أمرهم بالجماعة ونهاهم عن الفرقة . ويقول عز وجل { ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم } (آل عمران : ١٠٥) . أي ينهى تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم ، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجّة عليهم ( مختصر ابن كثير ) .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : [ إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية والناصية ، وإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامّة ] <sup>(٣٥)</sup> ، وأخرج أحمد عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال خطب عمر الناس فقال : [ ... من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة ] <sup>(٣٦)</sup> . وقد صنف الإمام مسلم رحمه الله باباً سماه ( باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ) وأورد فيه عدة أحاديث شريفة منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : [ من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ... ] <sup>(٣٧)</sup> ، ويقول الإمام النووي رحمه الله أي مات على صفة من صفات الجاهلية ، وهي أنهم فوضى لا إمام لهم ، والمقصود بالإمام هنا أولي الأمر <sup>(٣٨)</sup> الذين فرض الله على المسلمين بيعتهم ثم طاعتهم ، فالإمام المبايع ثم المطاع في غير معصية ، هذا من الدين ، بل لا يقوم الدين إلا به كما يقول ابن تيمية أما الحاكم أو السلطان فضرورة دنيوية فقط .

(٣٥) أحمد (٢٤٣/٥) ، وقال الألباني في الطحاوية صحيح الإسناد .

(٣٦) جامع الأصول (٦٦٩/٦) وأخرجه الترمذي برقم (٢١٦٦) في الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة وإسناده حسن ، ورواه أحمد في المسند رقم (١٤٤ — ١٧٧) ، ورواه الحاكم في الإيمان ، فالحديث صحيح من طرق صحيحة .

(٣٧) مسلم (١٨٤٨) في الإمارة ، والنسائي (١٣٣/٧) في تحريم الدم ، وابن ماجه (٣٩٤٨) في الفتن ، وجامع الأصول (٧٠/٤) .

(٣٨) أولي الأمر هم أهل الحل والعقد إذا اجتمعوا ( أو اجتمع أكثرهم ) على أمر وجب على المسلمين طاعتهم ، ويقول الشافعية : إذا فقد الإمام تنصرف الإمامة إلى أعلم أهل زمانه ، ويرى الباحث أن أعلم أهل زمانه هم أهل الحل والعقد في الأمة — والله أعلم — انظر الغياني للجويني ، وانظر جماعة المسلمين ... لصالح الصاوي .



ومن أجل المحافظة على الجماعة ووحدها والالتزام بها ؛ وإن بدا للمسلم فيها ما لا يرضيه أو يوافق عليه ؛ من أجل ذلك أمرنا رسول الله ﷺ فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: [ من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ، فميتة جاهلية ] ( سبق تخريجه ) ، لأن الصبر على شيء يكرهه المسلم من الأمير أهون من مفارقة الجماعة .

ومن الأمثلة على طاعة الإمام والمحافظة على وحدة الجماعة : التزام الصحابة رضوان الله عليهم بمصحف الإمام ، ورجوع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن التزامه بمصحفه ، ثم حرقه ليحفظ وحدة الجماعة والتزامها بمصحف الإمام . وندعو الله عزوجل أن يعين المسلمين على إيقاظ معنى البيعة والطاعة والولاء والبراء في ضمائرهم وأذهانهم ، وأن يربوا أطفالهم على ذلك في البيت والمسجد والمدرسة والمجتمع ، فالبيعة صفة من صفات المجتمع المسلم ، وركن من أركان السياسة الإسلامية .

### الخلاصة

يقول ابن حزم في ( الملل والنحل ٤ / ٨٧ ) : اتفق جميع أهل السنة والمرجئة والشيعة والخوارج على وجوب نصب الإمام ، وأنه يجب على الأمة الانقياد لإمام عادل ، يقيم فيها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن الأمثلة :

١- قوله تعالى { وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم .. } ( المائدة ٤٩ ) . وقوله أيضاً { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ... } ومن الأحاديث الشريفة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ من خلع يداً من طاعة ، لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ] ( مسلم ، الإمارة ) . ولا بيعة إلا لإمام يحكم بما أنزل الله تعالى . لكن كيف العمل الآن حيث لا يمكن تنصيب إمام للمسلمين ؛ لأن أعداء المسلمين لا يسمحون بذلك ؟

٢- واهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر ومبايعة خليفة رسول الله ﷺ قبل دفن الرسول ﷺ ، وعبر أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن هذه الأهمية بقوله ( إن محمداً ﷺ قد مضى بسبيله ، ولا بد لهذا الأمر من قائم يقوم به ، فانظروا وهاتوا آراءكم ) فهتف الناس من جوانب المسجد صدقت يا أبا بكر ، لعلمهم أنه لا يمكن للأمة أن تسير بدون قائد (حسين جابر ١١٢) .

٣- إجماع الأمة المسلمة على وجوب تنصيب الإمام ، كما ذكر الماوردي (ص ٣٥) ، والنووي (شرح مسلم ، ٢٠٥ / ١٢) ، وابن خلدون في مقدمته . وإجماع الأمة حجة ودليل شرعي لأن الإجماع أحد مصادر التشريع الإسلامي ، خاصة وقد عصم الله الأمة المسلمة عن الاجتماع على الخطأ ( ويقرر ابن تيمية أن عصمة الأمة مغنية عن عصمة الإمام ، لأن الأمم السابقة كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبياً يبين الحق ، وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها ، لذا كانت عصمتها تقوم مقام النبوة ، فلا يمكن أن يبدل شيء من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه ، فلا

تجتمع الأمة على ضلال كما قال ﷺ : [ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك ] (٣٩) .

## أولو الأمر

بعد أن عرفنا أن البيعة واجبة على المسلم ، فمن نبايع ؟ وقد كثر الكلام حول هذه النقطة حالياً ، فمن قائل أنها لا تجب اليوم على أحد حتى يقوم الخليفة المسلم فيبايع عندئذ ، وبعد أن كثرت البيعات قلت مكانتها واستهان بعض المسلمين بها ، ولذلك زادت أهمية هذا السؤال من نبايع ؟ وبتعبير آخر من هم أولو الأمر الذين أمرنا بطاعتهم؟ وعلينا مبايعتهم ومن ثم طاعتهم تنفيذاً لأمر الله عز وجل؟؟؟ قال تعالى في كتابه العزيز : { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلاً } ( النساء : ٥٩ ) ، وقال عز وجل : { وإذ اجأهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً } (النساء : ٨٣) . في هاتين الآيتين الكريمتين ورد مصطلح أولي الأمر في القرآن الكريم ، ولم يرد في غيرهما . فمن هم أولو الأمر الذين أمرنا بطاعتهم ؟ إن السؤال في غاية الأهمية لأن الأمر دين يتعلق بالإيمان بالله واليوم الآخر كما في الآية ، وسوف يعرض الباحث موجزاً لأقوال المفسرين ثم يختار منها ما يراه أصح لعصرنا .

## تفسير القرطبي :

يجمع القرطبي رحمه الله أقوال العلماء في تفسير هذه الآية في ستة أقوال هي :

- ١- أولو الأمر هم الأمراء ، وهذا قول الجمهور ، وأبي هريرة ، وابن عباس وغيرهم ، وجاء في القرطبي أيضاً أن ابن خويز مناد قال : ( وأما طاعة السلطان فتجب فيما كان لله فيه طاعة ، ولا تجب فيما كان لله فيه معصية ، ولذلك قلنا إن ولاة زماننا لا تجوز طاعتهم ولا معاونتهم ولا تعظيمهم ، ويجب الغزو معهم متى غزوا ) ، انتهى كلام ابن خويز .
  - ٢- أولو الأمر هم أهل القرآن والعلم ، وهذا قول جابر رضي الله عنه ، ومجاهد ، واختيار مالك ، ونحوه قال الضحاك .
  - ٣- أولو الأمر هم الصحابة رضوان الله عليهم ، وهذا قول مجاهد .
  - ٤- أولو الأمر هم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهذا قول عكرمة .
  - ٥- أولو الأمر هم أولو العقل والرأي ، وهذا قول ابن كيسان .
  - ٦- أولو الأمر هم علي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة المعصومون من بعده ، وهذا قول الشيعة .
- يقول القرطبي وأصحها الأول والثاني ( الأمراء والعلماء ) ، أما الأول فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم ، روى الشيخان عن ابن عباس قال : نزل قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ... } الآية في عبد الله بن حذيفة رضي الله عنه إذ بعثه النبي ﷺ في سرية ، وكان فيه دعاة معروفة ، فأمرهم أن

(٣٩) ابن تيمية ، منهاج السنة (٢٧٣/٣) ، والحديث الشريف أخرجه مسلم في الإمارة ، رقم (١٩٣٠) .

يوقدوا ناراً ويدخلوها، وقال لهم ألم يأمركم رسول الله ﷺ بطاعتي؟ وقال من أطاع أميرى فقد أطاعني، فقالوا ما آمننا بالله واتبعنا رسوله ﷺ إلا لننجو من النار، فصوب رسول الله ﷺ فعلهم وقال لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق، وقال تعالى { ولا تقتلوا أنفسكم } .

أما القول الثاني ( أي العلماء ) — وما زال الكلام للقرطبي — فيدل على صحته قوله تعالى : { فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول .. } وليس لغير العلماء معرفة كيفية الرد إلى الكتاب والسنة، ويدل هذا على أن سؤال العلماء واجب، وامتثال فتواهم لازم، قال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإن عظموا هذين أصلح الله دينهم وأخراهم .

### تفسير ابن كثير :

قال البخاري عن ابن عباس ؓ : نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذيفة كما تقدم . وقال ابن عباس : وأولي الأمر منكم يعني أهل الثقة والدين، وكذا قال مجاهد وعطاء، والظاهر - والله أعلم - أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء والعلماء كما تقدم، أما الآية (٨٢) فإنها تفسر من هم أولي الأمر : إنهم الذين يعلمون الاستنباط، وعندما نستعرض سبب النزول لهذه الآية - كما يقول ابن كثير - نجد أن عمر ؓ بلغه أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، ونزلت هذه الآية { إذا جاءهم أمر ... } فكنت أنا - والكلام لعمر ؓ - استنبطت ذلك الأمر . انتهى كلام ابن كثير . فهذا عمر يقول عن نفسه أنه من أولي الأمر المقصودين في هذه الآية، ولم يكن خليفة يومذاك، ولا أميراً، ولعل هذا الذي دفع عكرمة إلى القول أن أولي الأمر هم أبو بكر وعمر فقط .

تفسير الطبري : أولو الأمر هم الأمراء والولاة إذا كانوا مسلمين .

### قول الإمام الجويني :

يقول الجويني في (الغيثي) : إذا كان صاحب الأمر مجتهداً فهو المتبوع، الذي يستتبع الكافة في اجتهاده ولا يتبع، أما إذا كان سلطان الزمان لا يبلغ مبلغ الاجتهاد فالمتبوعون العلماء، والسلطان نجدتهم وشوكتهم، والسلطان مع العالم كملك في زمان نبي، وأمور بالانتهاة إلى ما ينهيه إليه النبي (الجويني، غياث الأمم، ص ٣٨٠)، ويطلب الإمام الجويني من الوزير نظام الملك اتباع العلماء فيقول له : (ومما ألقى به إلى المجلس السامي وجوب مراجعة العلماء فيما يأتي ويذر (الأمير)، فإنهم قدوة الأحكام، وأعلام الإسلام، وورثة النبوة، وقادة الأمة، وسادة الملة، ويقول الجويني أيضاً : ( فإذا شغل الزمان عن الإمام - كما هو اليوم -<sup>(٤٠)</sup> وخلا عن سلطان ذي نجدة وكفاية ودراية، فالأمر موكول إلى العلماء، وحق على الخلائق على اختلاف طبقاتهم أن يرجعوا إلى علمائهم، ويصدروا في جميع قضايا الولايات عن رأيهم، فإن

(٤٠) خلا الزمان عن الإمام في زمن الجويني ( أما في زماننا فماذا يقول الجويني !! ) .

فعلوا ذلك ، فقد هدوا إلى سواء السبيل ، وصار علماء البلاد ولاة العباد ، وهم على الحقيقة أصحاب الأمر استحقاقاً ، وذو النجدة من الحكام مأمورون بارتسام مراسمهم ، واقتفاء أثرهم ، والانكفاف عن مزاجهم ( ص ٢٨٠ ) ، وإن كثر العلماء في الناحية فالمتبع أعلمهم ، وإن فرض استواؤهم في العلم ، فيصدر الرأي عن جميعهم ( ص ٣٩١ ) .

### ابن تيمية :

يقول ابن تيمية في السياسة الشرعية : ( وأولو الأمر صنفان : الأمراء والعلماء ، وهم الذين إذا صلحوا صلح الناس ، فعلى كل منهم أن يتحرى ما يقوله وما يفعله طاعة لله ورسوله واتباعاً لكتاب الله .

### النووي :

يقول في شرحه لصحيح مسلم : قال العلماء : المراد بأولي الأمر من أوجب الله طاعته من الولاة والأمراء ، وهذا قول جماهير السلف والخلف ، من المفسرين والفقهاء وغيرهم ، وقيل هم العلماء والأمراء ( كتاب الإمارة ) .

ويقول **الرازي** ( ١٥٠/٥ ) لكن المقصود بأولي الأمر في الآية هم العلماء ، وأعمال الأمراء والسلاطين موقوفة على فتاوي العلماء ، والعلماء في الحقيقة أمراء الأمراء ، فكان حمل لفظ أولي الأمر عليهم أولى .

وفي أحكام القرآن لابن عربي عند تفسير هذه الآية { .. وأولي الأمر منكم } : وقال خالد بن نزار : وقفت على مالك فقلت : يا أبا عبد الله ما ترى في قوله تعالى { وأولي الأمر منكم .. } ، قال : وكان محتبياً فحل حبوته ، وكان عنده أصحاب الحديث ، ففتح عينيه في وجهي وعلمت ما أراد ، وإنما عنى أهل العلم .

ويقول الشيخ محمد عبده في تفسير المنار ( ١٨٠/٥ ) : والمراد بأولي الأمر جماعة أهل الحل والعقد من المسلمين ، وهم الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند والزعماء الذين يرجع إليهم الناس في الحاجات والمصالح العامة ، إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه .

ويقول **المودودي** في تدوين الدستور الإسلامي ( ص ٨٥ ) : هم الحائزون على ثقة العامة ، الذين يطمئن إليهم الناس لإخلاصهم ونصحهم وأمانتهم وأهليتهم .

### مناقشة

وبعد استعراض مقاله السادة المفسرون والعلماء يسترعي انتباه الباحث عدة أمور منها:

١- لفظ (أولو) - كما يقول القرطبي - لفظ جمع أحدهم (ذو) على غير قياس كالنساء والإبل والخيل ، كل واحد منها اسم جمع لا مفرد له من لفظه ، ويستنبط الباحث من هذا أحد الاحتمالات التالية :

أ- أولو الأمر الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم هم جمهور العلماء، وليس فرداً بعينه، كأهل الشورى أو أهل الحل والعقد، أو جمعية العلماء أو ما شاكل ذلك.

ب- أولو الأمر الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم هم مجموعة من الولاة، أدنى من الإمام، كأمر البلد أو عمال الخليفة كأمر الشرطة وأمر التعليم، كل ذلك بشرطين:

١- أن يكونوا مسلمين .

٢- أن لا يؤمروا بمعصية إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٢- لقد رجح علماء السلف أن المقصود هم الأمراء لعدة أسباب منها :

أ- تأكيد رسول الله ﷺ فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: [ من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني ] <sup>(٤١)</sup> .

ب- كان الأمراء في عهد الصحابة علماء، لا يطلبون الإمارة كما يقول ابن تيمية (ولا يقدم الرجل لكونه طلب الولاية أو سبق في الطلب، بل ذلك سبب المنع، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: أن قوماً دخلوا عليه فسألوه ولاية فقال: [ إنا لانولي أمرنا هذا من طلبه ]، وقال لعبد الرحمن بن سمرة: [ يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة، فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ] <sup>(٤٢)</sup>. وعدم طلب الإمارة يدل على العلم والورع والتقوى، وهذه مظاهر العدالة والعلم عند الرجل .

ج- وقد استنبط الماوردي صفات وشروط الإمام العام والولاة؛ من أمراء الصحابة والتابعين حتى أنه سماهم الأئمة المتأمرين ( أي العلماء الأمراء ) فقال: ( ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا وهم الأئمة المتأمرون علينا ) (ص ٥) . واشترط الماوردي للإمامة سبعة شروط هي: ( العدالة، العلم المؤدي للاجتهاد، سلامة الحواس، سلامة الأعضاء، الرأي، الشجاعة، النسب القرشي ) (ص ٦) . كما يشترط الماوردي في وزير التفويض (رئيس الوزراء، ونائب الرئيس) يشترط فيه شروط الإمامة كلها ما عدا النسب القرشي، ويضيف على ذلك أن يكون من أهل الكفاية والدراية فيما وكل إليه من أمر الحرب والخراج، خيرة بهما ومعرفة بتفصيلهما ) (ص ٢٢) . ثم يقول الماوردي: ( وإذا قلد الخليفة أميراً على إقليم أو بلد؛ تعتبر في هذه الإمارة الشروط المعتبرة في وزارة التفويض ) ( وهي شروط الخليفة ما عدا النسب القرشي )، لأن الفرق بينهما خصوص

(٤١) صحيح البخاري (٩٩/١٣) في الأحكام، ومسلم (١٨٣٥) في الإمارة، وجامع الأصول (٦٤/٤) .

(٤٢) جامع الأصول (٥٨/٤)، والبخاري (٦١ / ١٣) في الأحكام، ومسلم (١٦٥٢) في الإمارة .

الولاية في الإمارة، وعمومها في الوزارة، وليس بين عموم الولاية وخصوصها فرق في الشروط  
المعتبرة فيها ( ص ٣٠ ) .

ويتضح من شروط الماوردي للخليفة والوزراء والأمراء ؛ أن الأمراء كانوا من العلماء.

٣- إذا كان الأمراء من العلماء، فأولو الأمر عند السلف هم العلماء والأمراء، هكذا كان الأمراء  
في عهد الصحابة والتابعين، وبدأ التغير بسيطاً منذ أواخر عهد الأمويين حتى وصل الأمر إلى عصرنا  
هذا، فأصبح الأمراء من غير العلماء، بل وقع فصام نكد بين العلماء والأمراء، حتى صارت المهوة  
بينهما سحيقة جداً، وأهم خصائص عصرنا أن بعض الحكام تربوا تربية علمانية أو قريبة منها  
،فابتعدوا عن العلماء، وابتعد العلماء عنهم - إلا من رحم ربك - حتى وقع صراع بين العلماء  
والحكام كاد أن ينتصر فيه الحكام، لولا رحمة الله بالمسلمين حيث رحمهم بالصحة الإسلامية  
المعاصرة، فالشباب المسلم المعاصر يوالي العلماء، وأولو الأمر عندهم هم العلماء والدعاة<sup>(٤٣)</sup>.

وإذا كان المصطلحان ( العلماء ولأمراء ) يتداخلان عند السلف، إلى درجة صعوبة الفصل بينهما  
،فإنهما منفصلان في أيامنا إلى درجة استحالة الجمع بينهما حالياً - ونسأل الله أن يزول هذا  
الفصام النكد - بل إن البون شاسع بينهما اليوم، وهذا ما يدفعنا إلى أن نفهم مصطلح ( أولو الأمر )  
بأنهم أهل الفقه والدين .

٤- لا تعدو العلاقة بين الأمراء والعلماء إحدى ثلاث :

أ- أن يكون الأمراء من العلماء، فيكون المقصود بأولي الأمر العلماء والأمراء، ولولا العلم  
ما صار الأمراء أمراء، إذن مصطلح العلماء أعم وأشمل، وأولو الأمر في هذه الحالة هم العلماء

ب- قد لا يكون الأمراء من العلماء، ولكنهم يستمعون للعلماء، ويشاورونهم، كما كان أمير  
المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز يرحمه الله، كما قال عنه الطبري: ( لما قدم عمر المدينة نزل  
دار مروان، دخل عليه الناس فسلموا، فلما صلى الظهر دعا عشرة من فقهاء المدينة وهم : عروة  
بن الزبير، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أبو بكر عبد الرحمن، عبيد الله بن عبد الله بن  
عمرو، عبد الله بن عامر، خارجة بن زيد... فدخلوا عليه فجلسوا، فحمد الله وأثنى عليه

---

(٤٣) من الأدلة على أن الشباب المسلم المعاصر يوالي العلماء ولا يوالي الحكام أنه قامت في الجزائر عام (١٩٨٩م) مظاهرة سارت فيها  
مئات النسوة العلمانيات، يطبلن بإلغاء الطلاق وتعدد الزوجات ... عندئذ وجهت رابطة الدعوة الإسلامية برئاسة الشيخ سحنون  
وهو آخر أعضاء جمعية العلماء الجزائريين التي حررت الجزائر من فرنسا والصليبية، وجهت هذه الرابطة نداء للمسلمات  
الجزائريات للتجمع أمام البرلمان والمطالبة بتطبيق الإسلام في الأسرة والمجتمع، وما أن تداول الناس الخبر حتى خرجت المرأة الجزائرية  
الطالبة والمعلمة والطبيبة وربة البيت والجدة والحفيدة حتى قدر أحد أعضاء البرلمان عدد الحاضرات بالمليون امرأة معظمهن محجبات  
،يطالبن بتطبيق الإسلام عليهن ( انظر مجلة الإرشاد الجزائرية العدد الأول جمادى الأولى ١٤١٠ ) .

بما هو أهله، ثم قال: ( إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعواناً على الحق، ما أريد أن أقطع أمراً إلا برأيكم، أو برأي من حضر منكم.. ) (الطبري، ٣/ ٦٧٢). هكذا كان عمر بن عبد العزيز، وعندما يطاع هذا الأمير الذي يشاور العلماء، ولا يخرج على إجماعهم؛ فهذه الطاعة المقدمة له طاعة للعلماء، أهل الفقه والدين .

ج- أن تكون الهوة واسعة بين العلماء والحكام، وطاعة الحكام - غالباً - مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وغالباً يختلف العلماء مع الحكام، في مثل هذه الحالة يجب أن يطاع العلماء وليس الحكام .

٤- يقول الإمام الجويني يرحمه الله: ( فإذا شغل الزمان عن الإمام - انتبه إلى قوله إمام - وخلا عن سلطان ذي نجدة وكفاية ودراية ( السلطان ذو النجدة .. أي يشاور العلماء ولا يخالفهم )، وقال الإمام الجويني إمام ثم قال سلطان ويفهم الباحث من ذلك أنه يقصد بالإمام الذي استوفى الشروط المنصوص عنها ( العلم والعدالة ... ) أما السلطان ذو النجدة فهو الحاكم الذي لم يستوف هذه الشروط ( كالمغلب )، ولكنه يطيع العلماء ولا يصدر إلا عن رأيهم ) . ونعود إلى كلام الجويني : إذا شغل الزمان عن الإمام، وخلا عن سلطان ذي نجدة، فالأمور موكولة إلى العلماء، وعلى الخلائق أن يرجعوا إلى علمائهم، ويصدروا في جميع قضايا الولايات عن رأيهم فإن فعلوا ذلك فقد هدوا إلى سواء السبيل، وصار علماء البلاد ولاة العباد، وهم على الحقيقة أصحاب الأمر استحقاقاً، وذوو النجدة من الحكام مأمورون بارتسام مراسمهم، واقتفاء أثرهم والانكفاف عن مزاجهم ( ص ٢٨٠ )، ويقول الجويني في مكان آخر: ( وإن كثر العلماء في الناحية فالمتبع أعلمهم، وإن فرض استواؤهم في العلم، فأصدر الرأي عن جميعهم ) ( ص ٣٩١ ) .

وفي هذا الشأن يقول مسلم الأعمور عن خالد العربي قال: دخلت أنا وأبو سعيد الخدري على حذيفة فقلنا : يا أبا عبد الله حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ في الفتنة، فقال حذيفة: قال رسول الله ﷺ: [ دوروا مع كتاب الله حيثما دار ]<sup>(٤٤)</sup>. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ [ خذوا العطاء مادام عطاء؛ فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة... ألا إن رحى الإسلام دائرة، فدوروا مع الإسلام حيث دار، ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب.. ]<sup>(٤٥)</sup>. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ [ سيكون عليكم أمراء من بعدي يأمرونكم بما تعرفون ويعملون بما تنكرون فليس أولئك عليكم بأئمة ]<sup>(٤٦)</sup>.

(٤٤) أخرجه الحاكم في المستدرک (١٤٨/٢) ويقول الذهبي: مسلم بن كيسان (أي مسلم الأعمور) تركه أحمد وابن معين .

(٤٥) المعجم الصغير للطبراني (٢٦٤/١) قال الهيثمي رواه الطبراني ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين وثقه ابن حبان وغيره وبقية رجاله ثقات.

(٤٦) قال الهيثمي رواه الطبراني وفيه الأعشى بن عبد الرحمن ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات (مجمع الزوائد ٥/ ٢٢٧) .

## جمعية العلماء المسلمين

وبما أن أولو الأمر هم العلماء، لذا يجب على العلماء أن يشكلوا جمعية في كل بلد على غرار لجنة كبار العلماء في السعودية، أو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (سابقاً)، ويكون لهذه الجمعية فروع في كل مدينة يقوم عليه عالم عامل، يعاونه دعاة إلى الله على صلة يومية بالشعب، وتقوم هذه الجمعية بالنظر في كل ما يستجد من أمور (سياسة، اقتصاد، اجتماع، تربية... إلخ)، وتبين حكم الإسلام في ذلك الأمر، ثم تنشره على المسلمين بوسائل النشر الحديثة، ليسمعوا به، ويطيعوه لأنه من أولي أمرهم. ثم تتعاون هذه الجمعيات على إنشاء رابطة عالمية للعلماء المسلمين، تتعاون الجمعيات من خلالها، وتتعاون الأقطار المسلمة بواسطتها، وتكون هذه الرابطة نواة لهيئة أهل الحل والعقد الإسلامية العالمية؛ التي تمهد لعودة الخلافة الإسلامية بإذن الله. ويفضل أن تكون هذه الجمعيات شعبية لا حكومية، وتستطيع الحركات الإسلامية أن تفعل ذلك بعد الاعتماد على الله عز وجل.

ويبدو للباحث أن الصفة الأساسية للشعب الأفغاني المسلم التي مكنته من القضاء على الامبراطورية الشيوعية العالمية هي مولاته للعلماء وليس للحكام، والعالم المسلم عندهم هو المتبع وهو الزعيم الشعبي، يطيعونه في شؤون حياتهم الدينية والدينية معاً، دون الفصل بينهما.

## العلماء والحكام

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [ ...ألا إن الكتاب والسلطان سيفترقان، فلا تفارقوا الكتاب.. ] (سبق تخريجه). ففي الخلافة الراشدة كان الأمراء علماء، والعلماء أمراء، وفي عهد الأمويين والعباسيين، صار الأمراء سلاطيناً<sup>(٤٧)</sup>. فمصطلح أمير ينطبق على الحاكم المسلم الذي يحكم بشرع الله عز وجل، ويطبقه على نفسه ورعاياه، ووصل الإمارة بالبيعة من أهل الحل والعقد، أو والياً ولاة الإمام المسلم على بعض الأقاليم.

ثم انتقلت الخلافة إلى الملك العضوض، فصار الأمراء سلاطيناً، تعرف منهم وتنكر، وكانت أيامهم أيام خير فيه دخن، واشتغل هؤلاء الحكام بالإمارة والدنيا وتسيير دفة الحكم، لذلك قل نصيبهم من العلم، ولكنهم كانوا يصغون إلى العلماء ويستمعون إليهم، وهذه بعض الأمثلة:

## معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

وقف معاوية رضي الله عنه على المنبر يقول: اسمعوا وأطيعوا، فقام مسلم الخولاني فقال: لا سمع ولا طاعة، كيف تمنع العطاء؟ وإنه ليس من كدك ولا من كد أبيك، ولا من كد أمك، فغضب

(٤٧) يبدو للباحث أن الإمام هو الحاكم المسلم الذي يجوز على الشروط كالخلفاء الراشدين، وصلوا الحكم بالبيعة والشورى، أو من ولاة هؤلاء على الأقاليم، أما السلطان فهو الحاكم المسلم الذي لم يجز الشروط كلها، ولكنه يشاور العلماء ويقابل (الملك العضوض) وأما الحاكم فهو من يستولي على الحكم بالقوة ولا يشاور العلماء (الملك الجبري). والله أعلم.



معاوية ونزل عن المنبر، ثم غاب برهة ثم عاد وقد اغتسل ثم قال : إن أبا مسلم كلمني بكلام أغضبني ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالـماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ ] (٤٨) ، وإني قد دخلت فاغتسلت ، وصدق أبو مسلم ، إنه ليس من كدي ، ولا من كد أبي ، فهلموا إلى عطائكم .

### أبو جعفر المنصور

حج أبو جعفر المنصور ، فطلب سفيان الثوري فجاهه ، فقال له سفيان : كم أنفقت في سفرك ؟ قال : لا أدري ، لي أمناء ووكلاء ، فقال سفيان : فما عذرك غداً ؟! إذا وقفت بين يدي الله تعالى !!؟ فسألك عن ذلك ؟ لكن عمر بن الخطاب ؓ ، لما حج قال لغلامه : كم أنفقت في سفرنا هذا ؟ قال : ثمانية عشر ديناراً ، فقال عمر : ويحك !! أجحفنا بيت مال المسلمين . وعن ابن مسعود ؓ أن رسول الله ﷺ قال : [ رب متخوص في مال الله فيما شاءت نفسه له النار غداً ] ، فيقول أحد مترلفي الحاشية : أمير المؤمنين يستقبل بهذا !!؟ فأجابه سفيان : اسكت ، إنما أهلك فرعون هامان (البديري ، ٧٣) .

### الخليفة عبد الرحمن الناصر

أقبل عبد الرحمن الناصر على عمارة (الزهراء) ، وأنفق فيها أموال الدولة في تشييدها وزخرفتها ، حتى شغلته مرة عن صلاة الجمعة ، وكان منذر بن سعيد خطيباً وقاضياً ، فخطب في الجمعة كان عبد الرحمن الناصر حاضراً وقرأ قول الله تعالى : { أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم } (الشعراء ١٢٨ ، ١٣٥) ، ثم مضى في ذم الإسراف على البناء بكلام جزل وقول شديد ، فبكى عبد الرحمن الناصر وندم ، غير أنه أقسم أن لا يصلي خلفه صلاة الجمعة ( تلك هي عقوبة الخليفة للشيخ فقط ) . وعندما أشار عليه ولده بعزل منذر بن سعيد قال له : أمثل منذر بن سعيد يعزل !!؟ أمثل منذر بن سعيد في فضله وخيره وعلمه - لا أم لك - يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشيد !!؟ سالكة غير القصد ، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله ( البديري ، ٧٦) .

### بعض العلماء العاملين

### الشيخ عبد القادر الكيلاني

(٤٨) أبو داود (١٦٧/٧) عن عطية السعدي ، رقم الحديث (٤٦١٦) وقال الألباني في تحقيق مشكاة المصابيح : إسناده ضعيف . (١٤١٤/٣) .

وقف الشيخ الكيلاني على منبره محاسباً المقتفي لأمر الله ومنكراً عليه تولية يحيى بن سعيد - المشهور بابن المزاحم - القضاء، فقال مخاطباً له : وليت على المسلمين أظلم الظالمين ،فما جوابك عند رب العالمين ،فارتعد الخليفة وعزل يحيى لوقته ( البدري ،٧٦) .

### العز بن عبد السلام

وقف الشيخ العز بن عبد السلام (سلطان العلماء) يحاسب الملك إسماعيل الذي تحالف مع الفرنجة الصليبيين وسلم إليهم قلاعاً في بلاد الشام ،فأفتى العز بن عبد السلام ببطلان ذلك وسماها خيانة ،وصدع بذلك من على المنبر يوم الجمعة ،و لم يدع له في الجمعة ،ولما سمع الملك إسماعيل عزله ،وفرض عليه الإقامة الجبرية ،ومنعه من الفتوى (البدري ،٧٧) .

### ابن تيمية

قال ابن تيمية يرحمه الله لغازان ملك التتار : أنت تزعم أنك مسلم؟! فلماذا غزوت بلادنا؟! وأبوك وجدك كانا كافرين ،وما غزوا بلاد الإسلام بعد أن عاهدونا ،وأنت عاهدت فغدرت ،وقلت فما وفيت ،ثم قرب غازان طعاماً إلى الوفد فلم يأكل منه ابن تيمية ،وقال :كيف أكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس ،فسأل غازان: من هذا الشيخ؟! إني لم أر مثله ،ولا أثبت قلباً منه ،ولا أوقع من حديثه في قلبي ،ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه ،ثم طلب غازان الدعاء فقال الشيخ ابن تيمية : اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك هي العليا ،وليكون الدين كله لك ،فانصره وأيده ،وملكه البلاد والعباد ،وإن كان قد قام رياء وسمعة وطلباً للدنيا ؛ ولتكون كلمته هي العليا ،وليدل الإسلام وأهله ؛ فاخذله وزلزه ودمره واقطع دابره - وغازان يؤمن على دعائه - قال البالسي - أحد أعضاء وفد العلماء إلى غازان - : فجعلنا نجتمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدم ابن تيمية ،فلما خرجنا قال قاضي القضاة نجم الدين وغيره : كدت أن تهلكتنا وتهلك نفسك ،والله لا نصحبك من هنا ،فانطلقوا وتركوه ،وتأخر ابن تيمية فتسامعت به الخوათون والأمراء أصحاب غازان فأتوه يتبركون بدعائه ،وهو سائر إلى دمشق ،فما وصل إلا معه ثلاثمائة فارس في ركابه ،وأما أولئك الذين رفضوا صحبتته خرج عليهم جماعة من التتار فشلحوهم ثيابهم ومامعهم (البدري ٧٩) .

### الفضيل بن عياض

أرق الرشيد يوماً فجاء إلى الفضيل بن الربيع وطلب منه أن يأخذه إلى عالم يعظه ،فأخذه إلى الفضل بن عياض رحمه الله ،فلما سمع بهم أطفأ السراج ،فدخلوا يتحسسان ،حتى وضع الرشيد يده عليه فقال : أواه من كف ما أليتها إن نجت من عذاب الله تعالى ... يا هارون إني أخاف عليك يوماً تزل فيه الأقدام ،فبكى هارون ،فقال الربيع : ارفق بأمرير المؤمنين ،فقال الشيخ : تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا؟ فبكى الرشيد ثم قال : هل عليك دين؟ فقال الشيخ : نعم ،دين لربي لم يحاسبني عليه ،فالويل لي إن سألتني ،والويل إن ناقشني ،والويل إن لم أهتم حجتي ،فقال الرشيد: هذه ألف دينار خذها وأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك ،فقال الشيخ : سبحان الله

!! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت تكافئني بمثل هذا؟ قال الربيع : فخرجنا من عنده، فقال هارون :  
إذا دلتني على رجل فدلي على مثل هذا، هذا سيد المسلمين اليوم (البدرى، ٨٨) .

### محي الدين النووي

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام، أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه، فقال الظاهر بيبرس : هل بقي من العلماء أحد؟ فقيل له : نعم، بقي الشيخ محي الدين النووي، فطلبه فحضر فقال له : اكتب خطك مع الفقهاء، فامتنع ثم قال للظاهر : سمعت عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مائتا جارية لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، أفتبتك بأخذ المال من الرعية، فغضب الظاهر وأخرجه من دمشق، فذهب إلى نوى، ولما ندم الظاهر وطلب منه العودة إلى دمشق؛ رفض وقال : لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر يرحمه الله (البدرى، ١٠١) .

### شيخ من الأزهر

لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة، توالى الهزائم على مصر، فجمع الخديوي العلماء وقرأوا البخاري، فلم يغير شيئاً، فغضب الخديوي وقال لهم : إما أن هذا ليس صحيح البخاري، أو أنكم لستم العلماء، فوجم العلماء حتى ابتدره شيخ من آخر الصف يقول له : منك يا إسماعيل . فقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال : [ والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونني فلا يستجيب لكم ] (جامع الأصول، ١/٣٣٢) . فزاد وجوم القوم، وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا، ولم ينيسا كلمة، ثم طلب الخديوي ذلك الشيخ، فودعه العلماء وداع الفراق، حتى وصل إليه، قال له : أعد يا أستاذ ما قلته لي بالأزهر، فأعاد الشيخ كلمته وردد الحديث وشرحه، فقال الخديوي : وما صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟! قال الشيخ: يا أفندينا ! أليست المحاكم مختلطة؟! حتى أباحت الربا، أليس الزنا برخصة؟! أليس الخمر مباحاً؟! أليس .. أليس ... وعدد له منكرات تجري بلا إنكار، وقال : كيف تنتظر النصر من السماء؟! فقال الخديوي : وماذا نصنع، وقد عاشرنا الأجانب وهذه هي مدنيتهم؟! قال الشيخ : إذن ما ذنب البخاري؟! وما حيلة العلماء؟! فأطرق الخديوي رأسه ثم قال : صدقت صدقت، وأمر له براتب ثلاثين جنيهاً في الشهر .

### الشيخ محمد الحامد

سمع الباحث من جماعة أن الشيخ محمد الحامد يرحمه الله (توفي عام ١٩٦٩م)، وكان عالماً عاملاً في مدينة حماة بسوريا، دعي من قبل محمد أمين الحافظ (رئيس الجمهورية) وكان زائراً لمدينة حماة، فلم يلب الشيخ الدعوة، ثم كرر الدعوة بإرسال سيارته الخاصة (سيارة الرئاسة)، فذهب الشيخ وسلم عليهم ثم قال له : لقد وعدتني يا أمين أن تحكم بشريعة الله، فأين ذلك؟ ويقال أن أمين

الحافظ أطرق خجلاً وقال : نحن مقصرون جداً يا شيخ . ثم عاد الشيخ بعد دقائق معدودة ، واعتذر عن تناول طعام الغداء مع رئيس الجمهورية ، وكان للشيخ رحمه الله هيبة عند الحكام<sup>(٤٩)</sup> .

### الخلاصة

يريد الباحث أن يبين أهمية دور العلماء في قيادة الأمة المسلمة ، لأنهم هم أولو الأمر ، الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم ، ويتحقق ذلك عندما لا يكونون موظفين عند السلاطين ، تابعين للحكام يدورون في فلകهم ، ويبدو للباحث - أحياناً - أن مشكلة المسلمين في بعض علمائهم ، فعندما يرى المسلمون العلماء يدورون في فلക السلطان ، يبيعون لهم الفتاوى مفصلة على القياس المطلوب ، تبقى الجماهير المسلمة بلا قيادة ، أو تنقاد للأحزاب العلمانية ، وفي ذلك خراب للمسلمين ، ولا يصلح حال المسلمين بدون أولي أمر لهم ، يقودونهم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ

ويصلح حال الأمة عندما يتصدى علماءها لمشكلاتها ، محتسبين ذلك عند الله عزوجل ، ولا يكون هذا إلا إذا تخلوا عن الدنيا ، أما إذا حاول العالم جمع الدنيا قبل الآخرة ، فهذا يفسد عليهم مهمتهم ، وإذا ضاع العلماء ضاعت الأمة ، كما هي حال المسلمين اليوم ، ( ويريد الإسلام اليوم من المسلمين ، وخاصة من معشر العلماء أن يبذلوا أقصى الجهد ومنتهاه في بيان أحكامه بصراحة وجرأة ، وحمل الدعوة إليه ، جاعلين وجودهم قائماً على أساسه ، فإذا هم لا ينصرون حقاً ولا يمنعون باطلاً ، ولا يأمرن بمعروف ، ولا ينهون عن منكر ، ولا يحاسبون حكاماً ، فما فائدة وجودهم إذن !!؟ وكان بطن الأرض خير لهم من ظهرها ) (البدرى ، ص ١٠) .

والمؤلم أن بعض العلماء في عصر الدويلات المتحاربة يقفون مع سلاطينهم ، فإذا تخاصم سلطانان وتقاتلا ، تجدد فئة من العلماء مع كل منهما ، تحاول أن تسخر الإسلام لمصلحة سلطانها ، فيقدم العلماء إسلامين متناقضين ، وهذه حالة لا يرجى معها خير ، إلا إذا أراد الله عزوجل ، والله على كل شيء قدير .

وقد روى أبو نعيم في الحلية : أن رسول الله ﷺ قال : [ صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسدا فسد الناس ، العلماء والأمراء ] (ضعفه السيوطي في الجامع الصغير) ، أما إذا صار الصنفان على غير ما وصفناه ، كأن يكون الحاكم فاسداً مفسداً ، يعمل بعمل أهل الجاهلية ، ويدعو بدعوة الجاهلية ، فالظلم سجيته والكفر رائده ، وسلب الأموال لإنفاقها في شهواته وملذاته ، ولإشباع نزوات أتباعه وجلالوته ، والعلماء تجاهه بين ساكت عنه ، لا ينكر ولا يغير ، ولا ينصح ولا يصدع بكلمة ، أو ينسب بنت شفة ، ارتضى العافية والتمس لنفسه المعاذير ، وتشبث بالتأويل ، فإذا آل أمر الحكام والعلماء على ما ذكرنا ، فحق على من عنده بقية من علم وفضل من تقوى ، أن يصدع بالحق ويرفع صوته به ، ولو كان وحده في الميدان ، وحق على المسلمين أن يؤازروه ويعينوه (البدرى ، ص ٥٧) .

(٤٩) عرض الباحث هذا الخبر على الأخ عبد المعز بن الشيخ محمد الحامد ، في المدينة المنورة عام ١٤١١هـ ، فأيده .

( وبعض العلماء قانع بصلاته يؤديها ، إذا وعظ بالمناسبة كان وعظه يميت القلوب ولا يحييها ، وقد عافه الناس لتكراره وبعده عن واقع حياتهم . ومنهم من استولى على المذيع وارتقى المنابر يسبح بحمد الحاكم ويقدم أمره ، ويذكر كل خير وبر منسوباً إلى حكمه ، وما يعمل غير من خير ظاهر كان بتوجيه منه ، ومنهم من يزين عمله ، ويؤول نصوص الإسلام لتوافق ما سن الحكام من أنظمة فاسدة وقوانين ظالمة ، وكثيراً ما سمعنا منهم من يؤيد الاشتراكية ؛ تزلفاً إلى الحكام والتماساً لرضاهم ، وكذلك وقفوا من الديمقراطية ، لأن بعض الحكام يدعون إليها ، مع أن الاشتراكية والديمقراطية أنظمة فاسدة مخالفة للإسلام ) (البدرى ، ٥٨) .

وقد حذر رسول الله ﷺ من أمراء المستقبل ، فقال لكعب بن عجرة : [ أعيذك من إماراة السفهاء ، قال : وما ذلك يا رسول الله ؟ قال : أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم ، فليسوا مني ، ولست منهم ، ولن يردوا علي الحوض ، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ، ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك مني وأنا منهم ، وأولئك يردون علي الحوض ] (٥٠) .

وروى البخاري ومسلم يرحمهما الله أن رسول الله ﷺ قال : [ يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان ! ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول : بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية ] (٥١) .

ويعتقد حجة الإسلام الغزالي يرحمه الله (الإحياء ، ٧/٩٢) أن التبعة الكبرى في كل فساد يظهر في البلاد الإسلامية تقع تبعته على العلماء ، وهم من الأسباب الرئيسية في فساد الأوضاع ، لأنهم ملح الأمة ، فما الذي يصلحه ؟ ويتمثل الغزالي ببيت خوطب به العلماء :

### يامعشر القراء يامالـح البلد .... ما يصلح الملح إذا الملح فسد

هذا قول الغزالي في علماء زمانه !! فما يقول في علماء زماننا !!؟! ولا بد من الإشارة إلى أن بعض العلماء - وإن قل عددهم - ما زالوا لا يخافون في الله لومة لائم ، وقد صدعوا بالحق وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، وقالوا للظالم أنت ظالم ، ومنهم على سبيل المثال ، وليس الحصر :

حسن البنا ، وسيد قطب ، وعبد العزيز البدرى ، وابن باديس ، وسعيد النورسي ، ومحمد الحامد ، وعبد الله عزام ، وعشرات العلماء الصوماليين الذين أحرقتهم سياد بري في الساحة العامة ، وعشرات مثلهم من العلماء الأفغانيين أعدمهم الشيوعيون في الساحة العامة ، وذلك العالم التونسي الذي أحضره بورقيبة ليقول للناس بجواز الفطر في رمضان من أجل العمل ، فحضر ومن منبر الإذاعة وأمام بورقيبة قال للناس : لا أعلم سبباً يبيح لكم الفطر ، وليس العمل سبباً يجوز به الفطر ، وكان بورقيبة قد وعد الناس أن العالم كذا سوف يفتيكم بجواز الفطر من أجل العمل .

(٥٠) صحيح النسائي للألباني (٨٩٢/٣) رقم الحديث ٣٩٢٤ ، وصحيح الترمذي للألباني (٢٥٥/٢) رقم ٢٣٧٤ .

(٥١) البخاري (٢٣٨/٦) في بدء الخلق ، ومسلم (٢٩٨٩) في الزهد ، وجامع الأصول (٥٤٦/٤) .



## الفصل الخامس

### الشورى

الشورى أهم الخصائص التي تميز السياسة الإسلامية عن السياسة الجاهلية، ويسمى النظام السياسي الإسلامي ( نظام الشورى ) لهذا السبب، وقد صدرت عدة كتب عن الشورى في السنوات الأخيرة<sup>(٥٢)</sup> ولا يريد الباحث أن يكرر ما جاء فيها، إنما يركز على ما يراه هاماً وضرورياً من خلال النقاط التالية :

#### الشورى أمر رباني للفرد والمجتمع

تتصف الشورى بأنها الركن السياسي الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، قال تعالى { والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون، والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون } ( الشورى ٣٩، ٣٨ ) ولأهمية الشورى فقد أمرنا بها ربنا عز وجل في هذه الآية، وجعلها في أمر واحد بين الصلاة والزكاة، وجعلت هذه الصفات للذين استجابوا لربهم، فالصلاة والشورى والزكاة من نتائج الاستجابة لله عز وجل، ومن صفات { الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون }، وبما أن سورة الشورى مكية يتضح لنا أن الشورى صفة من صفات المسلم، أي مسلم، وليس الأمير فقط، وأن الشورى ملازمة للدعوة الإسلامية، في مراحلها كلها، عند تكوين الفرد المسلم، والجماعة المسلمة، والدولة المسلمة. (ومادامت الشورى صفة لازمة لكل مسلم لا يكمل إيمانه إلا بتوفرها، فهي إذن فريضة إسلامية واجبة على الحاكمين والمحكومين. قال تعالى في كتابه العزيز مخاطباً رسوله ﷺ { فيما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر، فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين } ( آل عمران ١٥٩ ) . وقال القرطبي رحمه الله قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا لا خلاف فيه، وقال ابن تيمية يرحمه الله (لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالى أمر بها نبيه ﷺ، وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ) (الترمذي ٢١٣)، وقد قيل أن الله أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به من بعده، وليستخرج بها منهم الرأي فيما لم يتزل فيه وحي...، ويقول سيد قطب يرحمه الله لقد جاء هذا النص { وشاورهم في الأمر } عقب وقوع نتائج للشورى تبدو في ظاهرها خطيرة مريرة، فقد كانت محنة أحد، ولم يكن رسول الله ﷺ يجهل النتائج الخطيرة من جراء الخروج، فقد كان لديه الإرهاص من رؤياه الصادقة التي رآها، وقد تأولها قتيلاً من

(٥٢) — منها الشورى لعبدالله قادري — وملاحم الشورى لعبدان النحوي، وشورى لاديموقراطية للنحوي، وفقه الشورى والاستشارة لتوفيق الشاوي، وعولجت الشورى في التشريع الجنائي وأوضاعنا السياسية لعبد القادر عودة، والنظام السياسي لمحمد عبدالقادر أبو فارس، والطريق إلى جماعة المسلمين لحسين جابر يرحمه الله، والنظام السياسي لمحمد سليم العوا، والشورى في الإسلام لمحمود بابلي، ومبدأ الشورى في الإسلام ليعقوب المويلحي، والنظريات السياسية لمحمد ضياء الدين الرئيس، والخلافة والإمامة لعبد الكريم الخطيب، وغيرها .

أهل بيته، وقتلى من أصحابه، وتأول المدينة درعاً حصينة، وكان من حقه أن يلغى ما استقر عليه الأمر نتيجة الشورى، ولكنه أمضاها وهو يدرك ما وراءها، لأن إقرار المبدأ وتعليم الجماعة وتربية الأمة؛ أكبر من الخسائر الوقتية، وأمام النتائج الخطيرة التي انتهت إليها المعركة يقول تعالى { فاعف عنهم، واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر } ليقرر المبدأ في مواجهة أخطار الأخطار التي صاحبت استعماله، ويثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة أيًا كانت الأخطار التي تقع أثناء التطبيق، لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ، ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق .

وهكذا حاول الباحث أن يشير إلى أهمية الشورى للمسلم، وللمجتمع المسلم، لأن وجود الأمة المسلمة، بل المجتمع المسلم مرهون بهذا المبدأ، ولا بد أن يتصف الفرد بالشورى حتى تدخل في عظمه ودمه، فيصطبغ بها كله، وعندئذ تصبح ممارستها في الحياة الاجتماعية أمراً ميسوراً .

ومما يلفت النظر أن كثيراً من المسلمين اليوم، مازالوا يحصرون الإسلام في الشعائر التعبدية فقط، وما زالت هذه الصورة الكنسية للدين تستعمر عقولهم، وقليل من المسلمين يخطر في باله أنه يأتهم إن لم يشاور، فكل مسلم فرضت عليه الشورى كما سنرى وقليل من المسلمين يشاورون، وقليل ممن يشاورون يلتزمون بالشورى .

ولا يخطر في ذهن كثير من المسلمين أن يهمل صلاة واحدة والحمد لله على ذلك لأن الصلاة فريضة، وإن فاتته لعذر كالنوم مثلاً؛ أسرع إلى قضائها، واستغفر ربه عما حصل، وآلمه ذلك، ولو تأخر المسلم في سحوره مثلاً سارع إلى العلماء يسألهم هل صح صيامه؟ أم ماذا يفعل؟ وكذا في الزكاة والحج، وهذه من نعم الله على المسلمين، ومما يسر المسلم أن يرى ذلك، لكن لماذا يهمل المسلم الشورى؟ مع أنها مفروضة عليه كذلك؟ تجده يهمله عن قصد أو عن جهل، ولا يشعر بغضاضة في ذلك، كما يهمل البيعة والطاعة دون أن يتألم كما تألم عندما يفوته وقت الصلاة، وسبب ذلك الفهم الجزئي للإسلام الذي كرس أعداؤنا وقتهم وعمهم ليزرعوه في المسلمين، وقد نجحوا إلى حد كبير . فما زال مفهوم الإسلام الشامل سطحياً لدى المسلم المعاصر، ومفهوم الانقياد التام لله عز وجل الذي ركزنا عليه عند تعريف الإسلام، فالمسلم عبد لله عز وجل في صلاته وصومه وزكاته وحجه، وفي علاقته بنفسه وزوجته، وفي علاقاته بالمجتمع (السياسة)، وفي بيعه وشراؤه، وسائر شؤون حياته، وهذا هو الانقياد التام لله عز وجل

### الشورى صفة لكل مسلم

أمرنا ربنا بالشورى في سورة مكية، عندما لم تكن هناك دولة، ولم يكن سوى عشرات من الأفراد المسلمين، ونفهم من ذلك أن الشورى صفة لكل مسلم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول [كلكم راع ومسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته]، قال فسمعت هؤلاء من النبي ﷺ



وأحسب النبي ﷺ قال [والرجل في مال أبيه راع ومسؤول عن رعيته، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته] (جامع الأصول، ٤/٥٠) وهكذا فالشورى مفروضة على الأمير وكل من هو على الناس، كالوزير ومدير المدرسة أو مدير المؤسسة، والمدرس في الفصل، والأب أمير في البيت والشورى مفروضة عليه، وتشاور المرأة زوجها وأولادها في شئون بيتها، ولا تنفرد برأيها في الأُسرة، كما لا ينفرد الأب برأيه في أسرته، ويشاور الموظف غيره ليقوم بواجبه خير قيام، ويتدرب الصغار على الشورى في البيت والمدرسة<sup>(٥٣)</sup>. وقد قرن الله عزوجل الشورى بالصلاة والزكاة فدل على أن حكمها كحكم الصلاة، فقال تعالى ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾ (الشورى ٣٨) وقال صاحب الظلال (والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبح الحياة كلها بهذه الصبغة، وهو كما قلنا نص مكّي، كان قبل قيام الدولة الإسلامية).

### وخلاصة القول :

يقبل بعض الشباب المسلم حالياً على الاستشارة كما وصى رسول الله ﷺ، وهذه نعمة كبيرة تسر المؤمن، لكن لوربطوا الاستشارة بالاستشارة لكان خيراً لهم، فيتحقق عندئذ [ماندم من استشار وما خاب من استشار]. والمسلم الذي اتصف بالشورى يتخلص من الأنانية وحب الذات، فمن صور الأنانية أن الأناني يرى نفسه عظيماً جداً، ويرى الآخرين صغاليك بجواره، لذلك يترفع عن مشاورتهم، ويراهم إضاعة للوقت لافائدة منها، أما رسول الله ﷺ فكان هديه في حياته كثيرة الشورى، بل كان أكثر الناس استشارة لأصحابه، وأحياناً كان يستشير في قضاياها الخاصة وشئون أهل بيته. حتى أن المشركين عيروا رسول الله ﷺ وقالوا عنه (أذن) أي يسمع كلام أصحابه كثيراً، وهذا دليل على كثرة مشاورته ﷺ لأصحابه. وكان يأخذ بمشورتهم ولا يستبد بالرأي دونهم. وعندنا نقول الشورى لكل مسؤول، والفرد المسلم مسؤول عن نفسه أولاً، مسؤول عنها أمام الله عزوجل، يشاور من يثق بدينهم في أمور نفسه الشخصية لأنه مسؤول عنها أمام الله، ومسؤول عن أسرته، ومرؤوسيه... الخ، وعندما نقول الشورى لكل مسلم؛ نهدف أن يتدرب المسلمون على الشورى، حتى إذا كان أحدهم أميراً صغيراً أو كبيراً، أو إماماً كانت الشورى صفة ملازمة له، تدرب عليها ومارسها حتى صارت سجية له، فمارسها عندما كان مسؤولاً عن نفسه، وعن أسرته... أما عندما ينشأ المسلم على الفردية والأنانية، حتى إذا صار أميراً أُلزِمناه بالشورى فلا يستطيع ذلك وإن حاول، وقد يحاول فيحيط نفسه بمظاهر الشورى، كما هو الحال في مجالس الشعب في بعض الدول، تجتهد في معرفة ما يفكر فيه الزعيم الأُوحد ثم تتسابق إلى تقديمه ليصدق عليه المجلس بالإجماع.

### الشورى خلق إسلامي

(٥٣) — صدر للباحث كتاب عنوانه: كيف نربي أولادنا على الشورى.

جاء في الحديث القدسي قوله تعالى [ ... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ]<sup>(٥٤)</sup> إنما تعود الفوائد على العباد، ومن هذه الشورى، فقد فرضها الله عز وجل على المسلمين لأنها تعود عليهم بالخير والمنفعة في الدنيا والآخرة . وقد خلق الله الإنسان وهو أعلم بما خلق إذ ركب فيه دافع الأنانية وحب الذات، ليحفظ الإنسان ذاته، وجعل الله هذا الدافع في جميع الكائنات الحية، وجعل الغريزة في النبات والحيوان ليمارس كل منهما دافع الحياة بشكل موزون، أما الإنسان فأعطاه العقل وجعله يتحكم في غريزته، ليوازن حياته بعقله، ( وغاية ما يصل إليه العقل اتباع الشريعة )، ولكن الإنسان يضعف أحياناً ويهمل عقله، فتغلبه غرائزه وشهوته ويتضخم عنده حب الذات . ونلمس حب الذات متضخماً عند الكفار والملحدين، حيث أنهم يظنون أن الدنيا هي الفرصة الوحيدة، لذلك يسارع أحدهم إلى الشهوات فتضخم ذاته، وتزداد أنانيته، حتى وصلت عندهم إلى قتل أولادهم بما يسمونه تحديد النسل، حتى لا يشاركهم هؤلاء الأولاد في ملذاتهم.

والشورى من كوابح حب الذات والأنانية، وربط للفرد المسلم بإخوانه المسلمين، فتصبح جماعة متماسكة بعد أن كبحت أنانيات أبنائها. والشورى إذن خلق إسلامي، والمسلم الذي لا يتصف بالشورى ناقص الإيمان، وفي أخلاقه فجوة كبيرة خطيرة، ولا تظهر هذه الفجوة إلا إذا صار أميراً ومسؤولاً، فتراه يفرض عليهم أنانيته وحب ذاته، والشورى صفة إسلامية ؛ تحلى بها رسول الله ﷺ، والمنافقون لا تعجبهم الصفات والأخلاق الإسلامية لذلك عابوا على رسول الله ﷺ ذلك الخلق ؛ وقالوا عنه ( أذن ) أي يسمع ما يقوله أصحابه ويصدقهم، قال تعالى ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ﴾ ( التوبة ٦١ ).

### الشورى ملزمة والاستشارة معلمة :

من أكثر القضايا السياسية التي دار حولها الخلاف والمناقشة في عصرنا ؛ إلزامية الشورى، وانقسم المفكرون إلى فئتين إحداهما تقول بإلزامية الشورى، والثانية ترى أن الشورى معلمة وغير ملزمة.

وتكون الشورى ملزمة عندما يلتزم الأمير برأي أكثرية أهل الشورى عندما يخالف رأيه، فيلتزم برأيهم وينفذه، وتلتزم الأقلية برأي الأكثرية وتنشط لتنفيذه، كما فعل رسول الله ﷺ يوم أحد، كما سنفصل بعد قليل .

والشورى معلمة وغير ملزمة عندما يسمع الأمير آراء أهل الشورى، فيوسع مداركه ومعرفته بالقضية، ثم يختار الرأي الذي يراه أصوب حسب قناعاته هو، كما أنفذ الصديق جيش أسامة، على الرغم من مخالفة أهل الشورى له بالرأي.

(٥٤) — جامع الأصول (٣/١١)، ومسلم رقم (٢٥٧٧) في البر والصلة، باب تحريم الظلم .

ولا يريد الباحث الدخول في الجدل والنقاش المستمر، وسيشير إلى بعض النقاط الهامة في إلزامية الشورى :

١ — (أولو الأمر) الذين أمرنا الله بطاعتهم، ورد هذا اللفظ الدال عليهم بصيغة الجمع، بل هو اسم جمع لا مفرد له من لفظه؛ كما يقول القرطبي، ويستدل الباحث من ذلك على أن (أولي الأمر) جماعة وليس فرداً، وإذا تعذر فهم ذلك في الماضي؛ عندما كان الإمام مجتهداً، فإن العصر الحاضر يشجع كثيراً على هذا الفهم، حيث لا يوجد اليوم الإمام المجتهد المتمثل في فرد واحد بعينه، وإنما يتحقق الاجتهاد اليوم من خلال مجموعة من العلماء من أهل الشورى.

٢ — إذا كان أهل الشورى هم علماء المسلمين كلهم، وليسوا فئة منهم، فيلزم الإمام أن يترك رأيه لرأيهم؛ لأن خلاف الواحد لا يقدح في الإجماع، بل ينعقد الإجماع ولو خالف الواحد.

٣ — رأي الأكثرية ملزم عند اختيار الخليفة لعدة أسباب :

أ — لا يوجد إمام يأخذ بما يرجح له.

ب — يتعذر الإجماع في هذه الحالات، ويجب على الأقلية الالتزام بقرار الأكثرية، كما أوصاهم عمر رضي الله عنه.

ج — تأخر العدد القليل عن البيعة لم يؤثر في انعقاد بيعة الصديق، وعليه (قادري ٩٣).

٤ — يقول عبد الله قادري: (إن المتأمل في واقع السلف في الماضي، وواقع المسلمين الآن سواء على مستوى بعض الحكومات، أم على مستوى الجماعات، يرى أن لمن يقول بإلزامية الشورى في العصر الحاضر وجه من الصواب...، ويرى أن الظروف المعاصرة تحتاج إلى رأي جماعي يكون الصواب فيه أكثر من الخطأ..).

٥ — لا يوجد مانع شرعي من إلزامية الشورى، إذا اتفق الأمير مع أهل الحل والعقد عند بيعته. بل تصبح عقداً لازماً يجب الوفاء به، والأصل في العقود الإباحة، قال ابن تيمية رحمه الله: (وبالجمله فجميع ما ينفع الناس من الشروط والعقود والمخالفات في الأخوة وغيرها، ترد إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، فكل شرط يوافق الكتاب والسنة يوفى به) (الفتاوى ٩٧/٣٥).

٦ — يقول عبد القادر عودة رحمه الله (والواقع أن الشورى لن يكون لها معنى إذا لم يؤخذ برأي الأكثرية، ووجوب الشورى على الأمة المسلمة يقتضي التزام رأي الأكثرية..).

٧ — يقول حسين جابر (ص ٩٥) (الواضح من سنة رسول الله ﷺ أنه كان يأخذ برأي الأغلبية (أغلبية أهل الشورى)، عندما يختلف أصحاب الشورى، وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول [إن أمي لا تجتمع على ضلالة، فإذا رأيتم اختلافاً فعليكم بالسواد الأعظم<sup>(٥٥)</sup>]، وقال المناوي (فعلیکم بالسواد الأعظم من أهل الإسلام)

(٥٥) — ابن ماجه (١٣٠٣/٢) وذكره السيوطي في الجامع الصغير وصححه، وذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (١٨٤٤) وقال الشطر الأول منه صحيح، وهو عند أحمد في عدة مواضع منها (٩٧٨/٤).

وقوله ﷺ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما [لواجتمعتما في مشورة ما خالفتكما] [٥٦] وعن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال [إنان خير من واحد، وثلاثة خير من اثنين، وأربعة خير من ثلاثة، فعليكم بالجماعة، فإن الله عزوجل لن يجمع أمي إلا على الهدى] [٥٧].

٨ — يقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله ( فإن اختلفوا كان النظر إلى الأكثرية ) (الإحياء ٢٣/١). ويقول الماوردي رحمه الله ( إذا اختلف أهل المسجد في اختيار الإمام ؛ عمل على قول الأكثرية ) ( ص ١٠ ) . وقال صاحب المنار في سياق تفسيره لآيات معركة أحد ( ... فإنه أخذ ﷺ برأي الأغلبية من الصحابة بالخروج ) ( تفسير المنار ) . وكذلك القاعدة الفقهية المعروفة ( بالجمهور ) فإنها تعد ترجيح للأمر المختلف فيه برأي الأكثرية ، وفي علم الحديث فإن كثرة الرواة للحديث تجعله متواتراً أو مشهوراً ، وكثرة الطرق ترفع الحديث من الضعف إلى القوة ، واعتبارهم مخالفة الثقة للثقات شذوذ..

٩ — ويقول الدكتور محمد أبو فارس (ص ٩٤): (إن الذي يرحمه العقل، وتميل إليه النفس، ويرتاح إليه القلب من قال إنه ينبغي ألا يتجاهل رأي أهل الشورى، بل يلزم به الأمير، وإن خالف رأيه ) . ( وقد تراجع المودودي رحمه الله عن قوله الشورى غير ملزمة الذي ورد في كتابه ( نظام الحياة في الإسلام ) ، وقال بوجوب اتباع رأي الأكثرية لأن قاعدة ( وأمرهم شورى بينهم ) تتطلب التسليم بما يجمع عليه أهل الشورى أو أكثريتهم ، أمالو كانت الشورى غير ملزمة فإنها تفقد معناها، فالله لم يقل تؤخذ أراؤهم ومشورتهم وإنما قال وأمرهم شورى بينهم وتطبيق هذا لا يتم بأخذ الرأي فقط ، وإنما من الضروري أن تجري الأمور وفق ما يتقرر بالإجماع أو الأكثرية . ( كتاب الحكومة الإسلامية للمودودي ص ٩٤ )

١٠ — وقد سأل الباحث الشيخ سعيد حوى رحمه الله عن إلزامية الشورى فقال الشورى ملزمة ، والنظام الأساسي لجماعة الإخوان المسلمين الذي تركه الإمام حسن البنا رحمه الله ، ينص على إلزامية الشورى ، وأكد الأستاذ صالح أبو رقيق ( عضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين أيام البنا رحمه الله ) ، أن الشورى ملزمة عند الإمام حسن البنا ( مجلة المجتمع الكويتية).

وجاء في القانون الأساسي واللائحة الداخلية للإخوان المسلمين ( وتكون القرارات صحيحة (قرارات مكتب الإرشاد) متى صدرت عن الأغلبية المطلقة (النصف + ١ للمجتمعين ) . ويكون الاجتماع صحيحاً ( بالنسبة للجمعية التأسيسية ) إذا حضرته الأغلبية المطلقة ... وتكون القرارات صحيحة إذا صدرت عن الأغلبية المطلقة للحاضرين ( شقير ، ٤٩٣). ومما يجدر ذكره أن الإمام البنا رحمه الله المرشد العام هو رئيس مكتب الإرشاد ، ورئيس الجمعية التأسيسية ، ويحضر اجتماعهما ، ويلتزم بقرار الأكثرية.

(٥٦) — أحمد (٢٢٧/٤) وذكره ابن حجر في الفتح (٣٤٠/١٣) : لو أنكما تفتقان على أمر واحد ما عصيتكما في مشورة أبداً .

(٥٧) — أحمد (١٤٥/٥) والترمذي (٤٦٦/٤) وصححه السيوطي في الجامع الصغير .

١١ — قابل الباحث عدداً من أمراء الحركات الإسلامية بحكم إقامته في المدينة المنورة في مواسم الحج وعرف منهم أن جماعاتهم تطبق إلزامية الشورى وهم الشيخ الدكتور عباس مدني، الأمين العام لجهة الإنقاذ الإسلامية الجزائرية، والشيخ محفوظ النحاح، أمير حركة المجتمع الإسلامي الجزائري ( حماس الجزائرية )، والشيخ عبد الله جاب الله ؛ أمير حركة النهضة الإسلامية الجزائرية، والشيخ راشد الغنوشي أمير حركة الاتجاه الإسلامي في تونس . والشيخ سعيد حوى أحد القادة للإخوان المسلمين السوريين . كما التقى الباحث ببعض الأخوة السودانيين وعرف منهم أن الجهة القومية الإسلامية في السودان تطبق إلزامية الشورى، والتقى أيضاً ببعض المجاهدين الافغان وعرف أنهم يطبقون إلزامية الشورى . وكذلك التنظيم العالمي للإخوان المسلمين فإنه يطبق إلزامية الشورى.

### الفرق بين الشورى الملزمة والاستشارة المعلمة

فصل الدكتور توفيق الشاوي هذه المصطلحات، ورأى أن عدم التمييز بينها سبب ذلك الجدل الطويل عن الشورى الملزمة والمعلمة، وهذه خلاصة لمقال :

أولاً — الشورى الملزمة : ومن أمثلتها :

١ — تشاور أهل الحل والعقد بشأن قرار سياسي أو اجتماعي .. إلخ مثل اختيار رئيس أو ولي أمر، أو أي شأن من الشؤون العامة، وصدر قرار بالإجماع أو الأغلبية منهم، فقرارهم في هذه الحالة ملزم . ومن الأمثلة على ذلك شورى الرسول لصحابته يوم بدر في قتال قريش بعد أن أفلتت منهم القافلة، وشوراه ﷺ يوم أحد، فقد نفذ الرسول ﷺ رأي الأغلبية بالرغم من أنه لم يكن مرتاحاً إليه .

٢ — تشاور أهل الحل والعقد لوضع نظام دستوري، وكان القرار بإجماع الجمهور ( الأغلبية ) فهذا ملزم أيضاً .

٣ — قرار المجتهدين وأهل العلم باستنباط حكم فقهي، لم يرد بشأنه نص في الكتاب والسنة، إذا صدر بالإجماع فهو ملزم وهو تشريع عندما تجمع عليه الأمة.

ثانياً — الاستشارة المعلمة : ومن أمثلتها :

١ — طلب الفرد مشورة غيره في أمر شخصي، فالفرد المستشار غير ملزم بما أشار به المستشار.

٢ — إذا طلبت هيئة (أهل الحل والعقد مثلاً) أو شخص، أو مؤسسة ما استشارة خبير ذي اختصاص، للاستعانة برأيه في اتخاذ القرار ؛ فإنها غير ملزمة بما أشار به هذا الخبير .

٣ — طلب الحاكم أو القاضي استشارة من الخبير أو المستشار أو مجتهد، فإنه غير ملزم بما أشار به .  
ومن أمثلة ذلك :

أ — استشارته ﷺ بعض أصحابه في حديث الإفك، وهو قضية شخصية .

ب — الاستشارة التي قدمها الحباب بن المنذر يوم بدر بتغيير المكان الذي نزل فيه الجيش، فقد أخذ بها الرسول ﷺ لاقتناعه بها، وليس لأنه ملزم بها .

ج — استشارة الرسول ﷺ بعض أصحابه في أسرى بدر، وقد أخذ الرسول ﷺ برأي أحد مستشاريه عندما اقتنع به، ولم يكن ملزماً له .

د — اقتناعه ﷺ برأي سلمان رضي الله عنه يوم الأحزاب فحفروا الخندق حول المدينة .

هـ — استشار ﷺ السعدين رضي الله عنهما يوم حصار الأحزاب للمدينة في المصالحة مع بعض طوائف الأحزاب، على أن يدفع لهم ثلث ثمار المدينة نظير جلائهم عنها، ولكنه اقتنع برأيهما وعدل عن هذا الاقتراح ( الشاوي، ١٣٠، ١٠١، ١٣٣ ) .

ونختم هذا المبحث بالدعاء إلى الله عز وجل أن يعلمنا ديننا ويزقنا اتباعه، إنه لطيف خبير .

وخلاصة القول أن الدكتور توفيق الشاوي جاء بجديد؛ وهو أن الشورى ملزمة، والاستشارة معلمة، والشورى تكون في الأمور العامة غالباً، وتمارس من خلال مجلس الشورى، أو أهل الحل والعقد، وما شابه ذلك . أما الاستشارة فغالباً ما يطلبه الإنسان العادي ( غير الأمير ) في شؤونه الخاصة، وقد يطلبها الأمير من فرد أو أكثر بسبب خبرتهم ودرايتهم في الموضوع .

-----

## الفصل السادس

### التعاون

لقد اجتازت الصحوة الإسلامية المعاصرة مرحلة الفرد، وصار إقبال الشباب على الحركات الإسلامية أمراً عفويًا، ووجب على هذه الحركات تربية الشباب على الإسلام، وتنظيمه في جماعات إسلامية متعاونة من أجل إقامة المجتمع المسلم، ومن ثم الدولة المسلمة، فالأمة المسلمة، وليس ذلك على الله ببعيد. وظهر في هذه المرحلة الحاجة الماسة إلى التعاون بين هذه الجماعات، ومما يؤسف له أن الصراع الحزبي، والتنافس الفقهي والمذهبي، ما يزال يشغل هذه الجماعات عن التعاون فيما بينها على البر والتقوى، من أجل إقامة المجتمع المسلم، الذي تعجز أي منها عن إقامته وحدها. لذا يرى الباحث أن التعاون (وليس الصراع) خاصة أساسية من خصائص السياسة الإسلامية التي تميزها عن غيرها من السياسات الجاهلية، وحيث أن كثيراً من المسلمين اليوم يجهلون السياسة الإسلامية؛ لذلك أراد الباحث أن يبين خصائصها ليتعرف المسلمون عليها، ويتميز عملهم السياسي (وهو فرع من الدعوة الإسلامية) عن العمل الحزبي الجاهلي. ومن هذه الخصائص التعاون، فما التعاون؟

#### التعاون في علم الاجتماع :

شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل طفولة الإنسان طويلة المدى، وطفل الإنسان يحتاج إلى عون من الآخرين مدة طويلة إذا ما قورنت بغيره من الكائنات الحية، وعندما يرشد فإنه لا يستطيع العيش بدون الآخرين، ولا بد له من المجتمع.

إذن يبدأ الإنسان في حياته وهو يأخذ ولا يعطي، وتطول فترة الأخذ بدون عطاء، حتى إذا دخل سن الرشد، ينبغي أن يعطي أكثر مما يأخذ، ليكون مجمل ما يعطيه في رشده أكثر بكثير مما أخذه في طفولته، وبذلك يقوم المجتمع الفاضل. وهذا الأخذ والعطاء نسميه التعاون، فالإنسان مفطور على التعاون (بل مجبور عليه)، والفضيلة أن يعطي الإنسان أكثر مما يأخذ، الرذيلة أن يأخذ أكثر مما يعطي، باستثناء حالات نادرة كالعاجز المبتلى الذي يجب أن يأخذ أكثر مما يعطي، أو يأخذ ولا يعطي.

ويعجز المسلم عن تنفيذ أوامر ربه وأوامر رسوله ﷺ وحده، ولا بد من التعاون مع الآخرين لتقوم صلاة الجماعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتربية الناشئة، والجهاد في سبيل الله وإقامة الخلافة... الخ. والخطاب الإلهي في القرآن الكريم {يا أيها الذين آمنوا...} خطاب للمجتمع وليس للفرد.

#### التعاون أخذ وعطاء :

هناك علاقات اجتماعية كثيرة، منها التطفل وهو أخذ بدون عطاء، ومن يأخذ في هذه الحالة يسمى طفيلي، أو ظالم أو مستعمر، ومثلها علاقة الاستعمار بالشعوب المستعمرة، حيث يأخذ منها خيراتها وهي مواد خام، ثم يأخذ أموالها عندما يبيعها المواد المصنعة، فهو آخذ في الحالتين، وقد يعطي شيئاً قليلاً تقتات به هذه الشعوب كي لا تموت جوعاً، فيخسر جهودها وطاقاتها التي تصب في جيوبه

،ومثل ذلك جميع العلاقات بين الدول الكبرى والدول الصغرى حالياً، وإن سميت تعاون أو معاهدات... إلخ.

أما التعاون فإنه يقوم بين طرفين مستقلين يعطي كل منهما الآخر، ويأخذ منه بحرية ووعي، كالدولة التي تقدم فائضها من القمح لجارتها التي تحتاجه، وتأخذ منها ما يقابلها من النفط أو الفوسفات... إلخ، ولا يشترط تساوي ما يتعاون فيه، وخاصة في الحدود الضيقة، فلا يقاس بالمقاييس المادية. والمقصود من هذا أن الطرفين المتعاونين محتاجان لبعضهما، ولا يستطيع أي منهما الاستغناء عن الآخر. وفي الحياة البشرية يتم التعاون بين أطراف عديدة وليس طرفين فقط، وكلما توسعت دائرة التعاون كانت الحياة أكثر ازدهاراً ومدنية.

أما المجتمع المسلم (وهو المجتمع الفاضل) فإن من يعطون فيه أكثر ممن يأخذون، والأمثلة من حياة الصحابة والسلف الصالح كثيرة، وهم المثال الصحيح للمجتمع المسلم، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ مرتباً من المجتمع المسلم (بيت المال) لا يزيد عن حاجاته الضرورية التي هي عيشة الكفاف، وعندما علم أن زوجته وفرت مبلغاً لشراء ثوب آخر في العام كله، أصدر أمره إلى خازن بيت المال بأنقص مرتبه بمقدار ما وفرت زوجته، أما ما قدمه (أعطاه) عمر للمجتمع المسلم فلو وزن بالجبال ذهباً لرجح عليها، ومثله حفيده عمر بن عبد العزيز، ومن قبله أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وغيرهم ممن قدموا أموالهم وأرواحهم في سبيل الله رضي الله عنهم أجمعين.

### التعاون تكامل :

شاء الله تبارك وتعالى أن يختلف الناس في قدراتهم لتقوم الحياة، فلو كان الناس نسخة واحدة مكررة لما قامت الحياة، بل إن الحياة تزدهر فتقوم الحضارة كلما كثر التنوع، ويتضح ذلك عندما نقارن القرية بالمدينة، فالتنوع في المدينة أكثر منه في القرية، لذلك المدينة أكثر تحضراً من القرية. ولا تقوم الحياة بدون هذا التعاون، فالتعاون إذن تكامل يعطي الطرف الأول ما يفيض عنده ويحتاجه الطرف الآخر، ويقدم الطرف الثاني ما يفيض عنده للأول، وهكذا تزدهر الحياة.

### تعاون الجماعات :

الجماعة ما اجتمع من الناس على أمر ما، وأقله اثنان لقول النبي صلى الله عليه وسلم [من يتصدق على هذا فيصلي معه] <sup>(٥٨)</sup>، والتصدق عليه بثواب الجماعة، دل ذلك على أن الاثنين جماعة، ولا حدلاً أكثرها، ويقال جماعة المسلمين لكل من اجتمعوا على إمام في زمن ما، كما قال صلى الله عليه وسلم لحذيفة [.. تلزم جماعة المسلمين

(٥٨) — أخرجه أحمد والدارمي وأبو داود والترمذي (٤٢٧/١)، وقال حديث حسن، والحاكم (٢٠٩/١) وقال صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في إرواء الغليل.



وإمامهم...<sup>(٥٩)</sup>، وكل جماعة اجتمعت على أمر ما من أمور الدين والدنيا لا تكون إلا بإمام مطاع ( عبد الخالق، ٧).

وأمام المسلمين اليوم مشكلة كبيرة ؛ تعرقل سير الصحوة الإسلامية أحياناً، وهي مشكلة تعاون الجماعات، مع أن مفهوم الولاء (لله ولرسوله وللمؤمنين) يفرض على هذه الجماعات التعاون، فالولاء للمؤمنين هو مناصرتهم والتحالف معهم، وقدمع المسلم من مناصرة غير المسلم أو التحالف معه، ليتعاون ويتحالف مع المسلم، وعندما تتدابر جماعتان مسلمتان ولا تتعاونان على البر والتقوى، فانهما لا تقيمان الولاء للمؤمنين، الذي لا ينفك عن الولاء لله ولرسوله ﷺ. فهل الجماعات كالأفراد؟ يقوم التعاون بينها على الأخذ والعطاء؛ والتكامل وليس الصراع؟ وعندما نقول أخذ وعطاء وتكامل؛ فإننا ننطلق من مسلمة أساسية وهي اعتراف الطرفين المتعاونين واحترام كل منهما للأخر، وبالأصح احترام الأطراف المتعانة لبعضها بعضاً، فهل يصح وجود الجماعات في المجتمع المسلم؟

### تعدد الجماعات :

سيعرض الباحث رأي المؤيدين بالتفصيل، دون رأي المعارضين، وسيشير إلى مصادر المعارضين وأهمها كتاب (حكم الانتماء ..) للباحث فضيلة الشيخ بكر بن أبو زيد يحفظه الله. وخلاصة مقاله: ( البيعة في الإسلام واحدة، من ذوي الشوكة، أهل الحل والعقد لولي أمر المسلمين وسلطانهم، وأن مادون ذلك من البيعات الطرقية والحزبية في بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة؛ كلها بيعات لأصل لها في الشرع..<sup>(٦٠)</sup> ). (ص ١٣٣). أما الذين يؤيدون تعدد الجماعات فكثيرون وحججهم :

١ — سمح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بوجود حزب مخالف له في سياسته ومنهجه، وهم الخوارج، وقال لهم: لكم علينا ثلاث ألا تمنعكم مساجد الله، ولا نحر مكم من الفياء مادامت أيديكم في أيدينا، ولا نبداكم بقتال، مع أنهم يمثلون معارضة مسلحة متهورة. (يوسف القرضاوي، مجلة الإرشاد الجزائرية )

٢ — اعتراف الأئمة الأربعة يرحمهم الله تعالى بمذاهبهم كلها، واحترام كل منهم للمذاهب الأخرى. (فيصلي بعضهم خلف بعض، كما كان أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأئمة آخرون يصلون خلف أئمة المدينة من المالكية وغيرهم، وصلى أبو يوسف خلف الرشيد وقد احتجم) (والاحتجام ينقض الوضوء عند الأحناف). وكان أحمد رحمه الله يقول كيف لأصلي خلف الإمام مالك وسعيد بن المسيب (مع اختلافه معهما في خروج الدم بالنسبة للوضوء، فالإمام أحمد يراه ناقضاً، ولا يراه كذلك) ( العلوي، ١١٨) وقد قاس يوسف القرضاوي جواز تعدد الجماعات

(٥٩) — متفق عليه، البخاري (٣٠/١١) في الفتن، ومسلم كتاب الإمارة رقم ١٨٤٧ .

(٦٠) — حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، ولورد عليه انظر : مشروعية العمل الجماعي لعبد الرحمن عبد الخالق، وانظر العمل الجماعي عند ابن تيمية له أيضاً، وانظر حكم الانتماء إلى الأحزاب والجماعات الإسلامية المعاصرة لمركز تطبيق الشريعة في إسلام آباد، وانظر الولاء والبراء لمحمد سعيد القحطاني .

(الأحزاب) السياسية داخل المجتمع المسلم، على جواز تعدد المذاهب الفقهية (مجلة الإرشاد الجزائرية ١٤١٠/٤)

٣— يقول ابن تيمية يرحمه الله: ( فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء، إذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء،... وهم مثابون على ابتغائهم وجه الله تعالى وحده لا شريك له... ) (الفتاوى ١٢٦/١٩). وكان ابن تيمية يرحمه الله يمارس الجهاد ضد التتار والباطنية مع عامة المسلمين، على ما فيهم من بدع وخرافة وتعصب، وكان يرى أن الجهاد معهم مشروع بل واجب ليدفع خطراً أعظم (عبد الخالق، ٥٧).. وهذا هو مدلول ما يؤكد الإمام حسن البنا يرحمه الله (فلنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

٤— يقول أبو الفتح البيانوني ( إلا إن إيجابيات التعدد تزداد وتغلب على السلبيات ومنها :  
أ — استيعاب أكبر عدد ممكن من المسلمين في نطاق العمل الإسلامي، فلا يمكن لجماعة واحدة مهما بلغ شأنها وعلا كعبها، أن تستوعب الناس جميعاً، على مختلف مذاهبهم ومشاربهم واجتهاداتهم .  
ب — التعاون على تحقيق الأهداف المشتركة .

ج — فسح المجال لأكثر من تجربة عملية في نطاق الدعوة الإسلامية .

د — بروز روح التجديد والتطوير للعمل الإسلامي .

هـ — شيوع روح التنافس والتسابق إلى الكمال .

و — ضمان استمرارية العمل الإسلامي في حالات المحن والمصائب، فلو قدر لجماعة أن تمتحن قبل غيرها، استمر العمل من قبل الجماعات الأخرى<sup>(٦١)</sup> ..

٥ — يلخص مفهوم التعاون بين الجماعات في العصر الراهن مقالة الشهيد حسن البنا يرحمه الله ( فلنتعاون فيما اتفقنا عليه، وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه<sup>(٦٢)</sup> )، ومما لا شك فيه أن الجماعات الإسلامية التي ستتعاون فيما بينها، جماعات متفقة على الأصول، مختلفة في الفروع، وعناصر الاتفاق بينها أكثر من عناصر الاختلاف، أي أنها اتفقت في الأهم، واختلفت في الفروع وهي أقل أهمية.

٦ — ورد الباحث عبد الرحمن عبد الخالق على معارضي تعدد الجماعات في رسالته (مشروعية العمل الجماعي)، وخلاصة الرد :

أ — عندما يوجد إمام المسلمين؛ فإن الجماعة العامة توجد عندئذ، وإذ ذلك لا يجوز لأحد من المسلمين أن يكون جماعة إلا بإذن الإمام، فإن لم يسمح للإمام فلا يجوز قيام الجماعة الخاصة، وعلى المسلمين جميعاً موالاته جماعة المسلمين وإمامهم عندئذ . ويرى يوسف القرضاوي جواز تعدد

(١٣) — أبو الفتح البيانوني، ص ٦٥، بتصرف .

(٦٢) — يقول القرضاوي في كتابه الصحوة الإسلامية ص (١٥٩): هذه القاعدة الذهبية صاغها محمد رشيد رضا يرحمه الله، وكان البنا يرحمه الله حريصاً على هذه القاعدة فكراً وعملاً حتى حسب تلامذته وأتباعه أنه واضعها .

الأحزاب المسلمة في الدولة المسلمة يقول (لا يوجد مانع شرعي من وجود أكثر من حزب سياسي داخل الدولة المسلمة، إذ المنع يحتاج إلى نص ولا نص، بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في هذا العصر، لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم، وتسليطها على سائر الناس وتحكمها في رقاب الآخرين، وفقدان أي قوة تستطيع أن تقول لهالاً، أو لماذا؟. ويشترط أن تعترف هذه الأحزاب بالإسلام ولا تعاديه أو تنكره، وألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمنه، وفي الحديث الشريف [إذا رأيت أمي تهاب أن تقول للظالم يظالم فقد تدع منهم، وفي الحديث الآخر إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أو شك أن يعمهم الله بعقاب] (٦٣)، والدولة الإسلامية ليست هي الدولة الدينية بل هي دولة مدنية تخضع إلى الشريعة، رئيسها ليس معصوماً، وأعضاؤها ليسوا كهنة، بل هم بشر يصيبون ويخطئون، وعلى المسلمين أن يعينوهم ويقوموهم، ولهذا كان وجود قوى منظمة تعمل في وضوح النهار، وتقدر أن تعين المحسن وتقوم المسيء؛ أمر يرحب به الشرع (مجلة الإرشاد الجزائرية، ٤/١٤١٠).

ب — لكن لا يوجد اليوم إمام للمسلمين، ولا توجد لهم جماعة عامة (والجماعة العامة توجد عندما يوجد الإمام)، ولا يوجد من يدعي أنه إمام عام للمسلمين .

ج — هناك فرق بين الجماعة العامة والجماعة الخاصة، فالجماعة العامة واحدة، أما الجماعات الخاصة فيجوز تعددها، بل يستحب تعددها بما يكفل سد الثغرات والقيام بفروض الكفايات، وعندئذ لا يجب على كل مسلم مبايعة هذه الجماعة الخاصة، بل من استحسن أمرها جازله الالتزام بها .

د — ولو وجد من يدعي أنه إمام عام للمسلمين، ثم ضيع فروض الكفايات، فإنه يجب على المسلمين إقامة هذه الفروض، ولا يمكن إقامتها إلا بالجماعة، أو جماعات. وأحسن الأمثلة على ذلك عندما فتح حاكم أفغانستان باب بلاده للروس باحتلال البلد، فهل يسكت المسلمون؟ أم ينبرون للدفاع عن دينهم ووطنهم؟ وهل يدافعون أفراد أم جماعات؟ (مشروعية العمل الجماعي، عدة صفحات).

ومما يؤسف له أن الصحة الإسلامية المعاصرة، لم تستطع التخلص من أمراض المجتمع المسلم المعاصر، حيث يضيق صدر كثير من المسلمين ممن يختلف معهم، حتى لو كان هذا الاختلاف في الفروع، وساد نمط (التبعية) بدلاً من (التعاون) وسادت مقولة خاطئة وخطيرة وهي (من ليس معك فهو ضدك)، وهذه المقولة تمثل الإرهاب الفكري، وسحق حرية الرأي والفكر، وهما انعكاس للاستبداد السياسي المعاصر وخاصة نظام الحزب الواحد، أو ما شاكله . حتى صار سؤال الطالب لشيخه مثار الاستمزاز، لأن الطالب المؤدب في نظرهم يسمع من شيخه فقط؛ ثم يحفظ ما قاله جيداً ويعرض عليه بالنواخذ؟.

وغاب الحوار في العالم الإسلامي، وحل مكانه القهر وخنق الحريات، والسجون وأقبيبة المخابرات، في الوقت الذي وصل فيه الحوار في أوروبا إلى مرتبة عظيمة، تتجلى في سماح الحكومة

(٦٣) — أبو داود رقم (٤٣٣٨) في الملاحم، وجامع الأصول (١/٣٣١)، وقال الأرنؤوط إسناده قوي .

الفرنسية الليبرالية(يومئذ) للحزب الشيوعي الفرنسي أن يعقد مؤتمره عام (١٩٧٨م) في قاعة البلدية بباريس(وهي أكبر قاعة عندهم)، ويستنفر رجال الشرطة والمرور لحماية المؤتمر، فالليبراليون الفرنسيون يرون قاسماً مشتركاً يربطهم بأعدائهم السياسيين (الشيوعيين) وهو مصلحة فرنسا، لأن كلاً منهم يعمل لهذه المصلحة المشتركة . أما في العالم الإسلامي فتجد الحزب الواحد ينقسم بين (يمين ويسار كما يدعون ) ثم يصفي القوي الضعيف تصفية جسدية ، وبأساليب وحشية همجية ، ويزج بالباقيين أو بكل من يخطر بباله وقوفه ضدهم في السجون ، ليبقى فيها بدون محاكمة عشرات السنين ، ويتحول رفاق الأمس إلى أعداء اليوم ، حيث لا يمكن اللقاء أو الحوار معهم أبداً .

وقد درس مركز تطبيق الشريعة الإسلامية في إسلام آباد قضية تعدد الجماعات دراسة مفصلة وخالصة ما وصل إليه :

### ١ — يجوز تعدد الجماعات الإسلامية في دار الإسلام بثلاثة شروط وهي :

- أ- أن لا تكون على أصول بدعية(أي أن لا تكون منحرفة عن الإسلام).
- ب- أن يكون الولاء لله ورسوله وللحزب أو الجماعة فقط.
- ج- أن لا تنازع السلطان المسلم الذي يحكم بشرائع الإسلام.(شرعية الانتماء .. ١٨)

### ٢ — ومن الأدلة على جواز تعدد الجماعات الإسلامية في دار الإسلام :

أ- السياسة الشرعية وهي كل فعل يقرب الناس إلى الصلاح ويبعدهم عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول ﷺ ، ولم يتزل به وحي ، ولكنه يوافق الشرع ولا يخالفه ، كحرق علي بن أبي طالب ﷺ للزنادقة ، وتحريق عثمان ﷺ للمصاحف ، ونفي عمر ﷺ لنصرين حجاج ... وعلى هذا فإن تدبير شئون الحكم وعقد السلطات العامة في الدولة ، وتمكين الأمة من ممارسة حقها في السلطة ، وتدبير أنظمة الشورى والحسبة ونحوه ، كل ذلك من مسائل السياسة الشرعية ، خاصة وقد رق دين الحكام ، ومست الحاجة إلى رقابة شعبية منظمة تأطرهم على الحق أطراً (التعددية السياسية ، ص ٤٦) .

ب- الأصل في العقود والمعاملات الإباحة .

ج- ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فالشورى من قواعد الشريعة الكلية ، والسبيل الأرشد لتحقيقها هو التعددية السياسية (ص ٤٩) . والرقابة على السلطة حق أصيل للأمم وإقامة الرقابة تقتضي تكاتلات شعبية لأن المعارضة الفردية لاجدوى لها أمام جبروت الطغاة ، وأحاديث الحسبة صيغة الخطاب فيها للمجموع لا للفرد (ص ٥٠) .

د- قاعدة الذرائع والنظر إلى المآلات فالتعددية تشيع الاستقرار ، لأنها أفضل من المعارضة السرية ، والانقلابات العسكرية ، وتمنع الاستبداد والاضطرابات .

هـ- صيانة الحقوق والحريات العامة لأن هذه التكتلات الشعبية تحمي الفرد من عسف السلطة وجور الحكام .

و- إن لم نقبل بالتعددية فالبدليل هو الأنظمة التسلطية والحزب الواحد .  
 ز- وقد سئل ابن تيمية عن جماعة من الناس يسمون حزباً ويتخذون لهم رأساً ويدعون إلى بعض الأشياء فأجاب ( وأما رأس الحزب فإنه رأس الطائفة التي تنحزب أي تصير حزباً ، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله ، من غير زيادة ونقصان فهم مؤمنون ، لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا مثل التعصب لمن دخل في حزبه بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبه ، سواء كان على الحق أو الباطل ، فهذا من التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله ( جامع الرسائل والمسائل ١٥٢١ ) . انظر مركز تطبيق الشريعة ، التعددية السياسية .

### أدب الاختلاف

وعندما نسلم بجواز تعدد الجماعات ، لا بد من التذكير بما يلي : أن لا تقوم الجماعات بتزعات شخصية ورغبات فردية ، كأن تجد جماعتين لهما الأهداف نفسها ، وطريقة العمل ذاتها ، وأحياناً حتى الإسم نفسه ، ومع ذلك تجدهما جماعتين ، فمثل هذا لا يسوغ التعدد ، بل إن مثل هاتين الجماعتين ستعوقان العمل الإسلامي ، فالشباب المسلم لا بد أن يتساءل عن سبب خلافهما ، وسوف يصل إلى معرفة الحقيقة ، وهي أن الخلاف ليس إلا نزعات شخصية ورغبات فردية ، وقد تدعمها الاتجاهات القبائلية أو المحلية أو الإقليمية ، وكل هذه الرغبات والاتجاهات من وسائل الشيطان لإضلال عباد الرحمن ، أما مسوغات التعدد فهي الاختلاف في وسائل العمل ، كما هو الفرق بين جماعة الدعوة والتبليغ وجماعة الإخوان المسلمين مثلاً ، فالجماعة الأولى لا ترى جدوى العمل السياسي ؛ وتكتفي بتعليم الإسلام للناس ، أما الإخوان المسلمون فإنهم يرون العمل السياسي واجباً على المسلم ، لذلك يجد المرء مسوغاً للتعدد ، لتعدد الوسائل المتبعة في كل من الجماعتين .

**عندما يجوز التعدد لا بد من أن تتعامل هذه الجماعات بينها بأدب الاختلاف عند المسلمين ، كما كان عند الصحابة والتابعين ، وهذه أهم معالمه :**

أ- كان رسول الله ﷺ يصوب المختلفين ، كما صوب مافعله المختلفون في صلاة العصر يوم قريظة ، ليعودهم على الشعور بأن ماذهب إليه أخوه يحتل الصواب ، وهذا الشعور كفيلاً بالحفاظ على احترام كل من المختلفين لأخيه ، ( وهناك عدة مواقف مشابهة علم بها رسول الله ﷺ أدب الاختلاف لصحابته رضي الله عنهم ، ومنها أن صحابيين اختلفا في قراءة آية من القرآن الكريم ؛ فاحتكما إلى رسول الله ﷺ فسمع منهما ثم صوب قراءة كل منهما .

ب- لم تكن المسائل الاعتقادية مما يجري فيه الخلاف ، بل كان الخلاف في الفروع .

ج- كانت نظرهم إلى استدراقات بعضهم على بعض ؛ أنها معونة يقدمها المستدرك منهم لأخيه ، وليست عيباً أو نقداً . ( وهذا أبو بكر الصديق ﷺ يقطع أرضاً لأحد الصحابة ، ويكتب له كتاباً ثم يرسله إلى عمر ليشهده على ذلك ، فأخذ عمر ﷺ الكتاب ومزقه ، فعاد الصحابي إلى أبي بكر وقال لا أدري من الخليفة ؟ أنت أم عمر؟ فقال أبو بكر الصديق ﷺ هو لو شاء . وفرح لأن

عمر رده إلى الصواب، وهو أن لا يقطع أحداً من أرض المسلمين . ولم ينظر إليها كما ننظر إلى مثلها في أيامنا هذه .

د- الالتزام بالتقوى وتجنب الهوى، من شأنه أن يجعل الحقيقة وحدها هدف المختلفين، حيث لا يهم أيّاً منهما أن تظهر الحقيقة على لسانه أو على لسان أخيه ( طه جابر العلوني، ٥٠-٧٢ بتصرف ) .

٣- ويرى الباحث أنه من المفيد عرض خلاصة لرأي الداعية الشيخ فتحي يكن حول تعدد الجماعات، وقد نشره في كتابه (احذروا الإيدز الحركي) ويقول ما خلاصته: (من الظواهر المرضية على الساحة الإسلامية ظاهرة التعددية، فالساحة الإسلامية تشهد ولادة حركات وتنظيمات وجمعيات وفرق إسلامية على نطاق واسع، وإن كان البعض يعتبرها ظاهرة صحية فإنني (والكلام للشيخ فتحي) اعتبرها ظاهرة مرضية وخطيرة وتنذر بعواقب وخيمة لا يعلم مداها إلا الله، فلو برئت التعددية من التعصب وسادت روح الأخوة بين الفئات المتعددة، وحلت أجواء التعاون والتفاهم والتنسيق بينهم لكان الخطب، وخف المصاب، ولكن الأمر يجري بخلاف ذلك تماماً، فالتعدديات لم تفرز إلا مزيداً من الصراعات، ولم تتسبب إلا بإشاعة الأحقاد والضغائن بين المسلمين، مما شغلهم بالجدل عن العمل، وبالتنقيب عن السقطات والعيوب بدلاً من التماس العذر والحرص على الستر... ثم يمضي الشيخ فتحي فيعدد أخطار التعددية فيقول:

وباتت التعددية مرتعاً خصباً يدلف منه أعداء الإسلام إلى الساحة الإسلامية، وأصبح المسلمون في حيرة أمام هذا السيل العرم من الحركات والتنظيمات المتزايدة، ورسمت علامات استفهام على الأصيلة والدخيلة، وأصبحت صورة الجميع مهزوزة ومشوهة، والتعددية مناخ مناسب لتوالد التناقضات على الساحة الإسلامية . ثم يصف الشيخ فتحي حال التعددية فيقول:

ثم إن التعددية خرجت عن المألوف، فإذا اختلفت ثلاثة مع جماعة شكلوا جماعة أخرى، وإذا فصل خمسة من تنظيم أنشأوا تنظيماً جديداً، وإن طردت مجموعة من حركة كونت حركة تصحيحية... وعندما يحدث هذا تصبح التعددية جريمة نكراء وظاهرة شنيعة وصفحة سوداء . ثم يحاول الشيخ فتحي يكن أن يتعرف على أخطار مرض التعددية فيجد العصبية الحزبية أهمها، العصبية الحزبية كما يراها الشيخ نقيض الإسلام والإيمان (احذروا الإيدز الحركي، ٢٣). ويرى الباحث أن ماجاء في كلام الشيخ ينطبق على كثير من حالات التعددية التي لا مبرر لها، والتي سببها الهوى والإعجاب بالرأي، وتضخم الذوات الفردية عند المسلمين، وتخلفهم في العمل السياسي، وقلة وعيهم بالسياسة الإسلامية التي يخلطونها بالسياسة الجاهلية، ولا ينطبق على بعض حالات التعدد، التي يكون الخلاف واضحاً في أسلوب العمل أو ترتيب الأولويات، كالاختلاف بين جماعة الدعوة والتبليغ وجماعة الإخوان المسلمين، ففي مثل هاتين الجماعتين يسوغ الخلاف بينهما، بل إنهما تتكاملان لو تعاونتا فيما بينهما .

مشكلة الجماعة الأم

ومن معوقات العمل الإسلامي المعاصر أن كثيراً من الجماعات ترى نفسها جماعة المسلمين، ويذكر الباحث أنه تقابل بدون قصد منه في مسجد أبي بكر الصديق بباريس مع أخوين من الدعوة البارزين في إحدى الحركات الإسلامية العالمية عام (١٩٧٨)، ومن خلال الحوار الودي معهم كان الباحث يكرر لفظ (الجماعات)، ويشير إلى ضرورة تعاون الجماعات المسلمة، فتحدثنا الأخوان بينهما بالأردنية؛ استشف الباحث من ذلك انزعاجهم من هذا المصطلح (الجماعات)، ثم قال أكثرهم تطرفاً (وهو أستاذ جامعي مع الأسف): يا أخي لا توجد جماعات؛ وإنما هي جماعة واحدة فقط (ويقصد جماعته)، وانتهى الحوار.

ومن البدهي أن الجماعة التي تعتقد أنها جماعة المسلمين (الجماعة الأم) فإنها تطلب من الآخرين مبايعتها والانضمام تحت لوائها، ومن الأولى أنها لا تتعاون مع غيرها من الجماعات لأنها لا تعترف بها، وترددت مقولة ملتها الأسماع وهي (الجماعة موجودة، فمن شاء أن يدعو إلى الله فليأت جندياً لا قائداً)، وكأنه يقول القيادة سبق إليها ولم تبق مناصب فمن أراد العمل الإسلامي فليأتنا جندياً يطيعنا وينفذ أوامرنا. وقد تكررت هذه المقولة مئات المرات، في كثير من أقطار العالم الإسلامي.

وهذه نظرة قاصرة، فقد يسوغ للبعض أن يرى جماعته أقرب الجماعات إلى أوصاف جماعة المسلمين (الجماعة الأم<sup>(٦٤)</sup>)، ولذلك انضم إليها ولم ينضم إلى غيرها، لكن لا يسوغ لأحد اليوم أن يرى جماعته جماعة المسلمين، لأن جماعة المسلمين هي التي ستعيد الخلافة وتقيم الدولة المسلمة والأمة المسلمة، وتقيم شرع الله في الأرض، فتكون شهيدة على الناس، وتكون خير أمة كما أرادها ربها، وربما تكون الجماعة التي تصل إلى ذلك هي مجموع الجماعات المعاصرة التي تدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بلا بدع ولا جهل ولا انحراف، وهذه جماعة الإخوان المسلمون، وربما هي أكبر الجماعات الإسلامية المعاصرة تجتهد المرشد الأول والثاني فيها لا يعتبران المسلم الذي لم ينضم إليها خارج عن جماعة المسلمين، وما زال فقهاؤها المعتمدون يعتبرون الإخوان المسلمين جماعة من المسلمين؛ تسعى (مثل غيرها) إلى أن تستوفي مواصفات جماعة المسلمين، أي تقيم المجتمع المسلم والدولة المسلمة والأمة المسلمة. (سعيد حوى، المدخل، ص ٢١). وكذلك وصل الباحث حسين جابر رحمه الله في بحثه القيم (الطريق إلى جماعة المسلمين) وهو رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية، إذ قال: (... والجواب ليس في الأرض جماعة المسلمين، بمفهومها الشرعي، والذي يمكن أن نقول بوجوده بهذا المفهوم، وعلى وجه الحقيقة، والواقع أن (أي جماعة) جماعة من المسلمين مثل جماعة الإخوان المسلمين، وأنصار السنة الحمديّة، وجماعة

---

(٦٤) يرى مركز بحوث تطبيق الشريعة الإسلامية في إسلام آباد أن جماعة المسلمين بمفهومها العام والشامل والتي ورد النص بلزومها، هم أهل الحل والعقد، لأن جماعة المسلمين في الحقيقة هي الإمام ذو الشوكة الذي قدمه أهل الحل والعقد، وعندما لا يوجد مثل هذا الإمام فإن الجماعة تتمثل عندئذ بأهل الحل والعقد. وهم كل متبوع مطاع في واقع العمل الإسلامي المعاصر؛ ممن تحقق لديه الحد الأدنى من الانتساب إلى الجماعة في إطاره العلمي (الكتاب والسنة)، وهم قادة الدعوات ومن كتب الله لهم قبولاً عاماً من العلماء والدعاة، ووجهاء الناس وأولي الخبرة في الأمة. انظر كتاب جماعة المسلمين: مفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر. ص ٣٤.

التبليغ وغيرها، فهذه الجماعات تعتبر بالمفهوم الشرعي؛ جماعات من جماعة المسلمين (حسين جابر، ٣٣).

## وحدة الصف

وثمة مقولة أخرى يطرحها الشباب المسلم، وعامة المسلمين الغيورين على الإسلام والمسلمين، وهي لماذا لا تكون هذه الجماعات جماعة واحدة، ألم يقرأوا قوله عز وجل { إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص } (الصف: ٤)، وترى (وحدة الصف) حلماءً وردياً يداعب الشباب المسلم الذي عرف أن المؤمنين أخوة، وأن الله أمر المسلمين أن يكونوا صفاً واحداً، ونهاهم عن التنازع فقال: { وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين } (الأنفال: ٤٦). وراح كثير من الغيورين على الدعوة الإسلامية يضعون (وحدة الصف) شرطاً لانطلاق العمل الإسلامي.

ووحدة الصف بمفهومهم أن تتحد هذه الجماعات كلها في تنظيم واحد، وقيادة واحدة وأمير واحد، وهذا هدف عظيم جداً؛ لكنه بعيد المنال الآن على الأقل وإذا استطاع المسلمون الوصول إليه فالطريق إليه هو تعاون الجماعات، فالجماعة الواحدة (أو الأم) أو جماعة المسلمين، لن تنزل من السماء كما نزلت المائدة على قوم عيسى عليه السلام، لأن وسائل الوصول إليها موجودة بين أيدينا، وقد نزلت هذه الوسائل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام منذ قرون، لكنها لم تنزل على شكل قالب جاهز للعمل به فوراً، وإنما نزلت أحكاماً متفرقة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، تتطلب البحث عنها وجمعها، وإخلاص النية قبل ذلك لله عز وجل، ثم العمل بها، وعندئذ تكون وحدة الصف وتقوم جماعة المسلمين ودولتهم وأمتهم. وهذا التعاون لا بد له من المرور بالمراحل التالية:

١- اعتراف كل جماعة مسلمة بجواز تعدد الجماعات، ونشر هذا الفكر والدعوة إليه، حتى يسود بين الشباب المسلم، شريطة أن تكون الجماعة المعترف بها تقوم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير بدع ولا جهل ولا تحريف.

٢- تعامل الجماعات بروح الأخوة، لا بالتنافس الحزبي، فكل جماعة تهدف إلى خدمة المسلمين، وتفرح عندما تتحقق هذه الخدمة، على أيديها أم على يد غيرها من الجماعات، وعندما تسود التقوى والورع بين صفوف قادة الجماعات، سيسهل الوصول إلى مثل هذا.

٣- تخطيط لقاءات تبدأ بالزيارات، والمشاركة في الأفراح والحفلات العامة، من أجل التعارف بين الجماعات، وكسر الحواجز التي زرعتها بعض أذعياء العمل الإسلامي؛ الذين منعوا على أتباعهم الاختلاط بغيرهم من الشباب المسلم.

٤- الاشتراك بمشروعات تعود بالنفع على المسلمين، مثل بناء مسجد أو مدرسة أو تنظيم مخيمات للشباب، أو دروس علمية في المساجد... وعندما يجد المسم نفسه بين إخوانه



الآخرين في المسجد أو المخيم تزول تلك الحواجز، ويتم التعارف ثم التعاون فالتكامل في البر والتقوى .

#### ٥- تعاون الجماعات في العمل السياسي:

وإذا أصرت بعض الجماعات على منع شبابها من الاختلاط بغيرهم من شباب الجماعات الأخرى، من أجل تربيتهم حسب مناهجها التي تراها أفضل وأصوب، فلا يوجد مبرر لها في عدم التعاون في العمل السياسي، فعندما تدخل جماعتان الانتخابات الوطنية، فلماذا لا تتحالفان وتدخلان في قائمة واحدة؟ وإذا دعت إحدى الجماعات إلى إضراب سلمي مثلاً ضد قانون سنته الحكومة يظلم المسلمين، فلماذا لا تتفاهم الجماعات الأخرى معها على القيام بهذا الإضراب السلمي؟ ( في حالة موافقتهم على جدواه الشرعية )، لقد نجحت بنازير بوتو في باكستان بسبب تقاعس إحدى الجماعات الإسلامية وعدم تحمسها للانتخاب، ولم تكلف نفسها الإدلاء بأصواتها ( وهي لا تحرم ذلك )، لكنها لم تنشط لمساعدة الجماعات الإسلامية الأخرى التي شاركت في الانتخاب، بل الأدهى والأمر أن إحدى الجماعات الصغيرة انتخبت بنازير بوتو<sup>(٦٥)</sup>، وعندما نجحت الباطنية ( بوتو ) قالت إذاعة لندن ( ..وهي أول امرأة تحكم دولة مسلمة يزيد سكانها على مائة مليون مسلم!! ) . وذهب مركز تطبيق الشريعة في إسلام آباد إلى أن التعددية السياسية الإسلامية في باكستان ترتب عليها فشل الاتجاه الإسلامي في المعركة الانتخابية، وفاز حزب الشعب العلماني بقيادة بنازير بوتو (الباطنية)، ويكاد يكون من المعلوم بالدين بالضرورة قوله ﷺ الذي أخرجه البخاري في الصحيح ( لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة )، وسبب الفشل هو تشرذم التيار الإسلامي وعدم قدرته على التنسيق والتعاون في المواجهة الانتخابية، فقد حصل على الأغلبية الحقيقية، ولكنها وزعت في سلال عديدة (إسلامية) متفرقة، في حين تجمعت أصوات الاتجاه العلماني في سلة حزب الشعب فقط، لذلك يميز المركز التعددية السياسية قبل قيام الدولة المسلمة بشرط التنسيق والتعاون والعمل السياسي المشترك، ولا يميز التعددية الراضية للتعاون، والمنغلقة على نفسها<sup>(٦٦)</sup> .

وقد كان إخفاق الجماعات الإسلامية في التنسيق والتعاون فيما بينها، السبب الأساس في فشلها (المؤقت بإذن الله)، في عدة أقطار إسلامية، آخرها ما لاقته الحركة الإسلامية الجزائرية من محنة في عام (١٩٩٢) لأنها عجزت عن التنسيق السياسي بين فصائلها .

٦- تشكيل لجان مشتركة للعمل المشترك، وتشكيل لجنة دائمة للتنسيق بين الجماعات، كما في الجزائر حيث شكلت رابطة الدعوة الإسلامية، وندعو الله أن تقوم بدورها، وأن تمكن من ذلك .

٧- تقريب المناهج التربوية والفكرية، فنحذف كل ماظن فيه التعارض مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(٦٥) هذه المعلومات عن باكستان ذكرها لي الشيخ محمد المنذوب، وهو متابع لهذه القضية في باكستان وأفغانستان.

(٦٦) مركز تطبيق الشريعة الإسلامية، التعددية السياسية، ص ٨٣ .

٨- إقامة مؤتمرات مشتركة لدراسة القضايا الإسلامية الهامة، وتكون بنفس الوقت وسيلة للتعارف والتعاون والتقارب .

٩- اقتراح مشروع اتحاد بين الجماعات الإسلامية، يحفظ لكل جماعة شخصيتها، وأميرها، وتشكل مؤسسات قيادية لهذا الاتحاد .

والأس الأكبر لهذا كله تقوى الله عزوجل، والخوف من النار والطمع في الجنة، ومراقبة الله تعالى، فالمسلم الذي يطمع في الجنة، سيخرج من قلبه آخر معقل الشيطان في قلب المسلم ألا وهو حب الرئاسة، وعندما يسود هذا بين الدعاة، يمكن الوصول إلى تعدد الجماعات ثم تعاونها حتى نصل إلى جماعة المسلمين بإذن الله تعالى .

ويرى الشيخ فتحي يكن أن أسباب تمزق الصف الإسلامي تعود لما يلي:

١- جماهيرية العمل والاهتمام بالكم، فولجت عناصر شتى إلى الساحة الإسلامية، بل إلى مواقع مهمة وخطيرة فيها، وينسى هؤلاء أن المسلمين انتصروا في بدر وهم قلة؛ وهزموا يوم حنين عندما أعجبتهم كثرتهم .

٢- غلبة الاهتمام العسكري (ويدل ذلك على استعجال مراحل الدعوة الإسلامية)، والقوة العسكرية سلاح ذوحدين إن لم يضبط بالشرع .

٣- انعدام الوعي السياسي فالإيمان يدفع المسلم إلى الأخذ بالأسباب ومنها الوعي السياسي، واستكشاف الآفاق واستشفاف ظواهر الأمور وبواطنها .

٤- اختصار الزمن (التعجل) والتغيير الإسلامي ليس عملية ترقيعية، أو تغييراً شكلياً، وإنما هو تغيير جذري، يغير واقعاً بكامله بواقع إسلامي .

٥- ضعف المستوى التربوي ومنه دلفت كل العلل والمشكلات إلى الحركة الإسلامية. (وإهمال التربية في الحركة الإسلامية أو عدم الاهتمام بها كما تستحق جهل مركب بالإسلام وطبيعته، وبالحركة الإسلامية وخطتها ومراحلها) .

٦- نشوء مراكز القوى وسبب ذلك ضعف القيادة، أو طغيان الجانب السياسي، أو العسكري مثلاً على غيرهما من الجوانب . (أو مراكز قوى إقليمية أو عشائرية... أو غيرها من بقايا الجاهلية عند الدعوة) .

٧- فشل الحركة أمام العدو، وخاصة إذا عزي الفشل إلى القيادة، ولو التزم أدب الإسلام وفقه الاختلاف، والتجئ إلى الله في الحن والبلاء، لتغلب المسلمون على المحنة، وحافظوا على وحدة صفهم (فتحي يكن، ص ٥١ وما بعدها، وما بين القوسين للباحث) .

## الفصل السابع العدالة

تمهيد :

إذا كانت الشورى والبيعة والتعاون والولاء والبراء، من خصائص السياسة الإسلامية التي تحتاجها الصحوة الإسلامية اليوم، في طريقها إلى إقامة المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة، فإن العدالة من خصائص الحكم الإسلامي، حيث يعدل الأمراء المسلمون بين رعيتهم، وإذا كانت الخصائص الأربعة المذكورة ضرورية لإقامة المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة، فإن العدالة ضرورية للمحافظة على المجتمع المسلم والدولة المسلمة، وعندما يقوم الحكم الإسلامي ويطبق العدالة؛ سيدخل الناس في دين الله أفواجاً، ولن يبقى عندها بيت وبر أو مدر إلا يدخله الإسلام، وكما كان الناس يتمللون في الجاهلية وقد هينوا لدين جديد؛ فالناس اليوم ينتظرون حكماً يرفع الظلم والحيف والقهر والاستعباد الذي لحق البشر، تصور حاكماً يعدل بين الناس ولو كانوا أقرباءه، ويستوي عنده شقيقه مع المواطن الذي لم يره في حياته، كم سيهرع إليه الناس ينضون تحت حكمه؛ طمعاً في عدله؟

يقول ابن تيمية رحمه الله ( ... ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة . ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام (الحسبة، ٩١) .

وقال سبحانه وتعالى { إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل.. } ( النساء ٥٨ ) . وقد أجمع المفسرون على أن المراد من الحكم في هذه الآية هو ما كان عن ولاية عامة أو خاصة (محمد سليم العوا، ١١٨) .

ويقول القرطبي رحمه الله هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع، وقال بعض الصحابة المخاطب بها ولاة المسلمين خاصة، والأظهر في الآية أنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاية فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال ورد الظلومات والعدل في الحكومات، وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات، والعبادات أمانة الله تعالى ( تفسير القرطبي ) .

### العدل صفة للفرد المسلم

والعدل كالشورى صفة من صفات الفرد المسلم، فالمسلم يعدل مع نفسه فلا يظلمها، ويعدل مع أسرته فلا يظلم أحداً من أفرادها، ويعدل مع زملائه في العمل، وأبناء حيه، حتى تصبح العدالة صفة ملازمة للمسلم، والعدل نقيض الظلم، وقد نهي الله ورسوله عنه .

قال تعالى { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون } ( النحل: ٩٠ ) ويقول الشيخ سعيدحوى يرحمه الله: إن الله يأمر بالعدل في كل شيء، في أداء الحقوق، والقيام بالواجبات، فيحدد الحقوق، ويحدد الواجبات، في السياسة

والاقتصاد، والاجتماع، فلا عدل إلا ما أمر به، ولا يتحقق العدل في الحياة البشرية إلا بإقامة كتابه وسنة رسوله ﷺ (سعيد حوى، الأساس في التفسير) .

### العدل مع غير المسلمين

وكما فرض الله في القرآن العدل بين المؤمنين، فرضه كذلك بينهم وبين أعدائهم، فقال تعالى { ... ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى } . (المائدة ٨)، وقد يحمل الحب كما يحمل الكره بعض القلوب على الحيف والجور تحقيقاً لما يظنونه مصلحة لمن يحبون، ولذلك يحذر القرآن من مثل هذا الحيف فيخاطب المؤمنين { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين أو الأقربين... } (النساء: ١٣٥). وقد شهد ماعز ؓ على نفسه، وقال الحق عنها ويعلم أن مصيره الرجم، كما شهدت الغامدية رضي الله عنها على نفسها، وألحت بشهادتها وهي تعرف أن الرجم مصيرها، وهكذا تعلموا ﷺ أن يعدلوا وأن يقولوا الحق ولو على أنفسهم .

وهذا الخليفة عمر بن الخطاب يرى قاتل أخيه زيد بن الخطاب، فقال عمر ؓ اغرب عن وجهي والله لا أحبك (والحب خارج عن إرادة الإنسان)، فقال ذلك الرجل وهل تمنعني شيئاً من حقوقي؟ فقال عمر لا، لا أستطيع أن أمنعك شيئاً من حقوقك . فقال الرجل : إنما تبكي على الحب النساء .

وهذا عبد الله بن رواحة الذي وكل بخرص ثمار خيبر (حينما أعطاهها رسول الله ﷺ لفلاحيهها من اليهود على شطر الخارج منها)، فقال له اليهود ما نراك عدلت فيجيب عليهم يا أخوة القردة والخنازير والله ما أحد على ظهر الأرض أبغض إلي منكم، ما يدفعي بغضي لكم أن أنقصكم ثمرة واحدة، ووالله ما أحد على ظهر الأرض أحب إلي من محمد ﷺ، وما يدفعي حيي له أن أزيد ثمرة واحدة، إن شئتم هذه أو شئتم هذه (ويشير ﷺ إلى الحصتين أمامه)، فتقول يهود بهذا قامت السماوات والأرض .

والآيات كثيرة في شأن العدل، تأمر الحاكم والمحكوم بالعدل في أفعالهم وأقوالهم، وتحذر من الظلم وهو نقيض العدل، قال تعالى: { لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم .. } (النساء: ١٤٨) . بل جعل القتال مباحاً في حالة الظلم { أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير } (الحج: ٣٩) ويبيّن القرآن عاقبة الظلم والظالمين { وتلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً } (الكهف: ٥٩) .

ويقول أبو عبد الله الأزرق العدل أساس الملك، ثم ساق الأحاديث الشريفة التي يأمرنا فيها رسول الله ﷺ بالعدل ومنها ما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ [أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلساً، إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه مجلساً إمام جائر] <sup>(٦٧)</sup>، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال [ سبعة يظلمهم الله في

(٦٧) الترمذي (١٣٢٩) في الأحكام، وأحمد (٢٢/٣)، وجامع الأصول (٥٥/٤)، قال الترمذي حديث حسن غريب وحسنه لشاهد عن ابن أبي أوفى .

ظله يوم لا ظل إلا ظله، الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة الله عزوجل... [ (الحديث) (٦٨)، وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بدأ به، لعلو مرتبته، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ ] إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا [ (٦٩) .

والأحاديث كثيرة في هذا الباب، تحت على العدل، وتحذر من الظلم، وينقل أبو عبد الله بن الأزرق عن غيره فيقول بالعدل يدوم الملك، ومن أمثالهم من جعل العدل عدة طالت به المدة، وعن أفلاطون من قام من الملوك بالعدل والحق، ملك سرائر رعاياه، ومن قام فيهم بالجور والقهر لم يملك إلا الأجساد (ابن الأزرق، ٢٣١) .

وعن أزدشير إذا رغب الملوك عن العدل، رغبت الرعية عن الطاعة .

### تكافؤ الفرص

وتقام العدالة في عصرنا الحاضر بما نسميه اليوم تحقيق تكافؤ الفرص وتشمل مايلي:

#### ١ - حق الحياة لكل مواطن في الدولة المسلمة :

وتأمين الحد الأدنى من ضرورات العيش، من غذاء ودواء وسكن لكل مواطن، وفي الدولة المسلمة عندما تطبق الزكاة على أصولها الشرعية يتحقق ذلك، وإن نقص فعلى الدولة المسلمة توفيره من بيت مال المسلمين، فإن لم يكن به مال، فمن أموال الأغنياء، يأخذ منهم الأمير مايسد به رمق الفقراء، واتضح هذا من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام الرمادة، كيف كان يرى أن الدولة مكلفة بتأمين ضرورات العيش لجميع المواطنين فيها، مسلمين وغير مسلمين .

#### ٢ - حق التعليم :

على الدولة المسلمة توفير التعليم المناسب لكل مواطن فيها، وذلك بنشر المدارس والجامعات في جميع البلدان والأمصار، ومساعدة المواطنين في الأرياف البعيدة عن المدارس والجامعات، في تأمين المواصلات والمساكن والعمل الذي يحقق لهم المساواة مع أبناء المدن، وكذلك أبناء البدو، ويجب على الدولة المسلمة توفير التعليم لهم، لأن التعليم لا يقل أهمية عن الخبز والماء .

#### ٣ - حق العمل :

وتوفر الدولة المسلمة العمل لجميع المواطنين، وذلك بالإكثار من المشاريع الزراعية، والمعامل والصناعات والمناجم وغير ذلك، مما يفتح المجال للمواطنين في العمل الذي يتناسب مع مؤهلاتهم وقدراتهم، ومما تعاني منه أقطار المسلمين اليوم هروب الأدمغة منها إلى بلاد الغرب، لأن هذه الأقطار المسلمة لا توفر لهم فرص العمل اللائقة بهم ومؤهلاتهم، مع قدرتها على ذلك .

#### ٤ - حق الحرية :

(٦٨) البخاري (١١٩/٢) في الجماعة، ومسلم (١٠٣١) في الزكاة، والترمذي (٢٣٩٢) في الزهد، والنسائي (٢٢٢/٨) في القضاة، وجامع الأصول (٥٦٤/٩) .

(٦٩) مسلم بشرح النووي (٢١١/١٢) باب فضيلة الأمير العادل .

الحرية المقيدة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن هذه الحرية حرية العقيدة، وحرية الإقامة، وحرية الرأي والكلام، وحرية الملكية، والحرية الشخصية، وبرأي الباحث لا حرية إلا في الإسلام، لأن المسلم يتحرر من شهواته وهواه، ومن الطواغيت، والحرية هي الخضوع لله وحده، وغير المسلم تتجاذبه آلهة كثيرة فتراه أسيراً لها، وقد شاء الله عزوجل أن يجعل الإنسان حراً في اختياره، ورتب على ذلك مسؤولية الإنسان عن أفعاله، أما غير الإنسان فمقيد تماماً، قال تعالى { ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب } (الحج: ٨١)، فمخلوقات الله جميعاً تسجد له إلا بنو الإنسان فإن منهم الساجدين ومنهم الكافرين، وهذا اختيارهم الذي فطرهم الله عليه .

وعندما يضمن الإسلام للإنسان حرية العقيدة ( لا إكراه في الدين ) فقد ضمن له سائر الحريات الأخرى، لأن العقيدة أهمها . ويؤكد ذلك أن غير المسلمين كاليهود مثلاً عاشوا عصرهم الذهبي تحت ظل الدولة المسلمة . وقد يتوهم اليوم أن المجتمعات الغربية توفر الحرية لمواطنيها ؛ لأنها دول ديمقراطية، ولكن الواقع أن هذه الحرية يملكها الأغنياء، أما الفقراء فلا يقدر على ممارستها، لأن ممارسة الحرية عندهم تتطلب أموالاً كثيرة، حتى أثناء الانتخابات يستطيع الأغنياء أن يسلبوا حرية الفقراء ؛ عندما يشترون أصواتهم بشكل ما .

#### ٥- المساواة بين المواطنين:

يتساوى المواطنون في حقوقهم وواجباتهم، ولا يميز بينهم بسبب الجنس أو النسب أو اللغة أو العقيدة<sup>(٧٠)</sup> وفي ذلك يقول الله عزوجل { يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير } (الحجرات: ١٣) .

وروى الإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع [ يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ألا لا فضل لأحمر على أسود إلا بالتقوى . ألا هل بلغت؟ قالوا نعم . قال ليلغ الشاهد منكم الغائب ]، ويقول سيد قطب رحمه الله ( فأما الحكم بالعدل بين الناس فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً بين الناس جميعاً، لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه (إنسان)، فهذه الصفة صفة الناس هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني . وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً مؤمنون وكفار، أصدقاء وأعداء، سود وبيض، عرب وعجم، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل متى حكمت في أمرهم هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط، في هذه الصورة إلا على يد الإسلام وإلا في حكم المسلمين.. وذلك هو أساس الحكم في الاسلام ) (الظلال، ٢/٩٨٦) . بل لقد كفلت الدولة المسلمة في أيام عزها وثراتها الحيوانات الضالة

(٧٠) لا يفهم من ذلك المساواة الكمية الآلية، فالمرأة مثلاً لا تتساوى مع الرجل في إسناد القضاء إليها ( ماعدا الحنفية قالوا بجواز ذلك ) وفي الولايات العامة (كأمير بلد)، ولا يسند لها القتال في الجيش، ولا العمل في القوات المسلحة، وكذلك غير المسلم لا يسند له القضاء، ولا الولاية العامة، ولا القتال في الجيش لأنه جهاد يجب على المسلم فقط، وتؤخذ منه الجزية، ولا تؤخذ من المسلم، والمقصود الحقيقي من المساواة في المجتمع المسلم : إعطاء كل ذي حق حقه، وتأمين حق الحياة الحرة الكريمة للجميع وعدم اضطهاد أحد بسبب دينه أو جنسه أو حسبه . وعدم تفضيل أحد ومحاباته بسبب دينه أو جنسه أو حسبه . بل جميع المواطنين سواء في حق الحياة وأساسياتها . والله أعلم .

، فأعدت مرجاً (بستاناً) خاصاً ترعى فيه هذه الحيوانات الضالة ، أو التي تخلى عنها أصحابها لأنها لم تعد قادرة على الخدمة. ومن باب أولى أن تهتم الدولة المسلمة بتأمين حق الحياة الكريمة لكل إنسان يعيش على أرضها ، وهذا هو حق الإنسانية الصحيح وليس ما تدعيه الحكومات الغربية المعاصرة ، التي تقصر وصف الإنسانية (من الناحية العملية) على الغربي فقط فتهتم لمواطن أوربي واحد، ويتدخل رؤساء الدول من أجله ، بينما يشرذم ويذبح آلاف المسلمين يومياً في جميع أرجاء العالم دون أن تشير وسائل إعلامهم إلى ذلك . والأمثلة (على العدالة) من التاريخ الإسلامي كثيرة جداً وهذه بعضها:

١- كان رسول الله ﷺ يعدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده سهم يعدل به القوم ، فمر بسواد بن غزبة وكان خارج الصف ، فطعن في بطنه بالقدح (السهم) ، وقال استو ياسواد ، فقال يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل قال: فأقديني (أي مكني منك لأخذ حقي) ، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه ، وقال استقد فاعتقه فقبل بطنه ، وقال سواد أردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله بخير . (سيرة ابن هشام ، ١/٦٢٦) .

٢- سرقت المرأة المخزومية ، وشق على قريش أن تقطع يدها ، فقالوا لأسامة بن زيد رضي الله عنهما أن يشفع فيها عند رسول الله ﷺ ، فلما فعل تغير وجه رسول الله ﷺ وقال: [ أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم خطب الناس فقال إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، ثم أمر بتلك المرأة المخزومية فقطعت يدها ] (٧١) .

٣- قال العتيبي بعث إلى عمر بجلل فقسما فأصاب كل رجل ثوباً ، فصعد عمر المنبر وعليه حلة (والحلة ثوبان) ، فقال أيها الناس ألا تسمعون . فقال سلمان ﷺ لانسمع . قال: ولم يا أبا عبد الله؟ قال لأنك قسمت علينا ثوباً ثوباً ، وعليك حلة ، قال: لا تعجل يا أبا عبد الله . ثم نادى يا عبد الله بن عمر . قال لبيك يا أمير المؤمنين . نشدتك بالله ؛ الثوب الذي اتزرت به ثوبك ؟ قال اللهم نعم . فقال سلمان: أما الآن فقل نسمع (ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ١/٥٥) .

٤- ذكر ابن الجوزي (مناقب عمر ٩٦) أن عمرو بن العاص والي مصر قال لرجل من المسلمين يا منافق ، فشكاه إلى عمر بن الخطاب ، فكتب عمر إلى عمرو أن يضربه الرجل أربعين سوطاً إن أقام عليه شاهدين . فأعطى عمرو السوط للرجل وجلس بين يديه ، فقال الرجل أتقدر أن تمنع مني لسلطانك؟ قال: لا ، فقال فامض فيني أدعك لله .

٥- وروى البيهقي أن عمر اختلف مع أبي بن كعب رضي الله عنهما في حائط ، فقال عمر بيني وبينك زيد بن ثابت ، فأتياه فحك بينهما (سنن البيهقي ، ١٠/١٤٤) .

٦- واستأذن عبدالرحمن بن عمر بن الخطاب وأبو سروعة عقبة بن الحارث (وهو بدري) على عمرو بن العاص (والي مصر) وقالوا: أقم علينا الله ، فقد أصبنا شراباً فسكرنا (يقول ابن الجوزي شربا النبيذ ظناً منهما أنه لا يسكر) ، فنهروهما عمرو ، فقال عبد الرحمن إن لم تفعل

(٧١) البخاري (٧٦/١٢) في الحدود ، ومسلم (١٦٨٨) في الحدود ، والترمذي (١٤٣٠) في الحدود ، وأبو داود (٤٣٧٣) في الحدود ، والنسائي (٧٤٨) في السارق ، وجامع الأصول (٣/٥٦١) .

أخبرت أبي ، يقول عمرو فعلمت أي إن لم أقم عليهما الحد غضب علي وعزلي ... فأخرجهما إلى صحن الدار فضرهما الحد ، ودخل عبد الله بن عمر بن الخطاب بأخيه عبد الرحمن إلى بيت من الدار فحلق له رأسه ورأس أبي سرورة ، ( وكانوا يخلقون لمن يقام عليه الحد ) . ولما علم عمر بن الخطاب غضب لأن عمرو لم يضرب عبد الرحمن أمام الناس ، ويقول له إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ماتصنع بغيره من المسلمين ، فإذا جاءك كتابي فابعث به في عباءة علي قتب ، فلما قدم عبد الرحمن على أبيه لا يستطيع المشي من مركبه ، ويصيح أنا مريض وأنت قاتلي ، فضره عمر وحبسه حتى مرض فمات رحمه الله ( ابن الجوزي ، ٢٤١ ) .

٧- كان لعثمان رضي الله عنه خادم ( رقيق ) ، فقال له إني كنت عركت أذنك فاقتصم مني ، فأخذ الخادم بأذن عثمان ، ثم قال عثمان رضي الله عنه اشدد يا حبذا قصاص في الدنيا ، لا قصاص في الآخرة ( الحب الطبري ، الرياض النضرة ، ١١١/٢ ) .

٨- ولما ضرب محمد بن عمرو بن العاص قبلياً من مصر بالسوط وهو يقول : خذها وأنا ابن الأكرمين ، ولما علم عمر بن الخطاب بذلك أحضرهم إليه ثم قال عمر : أين المصري ؟ دونك الدرّة (العصا) فاضرب ابن الأكرمين ، فاضرب المصري محمد بن عمرو بن العاص (والي مصر يومئذ) ، ضربه أمام والده عمرو حتى أتخنه وعمر يقول اضرب ابن الأكرمين ، فلما فرغ المصري قال له عمر : (اجلها على صلعة عمرو) أي اضرب عمرًا ، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه ، فقال المصري قد ضربت من ضربني ، فالتفت عمر وقال : يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتم أمهاتهم أحراراً ( محمد عارف ، ص ١٦٧ ، ونقله عن ابن الجوزي ) .

٩- وفي أيام الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رأى درعاً له عند يهودي ، لكن اليهودي ادعى أنها له ، فتحاكما إلى القاضي شريح ، الذي أجلس علياً بجانب خصمه (اليهودي) ؛ دون تمييز بينهما في مجلس المحكمة ، ثم طلب من علي أن يقدم البينة (لأن البينة على المدعي ) ، فقال علي : لا يعرفها أحد سوى ولدي الحسن والحسين (سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ولكن القاضي المسلم لا يقبل شهادة الولد لأبيه ، فقال وهل عندك غيرهما؟ قال علي : لا ، قال القاضي : إذن لا توجد لديك بينة ، والدرع لليهودي ، فسكت أمير المؤمنين ، وهو متيقن أنها درعه ، لكن الشرع فوقه ، والبينة تطلب حتى من الخليفة ، وخرجوا من عند القاضي ، بعد أن ربح اليهودي القضية ، وتحركت بقايا خير فطري عند اليهودي فقال : والله هذه أخلاق أنبياء ، وليست أخلاق بشر ، إنما درعك يا أمير المؤمنين ، سقطت عن جملك الأورق يوم صفين ، ثم قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فقال علي أما وقد أسلمت فهي لك .

١٠- وأخرج الطبراني وأبو يعلى عن أبي قبيل أن معاوية رضي الله عنه ، قال على المنبر إنما المال مالنا ، والفيء فيؤنا ، فلما كرر ذلك قام إليه رجل فقال : كلا إنما المال مالنا والفيء فيؤنا ، فمن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيفنا ، فتزل معاوية فأدخل الرجل إليه وأجلسه معه على السرير ، ثم قال للناس : إن هذا أحيائي أحياء الله ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [ سيكون بعدي أمراء يقولون ولا يرد عليهم ، يتقاحمون في النار ؛ كما تتقاحم القردة ، وقد تكلمت مرتين حتى قام هذا الرجل فرد علي ؛ فأحيائي أحياء الله ] (الهيثمي ، ٢٣٦/٥) .



هذه بعض أمثلة للعدالة في السياسة الإسلامية، وبهذا العدل حكم المسلمون معظم الأرض المعمورة يومئذ، فكان هارون الرشيد يقول مخاطباً السحابة : شرقي أو غربي وأمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك . ويرسل له ملك فرنسا خطاباً يقول في آخره (خادمكم المطيع شارلمان)، فلما زال العدل زالوا .

---

## الفصل الثامن الاهتمام بالمسلمين

سبقت الإشارة إلى أن من أخطر أمراض المسلمين المعاصرين، انفراط عقدهم وتشرذم أمتهم، فصاروا تجمعات صغيرة مبعثرة، واستبدلوا رابطة العقيدة بروابط أخرى منها القبلية، والمصلحة الدنيوية المتقلبة، وضعفت رابطة العقيدة حتى أن بعض الحكومات التي تحكم المسلمين اعترفت بدولة إسرائيل منذ قيامها، وبعضها ربط ولاءه بالاتحاد السوفياتي الذي ذبح عشرات الملايين من المسلمين، في الوقت الذي كان هذا الاتحاد السوفياتي أول أعداء المسلمين، وأقامت كثير من هذه الحكومات علاقات ودية مع الهند التي يذبح فيها المسلمون يومياً بمباركة الحكومة، كما أن الهند العدو الأول للشعب المسلم الباكستاني، حتى وصل الأمر إلى تبدل الحس الإسلامي نحو رابطة الأخوة الإسلامية، فلو سربت وسائل الإعلام العالمية أحياناً بعض الأخبار عن عملية الذبح المستمرة للمسلمين، يسمعها المسلمون فيحوقلون ويسترجعون، وياليت كلهم يفعل ذلك، وبعد أيام يرون العدو الذي ذبح إخوانهم المسلمين ضيفاً معزراً يحتفل به في بلدهم؛ وتقدم له الموائد والحفلات من دمائهم... ولا يتحرك فيهم متحرك، فأين هذا من المسلمين الذين قال عنهم رسول الله ﷺ [ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ] (٧٢). والمعروف في الطب أن ارتفاع الحرارة في الجسم تساعده على مقاومة الجراثيم والبطش بها، وإذا وخزت شوكة إصبع القدم، ثم مرضت هذه الإصبع تعم الحمى الجسد كله، فيستجيب لهذه الإصبع ويحشد الجسد قدراته لرد الجراثيم عنها. هكذا أراد رسول الله ﷺ من المسلمين؛ أراد أن يكونوا كالجسد الواحد.

وقال الإمام النووي رحمه الله هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاقد في غير إثم ولا مكروه (شرح النووي ١٦/١٣٩). ويقول ابن حجر رحمه الله (فتشيبه المؤمنين بالجسد الواحد تمثيل صحيح وفيه تقريب الفهم، وفيه تعظيم حقوق المسلمين على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً (فتح الباري، ١٠/٤٣٩). وقد عنون الإمام أحمد رحمه الله هذا الباب بقوله (باب الترغيب في شد أزر المؤمن ووده والعطف عليه والتألم لألمه). (انظر شرحه عند محمود طباطبا، مجتمعات الإيمان)، وروي عنه ﷺ أنه قال [ من أصبح وهمه الدنيا فليس من الله في شيء، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ]، وفي رواية الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه [ من أصبح وهمه غير الله فليس من الله، ومن أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم ] (٧٣).

فكيف نهتم بأمر المسلمين؟ هل نسمع أخبارهم؟ وندعو الله لهم؟ وهذا أضعف الاهتمام، أم نفعل غير ذلك؟ يقول محمد الغزالي ( والتألم الحق هو الذي يدفعك دفعا إلى كشف ضوائق إخوانك فلا

(٧٢) جامع الأصول (٦/٥٤٧) وفي البخاري (١/٢٧) في الأدب، وفي مسلم (٢٥٨٦).

(٧٣) جامع الأحاديث (٦/١٠٢)، والرواية الأولى عند الطبراني في مجمع الزوائد (١٠/٢٥١).

تهدأ حتى تزول غمتهما ،وتدبر ظلمتها ،فإذا نجحت في ذلك استنار وجهك واستراح ضميرك ) (خلق المسلم ،٢٨٦) . وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ( لو أن شاة عثرت على شاطئ الفرات لخشيت أن يعذبني الله ، لم لم أمهد لها الطريق ،فهذا عمر ،المسلم المثالي رضي الله عنه يعلمنا بمدى اهتمامه بالمسلمين في كل مكان .

### الفرد المسلم والمجتمع المسلم

الفردية والجماعية خطان فطريان في كيان الإنسان ،متناقضان ظاهراً ومتعاونان حقيقة ،( ويحدث الاضطراب حين تزيد النسبة المقررة لكل منهما فينحرف عن مساره ويعتدي على مسار الآخر،ويشده إليه،أما حين يأخذ كل منهما مداره الصحيح ،فلن يحدث التنافر بين الفرد والجماعة ،أو يحدث الشقاق (محمد قطب ،منهج التربية ،١/١٦٣) .

وقد أدى اضطهاد المسلمين وابتعادهم عن العمل السياسي،إلى انعزالية الفرد المسلم،مما غلب فيه جانب الفردية على الجماعية ،وضمرت التزعة الجماعية لدى المسلمين المعاصرين ،في حين تضخمت ذواتهم الفردية كثيراً ،وصار النموذج المثالي للمسلم هو الذي يخرج من بيته الى عمله ،ويعود من عمله إلى بيته ،وفي بعض الأقطار يصلي في بيته بدلاً من المسجد ؛ خوفاً من الناس ،وقيل وقال... في مثل هذه الحالات تضر التزعة الجماعية لدى الفرد المسلم وتتضخم التزعة الفردية عنده ،كما هي حال المسلمين اليوم . فيتضاعف اهتمامه بمصالحه الشخصية الدنيوية ،حتى يتمركز حول جمع المال ومتاع الدنيا الفانية .

وقد تفككت الروابط الأسرية في العقود الثلاثة الأخيرة بشكل مذهل ،إذ كانت القرية قبل ثلاثين سنة في بلاد الشام أسرة واحدة ،يطعم الجار جاره يومياً ،ويسهرون معاً كل يوم ،وإذا تغيب أحدهم عن المضافة يوماً أو بعض يوم بحثوا عنه وتفقدوه ،ويتعاون أبناء القرية يومياً في أعمالهم الزراعية ،ولم يبق شيء من ذلك كله اليوم ،بل نafs ابن القرية ابن المدينة اليوم في العزلة وتضخم الذوات الفردية ،وافتقد الجار جاره ،واشتاق الأب لرؤية ابنه ،وهما في قرية واحدة ،فالأب مشغول بدنياه ؛ وابنه أكثر انشغالاً منه بهذه الدنيا ،الكل يجري وراء المال ،ليشبع رغباته الفردية ويسبق أقرانه في متاع الدنيا .

### الحاجات الاجتماعية :

يقول علماء النفس للإنسان حاجات جسدية (كالطعام والنوم...) ونفسية (كتوكيد الذات والشعور بالأمن...) واجتماعية (كالانتماء ،والاتباع ،والشعور بالآخرين... ) ،والشخصية السوية هي التي تشبع فيها جميع هذه الحاجات ،دون إفراط ولا تفريط ،أما إذا أشبعت بعضها دون الآخر فيحصل الاضطراب والانحراف ؛ كما هي حال معظم المسلمين اليوم . وهذه بعض الحاجات الاجتماعية التي فرط بها المسلمون اليوم :

### ١- الحاجة إلى الاتباع :

فكل إنسان سوي يشعر برغبة إلى أن يتبع شخصاً ما أو هيئة ما يراها أقوى منه، فيركن إليها ويشعر بالأمن والاستقرار النفسي في ظلها، وعند المسلم السوي تجده يتبع (أولي الأمر) الذين أمره الله بطاعتهم، وعندئذ يشعر براحة وطمأنينة، لأنه أشبع هذه الحاجة .

## ٢- الحاجة إلى الانتماء :

وهي الرغبة في التعاون مع الآخرين والعمل على إسعادهم، والحاجة إلى تلقي المساعدة من الآخرين وتقديمها لهم (عبد الرحمن العيسوي، ٢٣٦). ويشبع المسلم دافع الانتماء عندما يكون طفلاً بالانتماء إلى الأسرة، ثم إلى المسجد والمدرسة، ثم إلى مجموعة الأصدقاء، وعندما يصبح راشداً ينتمي إلى جماعة مسلمة أو نقابة العمل أو الحي أو المسجد... الخ، ولا يكون الفرد سويًا بدون انتماء .

ويرى سيد عثمان أن الاهتمام يشكل العنصر الأول من المسؤولية الاجتماعية، ويقول الاهتمام هو الرابطة العاطفية بين الفرد وجماعته، يحول الجماعية من وجود خارجي إلى وجود داخلي في الفرد، وذلك بالتوحد بين الفرد والجماعة . ويمكن أن نميز أربعة مستويات من الاهتمام :

١- الانفعال مع الجماعة : وهو أبسط صور الاهتمام، حيث يتأثر الفرد بما يجري للجماعة من أحداث لأنه عضو فيها .

٢- الانفعال بالجماعة : أي التعاطف معها، ويدرك الفرد ذاته أثناء انفعاله بالجماعة .

٣- التوحد مع الجماعة : عندما يحس الفرد أنه والجماعة شيء واحد، وأن خيرها خيره، وما يقع عليها من ضرر واقع عليه، أي يحس بوحدة مصيره مع الجماعة .

٤- تعقل الجماعة : أي تنطبع الجماعة في فكر الفرد وتصوره العقلي، فيهتم بمشكلات الجماعة ومصيرها وأهدافها وسير مؤسساتها، ويقوم هذا الاهتمام على منهج موضوعي مخطط من التفكي، وهو أعلى مستويات الاهتمام (سيد عثمان، ٤٣) .

ويمتاز الإسلام بإشباع الحاجات الإنسانية باعتدال بلا إفراط ولا تفريط، كما يوجه الاهتمام الأكبر للحاجات الروحية أولاً، ثم الاجتماعية فالعقلية والنفسية وأخيراً الحاجات الجسدية . أما ما هو متعارف عليه اليوم عند المسلمين وغيرهم من الناس فهو إشباع الحاجات الجسدية أولاً، ثم النفسية وأهملت سائر الحاجات الأخرى، حتى الحاجات العقلية لا تلقى عناية من الناس في هذا العصر .

## المجتمع سابق على الفرد :

يقول علماء الاجتماع المجتمع سابق على الفرد، أي أن الفرد يوجد ضمن المجتمع، ولا يوجد بدونه، وعندما يتفاعل الفرد مع مجتمعه فهذا هو الوضع السليم، أما إذا انعزل الفرد عن المجتمع فهذه حالة شاذة غير سليمة . وعندما نسقط ذلك على المجتمع المسلم؛ نفهم منه أن الفرد المسلم لا يستطيع أن يحقق وجوده الإسلامي كاملاً إلا في المجتمع المسلم، وهذا من البدهيات .

ويذهب (زايتلن) إلى إن الفرد لا يوجد خارج الجماعة، لأنه يكتسب صفاته الإنسانية من خلال مشاركته في المجتمع، والفرد (تجريد ذهني) لا يوجد حقيقة، والموجود فعلاً هو عضو في مجتمع، والمجتمع ليس أفراد وإنما علاقات ونظم، ووجود الجماعات الصغيرة ضروري للمجتمع، فهو بمثابة الوحدات

الأساسية التي يتكون منها المجتمع، (كالأسر مثلاً)، وداخل هذه الجماعات يعيش الفرد (عبد الباسط حسن ١٦٦، ١)، ونكرر جملة (ويكتسب الفرد صفاته الإنسانية من خلال مشاركته في المجتمع) فنقول ويكتسب الفرد المسلم صفاته الإسلامية من خلال مشاركته في المجتمع المسلم . ومما سبق نفهم أن الفرد المنعزل عن المجتمع يهدر كرامته وإنسانيته، فيعيش على مستوى الحياة البيولوجية فقط، ويموت نفسياً واجتماعياً وروحياً . وعندما يكثر هؤلاء الأفراد في المجتمع، يموت المجتمع ويصبح قطعاً من الأموات .

ومن الحق أن نقول أن التزعة الجماعية لدى الشيعة اليوم أقوى منها عند السنة، واستطاعت الثورة الإيرانية القضاء على ديكتاتورية الشاه وهو من أكبر طغاة العالم، بعد أن قدم الشيعة تضحيات كثيرة جداً، جاءت من قبل تنظيم سياسي قوي، قام على التزعة الجماعية القوية عند الفرد الشيعي . وسر ذلك أن الشيعة يرون الإمامة (العمل السياسي) فرضاً من فروض الدين الواجبة بالنص<sup>(٧٤)</sup> . بينما يرى عامة أهل السنة أن الإمامة (العمل السياسي) من الفروع وليست من الفروض، لكنها من الفروع التي لا يقوم الدين إلا بها، ووجودها بالإجماع المبني على العقل؛ لا على النص .

وقد تصدى ابن تيمية رحمه الله لهذا الفهم الخاطئ، ونقض رأي الشيعة في كتابه منهج السنة، ووضح قول السنة فقال (إن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها) ، كما أن الإمام النووي رحمه الله يرى أنها واجبة بالشرع لا بالعقل فقط، (شرح مسلم، الإمامة) . والدين لا يقوم بلا الإمامة كما يقول ابن تيمية والإمامة لا تقوم بلا مجتمع مسلم، ولا يقوم المجتمع المسلم إذا طغت نزعة الانعزالية بين المسلمين، وهكذا فالاهتمام بأمر المسلمين عبادة تتعلق بقيام هذا الدين .

والإسلام دين جماعي، والاهتمام بالآخرين شرط أساسي للحياة السليمة، وشرط للمجتمع المسلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد الأدلة الكثيرة على اهتمام الإسلام بالمجتمع، وقد توهم (الانعزاليون) أن اختيار أضعف الإيمان (وهو إنكار المنكر بالقلب) يكفيهم، ويوفر عليهم مشقة الجهاد في سبيل الله، ويتوهم هؤلاء أن الفرد إذا أصلح نفسه لا يهمله فساد غيره، لكن الله عز وجل قال : { واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة.. } (الأنفال: ٥٢)، وروى أبو داود عن ابن عمر عن رسول الله أنه قال [ إذا تبايعتم بالعينة، وتبعتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا يترعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم ] (جامع الأصول، ١١/٥٦٧)، وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: [ لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو لیسلمن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم ]<sup>(٧٥)</sup> .

### وهم ساذج

يعتقد بعض المسلمين أن الابتعاد عن الناس عبادة، ويفسح المجال لمزيد من الصلاة النافلة والأذكار والاعتكاف؛ مما يضاعف حسناتهم، فيجعلهم يستفيدون من أوقاتهم ولا تضعف في مخالطة الناس

(٧٤) يقول محمد عمارة نقلاً عن العالم الشيعي الكليني في كتابه (الكافي من أصول الدين) : أركان الإسلام عند الشيعة هي :

الإمامة، الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج . انظر محمد عمارة : الإسلام والسلطة الدينية (٢٦) .

(٧٥) الطبراني في الأوسط وحسنه، وحسنه كذلك السيوطي في الجامع الصغير .

وإضاعة الوقت معهم، وهذه الرهينة غريبة عن مفهوم الإسلام، بل إن المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي يعتزلهم، أما المسلم الذي يهتم بأمر المسلمين وقضاء حاجاتهم، فهذا أفضل من المتبتل المعتكف، الذي يعتزل الناس ويتعد عن همومهم ومشاكلهم، فقد أخرج الطبراني في المعجم الكبير (٣/ ٩٠٢) عن ابن عمر قوله ﷺ [ أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عزوجل سرور يدخله على قلب مسلم، أو يكشف عنه كربة أو يقضي عنه دين، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخ في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد (يعني مسجد المدينة) شهراً ... ]، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تنهياً له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ] سبق تخريجه في الفصل الأول .

### كيف فهمت بالمسلمين ؟

من بدهيات الاهتمام بالمسلمين موالاة أعدائهم، وعدم موالاة أعدائهم، وهذا أمر من الله سبحانه وتعالى، قال عزوجل { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير } (آل عمران: ٨٢)، وقال تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً } (النساء: ١٤٤) . وقال سبحانه وتعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين } (المائدة: ٥١)، وقال عزوجل { إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون } (المائدة: ٥٥) . وقال سبحانه وتعالى { والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم } (التوبة: ٧١) .

### مابغى الولاء للمسلمين ؟

يطلق الولي في اللغة على الحب والصديق والنصير والخليف والتابع، ومن القرآن الكريم يتضح لنا الولاء بأنه النصرة وعدم طاعة الله في الكافرين وربط المصير بالمصير، قال تعالى { ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولانطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم } (الحشر: ١١) . ومن مظاهر الولاء إعطاء الكافرين أسرار المؤمنين، فقد قال تعالى { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة } (المتحنة: ١) . ومن مظاهر الولاء المحبة والمودة فقد قال تعالى { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله } (المجادلة: ٢٢) . ومن مظاهر الولاء المجالسة للكافرين والمنافقين اختياراً، واستماع كلامهم القبيح دون الرد أو الغضب منه، ومن مظاهر الولاء الطاعة، فمن أطعته فقد توليته، قال تعالى { ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم } (الأحزاب: ٤٨) وقال أيضاً { يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين } (آل عمران: ١٠٠) . وقال أيضاً { يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين } (آل عمران: ١٤٩-١٥٠) . ومن

مظاهر الولاء التشبه بالقوم، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال [ من تشبه بقوم فهو منهم ]<sup>(٧٦)</sup>

وما سبق نفى ولاء المسلم للكافرين والمنافقين، لأن ولاءه لله ورسوله وللمؤمنين، فكيف نوالي المؤمنين؟

- ١- ننصر المؤمنين ولا نخذلهم .
  - ٢- نربط مصيرنا بمصيرهم.
  - ٣- ولا نطيع الكافرين فيهم .
  - ٤- ولا نتورع عن إعطاء أسرار الكافرين والمنافقين ومخبطاتهم إلى المؤمنين .
  - ٥- ونحبهم ونودهم أينما كانوا .
  - ٦- ونجالسهم ونجعلهم خاصتنا ونكثر سوادهم إلا للضرورة وحكمة .
  - ٧- ونطيع قيادتهم السياسية والعلمية، ونتشبه بهم لأن التشبه بهم اقتداء برسول الله ﷺ، هذه هي الصفة الأساسية للمسلم التي بدونها لا يكون مسلم .
- ويقول محمد سعيد القحطاني (من مقتضيات الولاء والبراء حق المسلم على المسلم، فما هو ذلك الحق؟):
- ١- المودة : وهذه للمؤمنين من بعضهم لبعض، فليس للكافر ولا للفاسق ولا للمبتدع فيها نصيب، ومن هذه المودة حب المسلم لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه كما قال ﷺ [ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ] (متفق عليه، وهو في كتاب الإيمان عندهما).
  - ٢- النصرة : وهذه واجب أخوي إيماني على كل مسلم لأخيه المسلم من أي جنس كان، وفي أي أرض حل، وبأي لون كان، ينصره بنفسه وبماله وبالذبح عن عرضه، ولذلك ورد التهديد لمن يترك ذلك وهو قادر عليه . قال ﷺ [ مامن امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته . وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب نصرته ]<sup>(٧٧)</sup>.

ولو أردنا تتبع النصوص في هذا الشأن لطال الحديث، ولقد كان التحام المسلمين ونصرة كل منهم لأخيه مثلاً فريداً في تاريخ التلاحم والتناصر . ولن ينتصر المسلمون إلا إذا تحقق فيهم بعد صفاء العقيدة ووضوحها حب المسلم لأخيه كحبه لنفسه، وشعوره بالآلام أخيه كشعوره بما يصيبه هو، وحب نصرته كما يجب أن ينصره هو، والله ينصر من ينصره إن الله لقوي عزيز .

وتتحقق النصرة بعدة أمور منها الدفاع بالنفس عن الأخ المسلم وكسر شوكة الظالمين، وبذل المال له لإعرازه وتقوية جانبه، والذبح عن عرضه وسمعته، والرد على أهل الباطل الذين يريدون خدش كرامة المسلمين، والدعاء للمسلم بظهر الغيب بالنصر والتوفيق وتسديد الخطى، وتتبع أخبار المسلمين في أنحاء المعمورة والوقوف على أحوالهم ودعمهم بقدر الاستطاعة . كل هذه الأمور تحقق للإنسان ولاءه لإخوانه المسلمين، وتجعله عضواً عاملاً صالحاً في جسم الكيان الإسلامي .

وولاء المسلم للمؤمنين إحدى خصائص السياسة الإسلامية، فلا يقبل من حركة إسلامية أن تتحالف مع غير الإسلاميين إذا كان فيه إساءة لحركة إسلامية أخرى، كما تسارع جميع الحركات الإسلامية

(٧٦) جامع الأصول (٦٥٧/١٠) وأبو داود (٤٠٣١) وقال الأرناؤوط إسناده حسن .

(٧٧) قال الألباني : حديث حسن (صحيح الجامع الصغير ١٦٠/٥) رقم (٥٥٦٦) .

في العالم إلى نصره المسلمين في أي بقعة من العالم ،على قدر طاقتها ،وهذه من ثوابت السياسة الإسلامية لأنها سياسة عقائدية وليست سياسة مصالح كما هي عند الجاهليين .

-----



## الفصل التاسع الدولة المسلمة الأولى

تمهيد :

تتنازع الحركة الإسلامية المعاصرة نظرتان: ترى الأولى منهما أن إقامة الدولة المسلمة يجب أن يكون أولاً، وقبل أي نشاط إسلامي آخر، ومن حججها أن الدولة اليوم تهيمن على الحياة كلها، من تعليم إلى اقتصاد إلى إعلام... وغير ذلك، وهؤلاء يرجحون أي نشاط إسلامي إلى ما بعد قيام الدولة المسلمة، التي ستبني المجتمع المسلم، والأسر المسلمة، وأفرادها المسلمين ومن حججهم أن الدول غير المسلمة تدمر ما بينه الدعاة المسلمون، والتخريب أسهل من البناء، لذلك تضيع جهود الدعاة المسلمين المبذولة من أجل تربية جيل مسلم، وتكوين المجتمع المسلم، ومن حججهم الخن التي تلحق بالحركات الإسلامية، من سجون ومعتقلات، ونفي وتشريد أو قتل وانتهاك حرمان، كما يفعل الطغاة بالحركات الإسلامية .

وقام الجهاد الأفغاني المبارك، وساهم فيه مئات الشباب المسلم، ورأوا عزة المؤمن مقرونة بالبندقيّة والصاروخ، ورأوا كيف هرب أمامهم الروس، وكيف نهارت امبراطوريتهم الكافرة، واستيقظت فريضة الجهاد في نفوس بعض المسلمين، مما دعم هذا الاتجاه إلى درجة كبيرة، وأصبح الشباب المسلم يتربص بذل الروح من أجل إقامة الدولة المسلمة، ولم تعد هذه النظرة محصورة في جماعة واحدة، بل صارت نظرة الشباب المسلم في سائر الحركات الإسلامية، وبعد إقامة المجاهدين المسلمين أيدهم الله حكومة إسلامية في كابول؛ قويت حجة أنصار هذا الاتجاه. أما الرأي الآخر فيقف في الطرف المقابل تماماً، حيث يرى أن إعداد الأفراد المسلمين في سلوكهم، سيؤدي إلى إقامة الأسر المسلمة، فالمجتمع المسلم، ثم الدولة المسلمة. وأن العمل السياسي مضيعة للوقت، وهدر للجهود التي يجب أن تنصرف كلها في التربية فقط .

وفي الجماعة الواحدة صار تياران على الأقل، تيار معظمه من الشيوخ ويتمسك بالطريق الأصلي للجماعة، وهو التربية وتكوين الفرد المسلم، ثم الأسر المسلمة، فالمجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة، وتيار معظمه من الشباب الذي يرى الجهاد هو الطريق لإقامة الدولة المسلمة، ومن ثم يقوم المجتمع المسلم، وقد قاد الشباب جماعتهم إلى مواجهة السلطة، دفاعاً عن النفس، وسعيًا وراء الدولة المسلمة، وتقوم جماعات الجهاد وهي بعض الجماعات الإسلامية المنبثقة عن الإخوان تقوم بمصارعة الحكومة منذ السبعينات، وترى ذلك فريضة، لأنه نهي عن المنكر الذي تمثله الدولة. ويتنامى الجهاد بالسلاح ضد الدولة يوماً بعد يوم، وهناك أعداد غير قليلة من الشباب المثقف والمتحمس للدولة المسلمة؛ صار قانعاً بأن الجهاد المسلح هو الطريق الوحيد نحو المجتمع المسلم. ومما قوى هذا الاتجاه أيضاً، نجاح الجهاد في أفغانستان، وعودة المجاهدين العرب إلى بلادهم؛ بعد أن عاشوا بضع سنوات في خنادق القتال، وبعد أن شهدوا انهزام الامبراطورية الشيوعية أمام الشباب المسلم، وصارت وسائل الإعلام العالمية مثل إذاعة لندن؛ تردد أنباء (الأفغان) في الجزائر وفي مصر، وتقصد بهم المجاهدون العرب الذين رجعوا منتصرين من أفغانستان، ووصل الأمر إلى حيرة لدى المسلم .

ولا يخرجنا من الحيرة سوى العودة إلى الأصول، قال تعالى في كتابه العزيز { ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } (الأحزاب: ٢١) وعن مالك بن أنس رحمه الله بلغه أن رسول الله ﷺ قال [ تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنة رسوله ]<sup>(٧٨)</sup>. فما للمسلمين اليوم يتخلفون في عملهم السياسي، ويقتبسون من الجاهلية (بلا وعي)، وعندهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظهما . خاصة أن رسول الله ﷺ بنى الدولة المسلمة الأولى، وشاءت رحمة الله عز وجل أن يمكث نبيه عشر سنوات على رأس هذه الدولة ينظم ويخطط ويدير شؤونها، وقد أنعم علينا ربنا عز وجل فحفظ لنا سيرته ﷺ ولم تحفظ سيرة غيره من الأنبياء .

### فكيف قامت الدولة المسلمة الأولى ؟

لقد سار رسول الله ﷺ على النهج التالي: أعد الفرد المسلم حتى كون من صحابته رضوان الله عليهم القاعدة الصلبة، ثم كون من الأسر المسلمة مجتمعاً مسلماً في ظل المجتمع المكي المشرك آنذاك وبحماية بني هاشم مرة وغيرهم مرة أخرى، وحرص ﷺ على تجنب الجماعة المسلمة الصدام مع العدو، فهاجروا إلى الحبشة مرتين لأجل ذلك، ثم هاجروا إلى المدينة المنورة، وعندها أقام ﷺ الدولة المسلمة .

وسوف يركز الباحث على أمور ثلاثة هي تكوين القاعدة الصلبة داخل المجتمع المشرك (في مكة أو الحبشة أو يثرب)، ثم تكوين الجماعة المسلمة داخل المجتمعات غير المسلمة، ثم أسبقية تكوين المجتمع على الدولة، حتى جاءت الدولة ثمرة لازمة للمجتمع . وفي هذا يرى الباحث عدم الوضوح الكافي عند الصحوة الإسلامية المعاصرة لطريق رسول الله ﷺ الذي سلكه إلى إقامة الدولة المسلمة، لأن معظمها يستعجل الخطى ويحاول إقامة الدولة المسلمة قبل المجتمع المسلم .

### القاعدة الصلبة

يشبه المجتمع العمارة في عدة أمور منها أن العمارة تقوم على قاعدة صلبة من الحديد والإسمنت، تحت الأرض ولا تظهر للعيان، تحمل العمارة كلها وتثبتها، والمهم في وجه الشبه أن المهندسين يبدأون ببناء القاعدة الصلبة قبل أي عمل آخر في العمارة، ثم الاهتمام بهذه القاعدة وإرسائها على مهل، لأن أي خلل فيها سيعرض العمارة كلها للدمار والانهيار فيما بعد عندما تمتلئ بالسكان .

أمضى رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً (وهي أكثر من نصف عمر الدعوة)؛ يبنى هذه القاعدة وسط المجتمع الجاهلي في مكة المكرمة . قال تعالى { لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلاً وعد الله الحسنى } (الحديد: ١٠) ، وقال عز وجل { فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ، والسابقون السابقون ، أولئك المقربون في جنات النعيم ، ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين } (الواقعة: ٨-١٤) . فهؤلاء السابقون هم القاعدة الصلبة التي بناها رسول الله ﷺ في مكة، ثم أقام المجتمع

(٧٨) جامع الأصول (٢٧٧/١)، قال الأرناؤوط: ويشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم (٩٣/١) بسند قوي فيتقوى به .

المسلم عليها في المدينة المنورة ،(ثلة من الأولين) أي كثير منهم من الأولين (الصحابة) (وقليل من الآخرين) أي من غير الصحابة ،فقد أعد رسول الله ﷺ عشرات أو مئات منهم ثم حملوا الإسلام إلى الدنيا كلها ،ودكوا الكفر في ( الشرق المتمثل بالفرس يومذاك والغرب المتمثل بالروم ) . وعسى أن يوجد منهم في عصرنا بضع عشرات لإقامة الخلافة على منهج النبوة كما وعد رسول الله ﷺ ،وسنرى بعد قليل الفوارق البعيدة بيننا وبينهم رضي الله عنهم .

### الدولة والمجتمع في علم الاجتماع

كل تجمع حيوي ومنه المجتمع البشري لا بد له من دولة ،ومنذ القديم كان زعيم القبيلة هو دولتها ،ثم تطور مفهوم الدولة ؛ عندما توسعت مهامها. فقد كانت دولة القبيلة تقوم بفض النزاعات بين الأفراد ،وتقود القبيلة في الحرب ،والتنقل من مكان إلى آخر طلباً للمرعى . ثم نما دور الدولة فشمّل التريبة ثم الصناعة والزراعة ،حتى وصل الأمر عند الماركسيين إلى أن تشرف الدولة على كل صغيرة أو كبيرة في حياة الفرد والمجتمع .

وفي الأثر (كيفما تكونوا يول عليكم) وتعضده آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل قوله تعالى { وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً } (الإسراء: ١٦). ( فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك ،فكثر فيها المترفون فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم ،سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها ،فعم فيها الفسق فحقت عليها سنة الله ،وأصابها الدمار والهلاك ،وهي المسئولة عما يجل بها لأنها لم تضرب على أيدي المترفين ) (في ظلال القرآن) . ومن زاوية علم الاجتماع نقول يلد المجتمع دولته ،فالمجتمع الجاهلي يلد دولة جاهلة ،والمجتمع المسلم يلد دولة مسلمة ،والمجتمع الذي يكثر فيه الدخن يلد دولة فيها كثير من الدخن ،والمجتمع العضوض تتولاه دولة عضوض ،والمجتمع الظالم تتولاه دولة ظالمة. وبعبارة أخرى تقوم الدولة المسلمة بعد وجود المجتمع المسلم ،لأن سنة الله عزوجل شاءت أن يوجد الأب قبل الإبن ،والدعاة الذين يحاولون إقامة الدولة المسلمة قبل وجود المجتمع المسلم ؛ مثلهم كمن يحاول أن تكون له ذرية قبل أن يتزوج ،يطلبون المستحيل ،ويعاكسون (عن جهل) سنة الله في الكون عامة وفي المجتمع خاصة . وقد حاولت الدولة الشيوعية إقامة المجتمع الشيوعي الذي بشر به ماركس ولينين ،وخلال سبعين عاماً قتلت عشرات الملايين من البشر ،وأنفقت ملايين البلايين من الأموال ،ولكنها أخفقت وانهارت وآل أمرها إلى أن أصدر (بالستين) قبل أيام إغلاق مكاتب الحزب الشيوعي في موسكو وختمها بالشمع الأحمر . ولكن يرى بعض الأخوة الدعاة أنهم يريدون الدولة المسلمة كي يقيموا بواسطتها المجتمع المسلم ،لأنهم عجزوا عن إقامة المجتمع المسلم في ظل دولة غير مسلمة ،فهل يمكن إقامة المجتمع المسلم (بعضه على الأقل) في ظل دولة غير مسلمة؟

### المجتمع المسلم في ظل المجتمع المعاصر

إذا عرفنا أن المجتمع مجموعة من الأسر المترابطة، ولها مؤسساتها الاجتماعية، مع العلم أن أهم عنصر في المجتمع هو ترابط هذه الأسر، فعندما تترايط مجموعة من الأسر برباط متين؛ تقيم مؤسساتها الاجتماعية كالمسجد والمدرسة والسوق... وآخرها الدولة. أما إذا كان رباطها واهياً ضعيفاً فإنها تعجز عن التجمع، فينفرط عقدها وتشرذم ثم تلتحق بتجمعات أخرى ترتبط معها برابطة أخرى، كاللغة والوطن أو القبيلة والحي والحرفة، كما يترابط المسلمون اليوم.

فقد ترابط الصحابة الكرام في مكة قبل الهجرة برباط العقيدة، ووصار ولاؤهم لله ولرسوله وللمؤمنين، فكانوا مجتمعاً مسلماً تنقصه المؤسسات، ومنها الدولة التي لا بد لها من عنصر الأرض، أما عندما توفرت الأرض في المدينة فسرعان ماتم المجتمع المسلم بما فيه الدولة المسلمة. وكان أقوى مجتمع عرفته الأرض على الرغم من الفقر الشديد الذي رافق قيام المجتمع المسلم.

وفي شعب أبي طالب كانت (الجماعة المسلمة) مترابطة أشد ما يمكن الترابط، انحازوا إلى شعب أبي طالب وتحملوا الجوع والبرد والحر، وتركوا آباءهم وأمهاتهم وأبنائهم وأموالهم، وأكلوا ورق الشجر حتى تقرحت شفاههم، كان ولاؤهم لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة فهاجروا، وأمرهم بكف أيديهم عن قتال المشركين في مكة فكفوا أيديهم، وكان ﷺ قائداً مطاعاً، بل يتقرب المسلمون إلى الله بطاعته ﷺ، وهذه أهم خصائص المجتمع المسلم.

### وهم منتشر بين الشباب المسلم

يتصور كثير من الشباب المسلم الغيورين على الإسلام والمسلمين؛ أن الدولة المسلمة سوف تقيم المجتمع المسلم، وتحمل الدعوة الإسلامية إلى العالم أجمع، ولكن هذا مخالف للسنن الاجتماعية، وعلى الرغم من بدهيات الدعوة الإسلامية التي ترى أن مراحل الدعوة الإسلامية هي تكوين الفرد المسلم ثم الأسرة المسلمة، فالجماعة المسلمة، ثم المجتمع المسلم فالدولة المسلمة، ثم الأمة المسلمة. وقد حفظ الدعوة هذه المراحل عن ظهر قلب، لكن يبدو أنها لم تدخل القلب ذاته؛ وبقيت في ظهره فقط. وسبب ذلك عدم تميز السياسة الإسلامية عن غيرها، فالأحزاب الجاهلية تقفز إلى السلطة في جنح الظلام، ثم تسرق الدولة وتبقى السلطة في يدها مدة من الزمن، دون أن تتمكن من التغيير الجذري، وكل هذه الأحزاب حاولت أن تبني مجتمعاً، ولكنها فشلت كما فشلت الدولة الشيوعية في بناء المجتمع الشيوعي، وقد تأثر الشباب المسلم وغير الشباب أيضاً بهذه الأحزاب، ورأى بعضهم أن (الانقلاب العسكري) سيقوم الدولة المسلمة، والدولة المسلمة ستبني المجتمع المسلم. وعندما تفشل هذه الأحزاب في إقامة مجتمعها الذي تريده؛ فإنها تحرب المجتمع الموجود، بحجة إقامة المجتمع الجديد؛ ثم لا تستطيع أن تفعل شيئاً غير التخريب. وقد سمعنا وعايشنا كثيراً من هذه الانقلابات التي دعت إلى استلام السلطة من أجل تغيير المجتمع تغييراً جذرياً، فأتمت واستولت على الأموال، وسجنت أو شنقت كل معارض لها، وبعد عشرات السنين تبين أنها لم تفعل شيئاً غير الإعدام والسجن والتشريد ونهب الأموال والتخريب.

### نشأة المجتمع القرآني الفريد في ظل المجتمع الجاهلي

انحاز المسلمون كلهم في مكة المكرمة إلى شعب أبي طالب ،وتحت حماية أبي طالب وبني هاشم وغيرهم ربي رسول الله ﷺ القاعدة الصلبة والمجتمع القرآني الفريد ،واستفاد رسول الله ﷺ من العصبية القبلية يومذاك وجعلها مظلة توقي بها ،ولما توفي أبو طالب ،ضاعف رسول الله ﷺ البحث عن مظلة للجماعة المسلمة ،حتى نصره الله بالأوس والخزرج . ( ... وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب ،فازداد غمًا على غم حتى يئس منهم ،وخرج إلى الطائف ؛ رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤوه وينصروه على قومه... ) (الرحيق المختوم ،ص ١١٣) ،وبعد عودته ﷺ من الطائف وقد خذله أهلها وآذوه ،مكث في غار حراء وأرسل إلى المطعم بن عدي ليحيره ( أي يعيش في مكة المجتمع الجاهلي تحت حمايته ) ،فاستجاب المطعم بن عدي... ) ،ثم دخل محمد ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي ،واستأنف دعوته إلى الله فيها .

وفي بيعة العقبة الثانية يقول العباس (وهو على دين قومه يومذاك) مخاطباً أهل العقبة الثانية ( .. إن محمداً منا حيث قد علمتم ،وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه،فهو في عز من قومه (أي في حماية بني هاشم) ... فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه إليه ،ومانعوه ممن خالفه ،فأنتم وماتحلمتم من ذلك). وكان رسول الله ﷺ يقول لوفود القبائل في موسم الحج (من رجل يحملني إلى قومه فيمنعني حتى أبلغ رسالة ربي ،فإن قريش قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي . وقد حرص رسول الله ﷺ في هذه المرحلة المكية على تأمين الحماية للدعوة والداعية والمستجيبين ،ولقد عدد الطرق التي تتأمن بها الحماية: فمن دخول في حماية ،إلى أمر بهجرة ،إلى طلب لبعضهم أن يعيشوا في أكناف قبائلهم مستفيدين من الأعراف والعادات والتقاليد (الأساس في السنة ،ص ١٩١).

ويعلق الشيخ سعيدحوى على ذلك فيقول ويجب أن يفطن الدعاة ويستفيدوا من الأعراف الدولية والقوانين المحلية ليعطوا لدعوتهم فرصة السير (ص ١٩١) . وهاجر المسلمون إلى الحبشة وملكها نصراني يومذاك ،وعاشوا في مجتمعه يعبدون ربهم قدر طاقتهم ،بعيداً عن قريش واضطهادهم للمسلمين .

### كيف نقيم المجتمع المسلم قبل الدولة المسلمة ؟

المجتمع مجموعة من الأسر المترابطة ؛ لها مؤسساتها الاجتماعية ،أما المجتمع المسلم فهو مجموعة من الأسر المسلمة تربطها عقيدة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ولها مؤسساتها الاجتماعية كالمسجد والمدرسة المسلمة والمصرف المسلم وبيت مال الزكاة ،والقاضي المسلم... الخ . أما الأسر المسلمة فقد وجدت والله الحمد ،وعندما تكون رابطتها قوية ومتينة ،وولاءها لله ورسوله وللمؤمنين ،فإنها إذ ذاك تستطيع أن تقيم عدداً من المؤسسات الإسلامية كالمساجد التي تخرج المسلمين الحقيقيين ،وكالمدارس المسلمة ،والمصرف المسلم ،وبيت مال الزكاة .. وغيرها .

ففي أوروبا تستطيع أن تقيم ماتشاء بعد أن يتوفر المال ،والمال كثير جداً عند المسلمين ،فلو دفع المسلم الواحد دولاراً واحداً سيتوفر مليار دولار ،ولو كف المسلمون عن التبذير وتبرعوا بقيمته سيتوفر مئات المليارات ،ولو كف المسلمون عن الإسراف في الطعام والشراب والثياب والمسكن لتوفر في

العام الواحد آلاف المليارات، وكل ذلك يتوفر عندما يعطي المسلمون ولاءهم لله ولرسوله وللمؤمنين .

والسوق المسلم (من ابتكارات الأخوة الجزائريين) مؤسسة إسلامية تحول الكلمات إلى أعمال والنظريات إلى واقع .

فمن بمنعنا من إقامة مثل هذا السوق؟ قد يقوم بعض التجار (الفجار) ضدنا، ولكن نستطيع أن نرخص تجارتنا، ثم نبيع بالتكلفة أو قريباً منها، من يمنعنا سوى حب الدنيا والطمع فيها، أما إذا أردنا الآخرة فهذا ميسر في كل مجتمع . وكذلك المستشفى الإسلامي الذي ينقذ المرضى المسلمين من أناجيل المنصرين التي يقدمونها لهم مع الدواء، وعندما يقنع المسلمون من الدنيا بما قنع به الصحابة أو قريباً من ذلك، سيقدم المسلمون خيراً للمجتمع يدفع المسلمين إلى موالئهم، والبراء من موالاته الكافرين والمنافقين، وهذه خطوات حاسمة لإقامة المجتمع المسلم .

ولذلك يرى كثير من المسلمين اليوم أن الديمقراطية على مفارقتها للإسلام يرونها أخف الضررين، ويرونها تساعدهم على إقامة المؤسسات المسلمة في ظل المجتمعات المعاصرة، وبعد أن تكثر المؤسسات المسلمة فتغطي معظم جوانب الحياة، عندئذ يقوم المجتمع المسلم، وتجد المسلم يومذاك تربي في البيت المسلم، ثم المسجد والمدرسة المسلمة فالجامعات المسلمة، وهذا يحميه من الانحراف، ويساعده على النمو الإسلامي كما فطره رب العالمين، ثم يعمل في المستشفى المسلم أو المصرف المسلم أو المدرسة المسلمة أو السوق المسلم... وهكذا تصبح حياته بالإسلام، وإسلام واقعي عملي؛ لإسلام الكتب والمجلات والنشرات، عندئذ يلد المجتمع دولة مسلمة، وليس ذلك على الله ببعيد .

## مقومات الدولة المسلمة الأولى

### تمهيد :

عندما نبحث عن مقومات الدولة المسلمة الأولى؛ نهدف إلى التعرف على هذه المقومات، ثم نقيس حالنا المعاصرة عليها، فإن كنا قريبين منها انتهاءً لإقامة الدولة المسلمة، وإن كنا بعيدين عنها نعمل على توفيرها لإقامة الدولة المسلمة المرتقبة بإذن الله، والتي ستقوم لأن الله عز وجل وعدنا بذلك، على لسان رسوله ﷺ في أحاديث صريحة صحيحة منها ما رواه النعمان بن بشير عن حذيفة أن النبي ﷺ قال: [ تكون فيكم النبوة ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة؛ فتكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكاً عاضاً فيكون فيكم ماشاء الله أن يكون؛ ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون ماشاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت ] (سبق تخرجه) . أما الدولة المسلمة الأولى في المدينة المنورة فقد قامت بعد توفر المقومات التالية )

المنهج - القيادة - الشعب - الأرض ) :

المنهج :

وهو كتاب الله عزوجل، وسنة رسوله ﷺ، وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ﷺ ورضي الله عنهم، فقد كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ، وكان الرسول ﷺ يحل المشكلات اليومية للمجتمع المسلم والدولة المسلمة، ومن نعم الله عزوجل أنه تكفل حفظ هذا المنهج، فقد حفظ كتابه كما وعد { إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون }، وحفظ لنا سيرة نبينا ﷺ وهياً لها عباده الصالحين كالبخاري ومسلم وغيرهما ممن أفنوا عمرهم في خدمة سنة رسول الله ﷺ .

لكن ما ينقص المسلمون اليوم هو فهم هذا المنهج، ومعرفة الإسلام متمثلاً في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهماً إسلامياً، بعيداً عن البدع والهوى والعاطفة وحب الدنيا، والواقع المر أن فهم المسلمين لدينهم مازال ناقصاً، ويغلب عليه الفهم الجزئي المتور، ومن يحاول الشمولية في الفهم فإن فهمه يبقى سطحياً يتسم بالسذاجة، ويلزمنا اليوم تعميق فهم المسلمين للإسلام كما لأن ملايين المسلمين يجهلون فروض الوضوء، كما يلزمنا تعميق فهم معظم المسلمين لأن معظمهم يجهلون من هم (أولو الأمر)، ولا بد من تعميق هذا الفهم حتى يميز المسلم بين الأهم والمهم، والخاص والعام، والثابت والظني... الخ. وكما يتحقق ذلك الفهم الإسلامي للإسلام؛ لابد من إعادة بناء النظام التربوي في العالم الإسلامي، بعد أن يهدم النظام التربوي القائم لأنه نسخة ممسوخة من الأنظمة الجاهلية في الغرب، وبعد إزالة الركائز التي يقوم عليها النظام التربوي الإسلامي؛ كي يعد أجيالاً تفهم الإسلام وتحميه وتعمل به، وفي هذا الصدد يقول الدكتور إسحق الفرحان (... إن مفرق الطريق بين التربية الإسلامية وأنواع التربية الأخرى سواء منها التقليدية أو الحديثة؛ هو أنها تربية ربانية، والله جل وعلا (رب العالمين) وهو سبحانه (رب الناس) وهذا يجعلها تتميز عن غيرها من أنواع التربية من حيث الأهداف والطبيعة والمحتوى والسمات والأثر العملي). وأهم ما ينبغي الانتباه له عندما نبنى النظام التربوي الإسلامي هو المدرس المسلم، فلا بد أن يكون داعية، لا معلماً محترفاً .

### الفهم الجماعي للمنهج :

وكي يكون فهمنا المعاصر للإسلام فهماً نافعاً وعملياً؛ يؤدي إلى إقامة المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة؛ لابد من الفهم الجماعي لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أي الإجماع على هذا الفهم المعاصر، وكما يتحقق هذا الفهم الجماعي؛ لابد من قيام مؤسسات فكرية إسلامية عالمية تجمع شتات العلماء والمفكرين المسلمين، كالمجمع الفقهي، وفي هذه المؤسسات يتعاون العلماء والمفكرون على توحيد الفهم المعاصر لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مثل المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي، ومعهد الفكر الإسلامي العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية، ومركز تطبيق الشريعة الإسلامية في إسلام آباد وغيرها، ونشر الفكر الإسلامي في الصحف والمجلات الإسلامية العالمية، ورفع الحظر عن هذه المجالات لدخول بلدان العالم الإسلامي كلها، ليتحاور العلماء والمفكرون على صفحاتها، فتتلاقح الأفكار وتتفاعل من أجل فهم عام يشترك فيه معظم المسلمين المعاصرين، والمفروض أن تقوم الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي بهذا الدور؛ فتجتمع العلماء والمفكرين الإسلاميين، وتحميهم سبل التعارف والتعاون على البر والتقوى. كما تقوم هذه المؤسسات بنشر أمهات الكتب الإسلامية كالمختصرات من تفاسير

القرآن الكريم، وفتح الباري، وشرح النووي، والأحكام السلطانية، والسياسة الشرعية، والغياثي للجويني، وغيرها بعد طباعتها بخط العصر وورقه وإخراجه .

### القيادة :

تمثلت قيادة الدولة المسلمة الأولى في رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ صفات فريدة، وعلى كل مسلم أن يجعلها قدوته وهدفه، وخاصة الدعاة والقادة، وأهم ما يلزم القادة في عصرنا منها :

### أ- الزهد

زهد ﷺ في الدنيا وقد ملكها، فلم يكن ﷺ فقيراً كما يتوهم البعض بل مرت عليه أيام كان يعطي مئات الإبل لكبار قريش ( . . أعطى رسول الله ﷺ المؤلفه قلوبهم، فأعطى أبا سفيان مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير... وعد ابن هشام أحد عشر صحابياً أعطى كلاً منهم مائة وسموا أصحاب المئين، وأعطى دون المائة رجالاً من قريش منهم مخزومة بن نوفل، وعمير بن وهب، وأعطى سعيد بن يربوع خمسين من الإبل، وأعطى السهمي خمسين كذلك (تهذيب سيرة ابن هشام، ص ٢٧٧) . فقد رفض ﷺ أن يشرب اللبن المزوج بالعسل، وقال شربتني في شربة، وأدمين في قدح؟ لاحتاجة لي به، أما إني لا أزعم أنه حرام، ولكن أكره أن يسألني الله عزوجل عن فضول الدنيا يوم القيامة، أتواضع لله، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر وضعه الله، ومن اقتصد أغناه الله، ومن أكثر ذكراً الموت أحبه الله (الترغيب، ١٥٨/٥) . وعندما طالبت زوجته بزيادة النفقة، فهل تتصور أن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن يطلبن من رسول الله ﷺ ما لا يقدر عليه أم أمهن رأين الدنيا في يديه ينفقها في سبيل الله، ولا يبقى منها شيئاً له أو لهن . وزهد القائد في الدنيا يجب أن يكون به، وينقادون له؛ لأنهم يرونه يختلف عنهم، بل يرونه أعلى منهم لأنه زهد في الدنيا (بعد قدرته عليها)، بينما هم لم يستطيعوا ذلك؛ فينقادون له . فعن أبي العباس سهل بن سعد الصاعدي ﷺ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال: [ ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ] (السلسلة الصحيحة للألباني، رقم ٤٤٩٩) . وقد تجد من الدعاة والقادة من تخلى عن شهوة الطعام والشراب وسيارات (المرسيدس)، ولكن حب الرئاسة مازال يعيش في نفسه، وحب الرئاسة جزء من حب الدنيا، وعندما نفهم السياسة الإسلامية ونطبقها في صحتنا الإسلامية؛ فلا مكان لمن يحب الرئاسة في قياداتنا، لأن المسلمين لا يؤمرون من يطلب الإمارة أو يحرص عليها . ويقول محمد قطب (إننا لا نملك وسيلة نبرز بها تلك القيادة الكبيرة المطلوبة، إنما نكل هذا الأمر إلى الله سبحانه وتعالى، على أن نلتزم نحن بالإخلاص والتجرد لله، فنستحق عند الله أن يهني لنا مانصبو إليه (واقعا المعاصر، ٥٠١) . ويرى الباحث أن اتكالنا على الله عزوجل يتطلب منا طاعته والعمل بشرعه، ومنه الاهتمام بالطفل المسلم، والبيت المسلم، عسى أن يرزقنا الله من هذه البيوت مثل هؤلاء القادة، لأن مظان نشأتهم في مثل هذه البيوت، والله قادر على تربيتهم في بيوت الفراعنة، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون .



## ب- الشمولية

فقد كان رسول الله ﷺ قائداً ومعلماً وأباً وزوجاً، أما قادتنا اليوم فتجد أحدهم لامعاً في جانب، جاهلاً في جوانب أخرى، مما يجعله ضعيفاً في قيادته، ومما يلزم القائد في يومنا هذا جمع روح التراث المتمثلة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ مع الثقافة العصرية كعلم الاجتماع والاقتصاد والنفوس والسياسة واللغات العالمية ومثل ذلك .

## ج- التزامه بالشورى

وينبع هذا الالتزام من فهمه لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتحويل هذا الفهم إلى تطبيق عملي في سلوكه، والفردية (ضد الشورى) مرض خطير في قادتنا اليوم؛ نسأل الله عزوجل أن يخلصهم منه .  
ولابد للبيت المسلم والمدرسة المسلمة والمسجد وجميع مؤسسات التربية الإسلامية؛ أن تدرب الأطفال المسلمين على الشورى<sup>(٧٩)</sup>، وتربيتهم عليها منذ الصغر، حتى تصبح سجية لهم عند الكبر .

## الشعب :

وهم المهاجرون والأنصار، المجتمع القرآني الفريد، وما أكثر الفروق بين المسلمين اليوم، وبين ذلك المجتمع القرآني الفريد، الذي رباه رسول الله ﷺ في ظل المجتمع الجاهلي في مكة قبل الهجرة منها، وفي المدينة قبل الهجرة إليها، ومن أهم الفروق بيننا وبينهم:

## أ- الأخوة

لقد صهر الإسلام المهاجرين والأنصار في بوتقة واحدة اسمها (المسلمون) وطمست القبلية على الرغم من تمكنها في قلوب العرب، طمست وغابت عنهم مدة طويلة، فتزوج زيد بن حارثة (مولى) زينب بنت جحش القرشية، وأمر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد وهو (مولى بن مولى) على جيش فيه الخلفاء الأربعة (القرشيون) وغيرهم من كبار قريش والعرب، وعندما اعترض بعض المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ على إمرة أسامة اعترضوا على صغر سنه (١٦ أو ١٨) سنة، ولم يعترضوا على نسبه، مما يدل على اختفاء العصبية القبلية عندهم آنذاك . وكان المهاجر يرث أخاه الأنصاري؛ بعد أن آخى بينهم رسول الله ﷺ، حتى نزل قوله تعالى بعد غزوة بدر الكبرى { وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.. } (الأنفال: ٧٥) . فعاد التوارث بين الأرحام .

وامتألت قلوبهم بحب الله وحب رسوله ﷺ وحب المؤمنين، فتسابقوا إلى إثارة إخوانهم على أنفسهم، في أوقات الشدة، ناهيك عن أوقات الرخاء، ففي يوم اليرموك وقد انكشف المسلمون قال عكرمة بن أبي جهل قاتلت رسول الله ﷺ في مواطن؛ وأفر اليوم؟ ثم نادى من يبايع على الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم، فقاتلوا أمام فسطاط خالد حتى أثنوا جراحاً، فلما صرعوا من الجراح استقوا ماءً، فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلى أحدهم نظر إليه الآخر، فقال ادفعها إليه، فلما دفعها إليه نظر إليه ثالث، فقال ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلى آخر، حتى ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم أجمعين (ابن كثير، ١١/٧).

(٧٩) صدر للباحث كتاب بعنوان: كيف نربي أولادنا على الشورى .

## ب- القاعدة الصلبة

من الفروق الكبيرة بين المسلمين اليوم وبين ذلك المجتمع القرآني الفريد، القاعدة الصلبة التي تضم عدداً كبيراً من الأفاذ، الذين كان أحدهم يساوي ألفاً من رجال عصره، وهؤلاء الأفاذ هم القاعدة الصلبة التي يقوم عليها المجتمع المسلم، ثم تنبثق عنه الدولة المسلمة، لأن هؤلاء الأفاذ يشكلون الأعمدة الراسية التي تحمل الدولة المسلمة وأعباءها الثقيلة. ومن هؤلاء الأفاذ رجال القاعدة الصلبة ظهر منهم كثير، هذا بعضهم كمثال وليس للحصر.

١- عرف منهم يوم أحد ( أبو بكر وعمر وعلي وغيرهم كانوا في مقدمة المدافعين عن رسول الله ﷺ، ولما بدأ المشركون بتطويق المسلمين لم يكن مع رسول الله ﷺ إلا تسعة نفر وهم سبعة من الأنصار ورجلان من قريش، فقتل الأنصاريون، وآخرهم يزيد بن السكن، ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص فقاتلا ببسالة منقطعة النظير، وكانا من أمهر رماة العرب، حتى قال رسول الله ﷺ لسعد ( ارم فذاك أبي وأمي )، أما طلحة فقد جرح تسعة وثلاثون جرحاً وشلت أصبعه، حتى قال عنه أبو بكر إذا ذكر يوم أحد ذلك اليوم كله لطلحة. ثم وصل إلى رسول الله ﷺ أبو بكر وأبو عبيدة الجراح، وأبو دجانة، ومصعب بن عمير، وسهل بن حنيف، وأبو طلحة. ولما عرف المسلمون أن رسولهم مازال حياً؛ تجمع حوله ثلاثون رجلاً من الصحابة، ومن الشهداء من كان فيه سبعون جرحاً مثل سعد بن الربيع، ومنهم من ترس بجسمه يتلقى النبل عن رسول الله ﷺ (الرحيق المختوم، ٣٠٢).

٢- وعرف من هذه القاعدة الصلبة يوم حنين ثمانون صحابياً ثبتوا مع رسول الله ﷺ، بينما فر اثنا عشر ألف رجل، (وفي عماية الصبح استقبل المسلمون وادي حنين وشرعوا ينحدرون فيه، وبينما هم ينحطون إذ تمطر عليهم النبال، وتشد عليهم كتائب العدو شدة رجل واحد، فانشمر المسلمون راجعين، وكانت هزيمة منكورة؛ لولا أن رسول الله ﷺ انحاز جهة اليمين وهو يقول هلموا إلي أيها الناس، أنا رسول الله، ولم يبق معه إلا عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته، فأمر عمه العباس أن ينادي بأعلى صوته أين أصحاب السمرة (يقصد الأنصار) فقالوا يالبيك، يالبيك، حتى إذا اجتمع حوله مائة استقبلوا الناس واقتتلوا حتى أنزل الله نصره على المؤمنين (الرحيق المختوم، ٤٦٨).

فإذا تأملنا مائة من هؤلاء الأفاذ (القاعدة الصلبة) من اثني عشر ألف من جيش المسلمين يومذاك، فكيف يوجد من هذه القاعدة الصلبة ونحن اليوم مليار من المسلمين؟ كم رجل عندنا ضحى بحياته من أجل دينه؟ على علم وصواب لأن الله عزوجل لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصاً وصواباً، كم رجل عندنا مثل البنا وسيد قطب وعبد الله عزام و أمثالهم؟ وكيف يقوم المجتمع المسلم بدون هذه القاعدة الصلبة؟

هذه القاعدة الصلبة رباها رسول الله ﷺ وفق منهج وأسلوب موجودين عندنا، وعلى الصحو الإسلامية اليوم أن تضع تربية هذه القاعدة الصلبة على رأس قائمة الأولويات، بل قبل كل شيء. وكل عمل يعيق أو يؤخر قيام هذه القاعدة الصلبة فهو تأخير لقيام المجتمع المسلم، والدولة المسلمة

كما يقول الشيخ محمد قطب، وما أكثر المعارك الجانبية التي خاضها الشباب المسلم، وما أكثر الجهود والأرواح أحياناً التي بذلت في هذه المعارك الجانبية، والتي كان من الأصح أن تصرف في بناء القاعدة الصلبة، يقول محمد قطب (فلنفرض أننا توصلنا إلى تشكيل برلمان إسلامي مائة بالمائة، فماذا يستطيع أن يصنع بدون هذه القاعدة المسلمة التي تسند قيام الحكم الإسلامي ثم تسند استمراره، انقلاب عسكري يجل البرلمان ويقضي على أعضائه وينتهي كل شيء في لحظات) (ص ٤٦٢). ومثل ذلك لو قام الإسلاميون بانقلاب عسكري (وهو من الفروض المستحيلة غالباً) واستلموا السلطة، ماذا يفعلون بدون هذه القاعدة المسلمة (الصلبة) التي تحمل أعباء الدولة المسلمة، ومن المؤكد أن سلطة مثل هذه بدون قاعدة مسلمة ستنتهار بعد أشهر أو سنة وربما سنتين، وتختلف وراءها آلاماً ترقد على المسلمين عشرات السنين.

### ج- الزهد في الدنيا

ومن الفروق الكبيرة بين المجتمع القرآني الفريد الذي أقام الدولة المسلمة الأولى والمسلمين المعاصرين؛ زهدهم في الدنيا بسبب إيمانهم الراسخ بأن الله هو الرزاق، وقد عمر الإيمان قلوبهم بأن رزقهم مقدر لهم، ومحفوظ عند الله عز وجل، يؤجله لمن يجبه، ويعجله لمن يريد التعجل، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يخافون جد من الترف ويرونه تعجيل الطيبات المحفوظة لهم في الآخرة، ويفضلون عيش الكفاف عليه.

وقد تساقط على طريق الدعوة عدد كبير من الأخوة؛ لأن إيمانهم بهذه المعاني مهزوز، أو نظري فقط، وهم ممن يفضلون تعجيل الطيبات في الدنيا، أو ممن يرون حقهم في طيبات الدنيا والآخرة معاً، وقد فهموا معنى التوازن بين الدنيا والآخرة وكان الدنيا تساوي الآخرة وعليهم أن لا يخسروا أيّاً منهما وفاتهم معنى التوازن الحقيقي بينهما فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، لذلك أعطى منها للكفار لأنها لا شيء، كما قال تعالى {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} (الحديد: ٢٠). ما هي إلا لعب يتعب الناس فيها أنفسهم كإتعب الصبيان أنفسهم باللعب، وهو يشغل الإنسان عن الآخرة وطاعة الله... وليست الدنيا في حقارتها وسرعة انقضائها إلا متاع زائل، ينخدع بها الغافل، ويعتبر بها الجاهل... وإن الآخرة هي دار الحياة الحقيقية التي لا موت فيها ولا تنغيص.. لأن الدنيا حقيرة لا تزن عند الله جناح بعوضة (صفوة التفاسير).

وعندما بدأ أعداء المسلمين يحاربون المسلمين في خبزهم ومعاشهم، وبنفس الوقت يوسعون الرزق على مؤيديهم وأزلامهم؛ تخافت بعض الأخوة على الفتات الذي ينثره أعداؤهم لهم، ومنهم من تراه ساكناً بعيداً عن الدعوة الإسلامية خوفاً من أن يطرد من وظيفته أو ينقص دخله، (والذي يقول فلان يريد أن يقطع رزقي فما دلالة هذه الكلمة؟ دلالتها أن تلك البديهة التي نطق بها (الله الرزاق) لم تكن يقيناً قلبياً، إنما كانت بدهية ذهنية فحسب، تستقر في السلم وتهتز إذا تعرضت للشدة، لأنها ليست عميقة

الجدور فقد تخرج عدد من الأخوة من الجامعة وهم معلمون في المرحلة الابتدائية، ولم يقبلوا في مسابقات انتقاء المدرسين للمرحلة المتوسطة والثانوية، لأن قبولهم فيها يتوقف على رضى السلطة الحاكمة عنهم، وراتب المدرس أكثر من ضعف راتب المعلم، لذا سارع بعض الإسلاميين إلى إرضاء الحاكم وذلك بالابتعاد عن الدعوة الإسلامية، ثم الاقتراب من مؤسساته، طمعاً في الفتات، وصبر البعض وبقوا في التعليم الابتدائي خمس سنوات أو أكثر وهم جامعيون، وبعد بضع سنوات صارت الحال كما يلي الذين تهافتوا على فتات الدنيا تغير سلوكهم حتى أن بعضهم شرب الخمر علناً، وأخرج زوجته سافرة بل منعها من ارتداء الحجاب، والذين صبروا وتمسكوا بدينهم صاروا أكثر مالاً ورزقاً حسناً، وتحقق أمام ناظري معنى قوله عزوجل { إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين } (الذاريات: ٥٨) .

لقد تخلى صحابة رسول الله ﷺ عن أموالهم ومساكنهم وعشيرتهم وأولادهم وآبائهم، وهاجروا إلى الله ورسوله، فصاروا (القاعدة المسلمة الصلبة) التي قام عليها المجتمع المسلم، وكان أحدهم إذا استشهد في سبيل الله لا يجد أهله وأصحابه ما يكفونونه به، فكانوا يغطونه بالإذخر (نبات في المدينة) . فأين المسلمون اليوم، الذين يتخلون عن أموالهم ومساكنهم وعشيرتهم ويهاجرون إلى الله، وبلاد الله الواسعة تنتظرهم، وتفتح قلبها لهم، ومن فضل الله وجد في أيامنا عدد من المسلمين هاجر إلى الله ورسوله وترك الدنيا بما فيها من مال وجاه وعشيرة، ولكنهم ليسوا كثيراً، منهم الإمام الشهيد عبد الله عزام يرحمه الله، الذي ترك منصبه كأستاذ جامعي في دول الخليج وما فيه من منافع دنيوية، تركه والتحق بالمجاهدين الأفغان، ويقول رحمه الله أنه قال للشهيد تميم العدناني يرحمه الله (لو بقيت في عملك وساعدت المجاهدين ببعض راتبك الضخم) فأجاب العدناني : وهل أنا مجنون أترك الجهاد وأعود إلى الدنيا مرة أخرى ؟ ويوجد غيرهما ولكن العدد قليل، وخاصة عندما نتأمل نسبة القاعدة الصلبة أيام الصحابة إلى عددهم، ثم نتأمل نسبتها اليوم إلى مليار مسلم .

### الأرض :

الأرض آخر مقومات الدولة المسلمة، فبعدما يفهم المسلمون منهجهم الموجود عندهم، والذي حفظه الله لهم، وبعدما تتوفر القيادة المقتدية برسول الله ﷺ، وبعدما تتوفر القاعدة المسلمة وهي نواة الشعب المسلم، عندئذ سيهيا الله عزوجل الأرض كما هيأها أول مرة، فقد هيأ الله سبحانه وتعالى يثرب، وأرسل بعض عقلائها إلى مكة حيث رسول الله ﷺ فأسلموا ثم عادوا في الموسم القادم وتمت بيعة العقبة الأولى، فالثانية، فالهجرة فقامت الدولة المسلمة .

ولن تشترط القاعدة المسلمة التي تبحث عن الأرض المسلمة أية شروط، كالمناخ أو بعدها وقربها من مسقط رأسهم، أو جمالها الطبيعي، أو ثرواتها وجدبها، فأرض المسلم هي عقيدته، والأرض التي تحكمها شريعة الله أحمل أرض في العالم، تجب الهجرة إليها على من لا يأمنون على دينهم في بلدانهم، ومن طبيعة الإنسان أن يشده التراب، لوثة الطين، إلى الأرض التي نشأ عليها وترعرع فيها، وقد وجد صحابة رسول الله ﷺ عنناً من أرض المدينة بعد هجرتهم إليها، وكان شوقهم إلى مكة عظيم لكنهم صبروا

وقد أصابهم المرض وكأنه (الملاريا) ، فكان بلال رضي الله عنه إذا وعكته الحمى يقول معبراً عن شدة شوقه إلى مكة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بـواد وحوالي إذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة

وهل يبدون لي شامة وطفيل

تقول عائشة فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: [ اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد حباً ، وصححها ، وبارك في صاعها ومدها ، وانقل حماتها فاجعلها بالجحفة ] (البخاري ، ٥٨٨/١) .

ومن المؤكد أن أية أرض تقام عليها الدولة المسلمة ، سيبارك فيها الله عزوجل ، ويجعلها موفورة النعم ، وطيبة المناخ ويجبها إلى المسلمين . عندئذ تقوم الدولة المسلمة ، وقد يكون ذلك قريباً أو بعيداً ، فهذا لا يهم المسلم ، إنما يهمه أن يعبد ربه كما شرع له ، ومن هذه العبادة إقامة الدولة المسلمة .

وأي أرض ستقوم عليها الدولة المسلمة المعاصرة سوف تجذب صفوة البشر في يومنا هذا ، مما سيجعلها دولة قوية فيتحقق وعد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يقول محمد سعيد القحطاني (الهجرة مرتبطة بالولاء والبراء ، بل هي من أهم تكاليفهما ، فلما كان الإسلام دين العزة ودين القوة ، فإنه أبي على معتنقيه أن يستدلوا للكفار ، ولذلك جاء المنع من الإقامة بين ظهراي غير المسلمين ، لأن إقامته بينهم تشعره بالوحدة والضعف وتربي فيه روح الاستخذاء والاستكانة ، وقد تدعوه إلى المحاسنة ثم المتابعة . ويريد الإسلام للمسلم أن يمتلىء قوة وعزة وأن يكون متبوعاً لا تابعاً . وأن يكون ذا سلطان ليس فوقه إلا سلطان الله ، لذلك حرم الإسلام على المسلم أن يقيم في بلد لا سلطان للإسلام فيه ؛ إلا إذا استطاع أن يظهر إسلامه ، ويعمل طبقاً لعقيدته ، دون أن يخشى على نفسه الفتنة ، وإلا فعليه أن يهجر هذا البلد إلى بلد يعلو فيه سلطان الإسلام ، فإن لم يفعل فالإسلام بريء منه مادام قادراً على الهجرة ، قال تعالى { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً } (النساء : ٩٧-٩٩) .

وقال صلى الله عليه وسلم : [ أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين قيل يا رسول الله ، ولم ؟ قال لا تراءى ناراهما ] . ويقول صلى الله عليه وسلم : [ لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ] .

ويقول محمد سعيد القحطاني :

١- من أقام في دار الحرب رغبة واختياراً لصحبة أهلها ، فيرضى ما هم عليه من الدين ، ويعيب

المسلمين ، ويعاونهم على المسلمين . فهذا كافر عدولله ولرسوله صلى الله عليه وسلم . لقوله تعالى { لا يتخذ

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ،ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء { (آل عمران : ٢٨) .

٢- من أقام في دار الحرب لأجل مال أو ولد أو بلاد ،وهو لا يستطيع إظهار دينه ،مع قدرته على الهجرة ،ولا يعينهم على المسلمين ،فقد عصى الله ورسوله بترك الهجرة . لقوله تعالى { إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً { (النساء : ٧٩) .

٣- من أقام في دار الحرب مظهراً دينه ،فيتبرأ منهم وماهم عليه ،ويصرح لهم ببراءته منهم ،وأثم ليسوا على حق ،وهذا هو إظهار الدين الذي لا تجب معه الهجرة . وكذلك المستضعف الذي لا يستطيع الهجرة .

### تنبية هام

وليس المراد بإظهار الدين أن يترك الإنسان يصلي ولا يقال له أعبد الأوثان فإن اليهود والنصارى لا ينهاون من صلى في بلدانهم ،ولا يكرهون الناس على عبادة الأوثان ؟ بل المقصود أن إظهار الدين هو التصريح للكفار بالعداوة والبراءة منهم . وأن يصرح بأن الإسلام هو الحق وغيره باطل . وأخيراً هذه مقومات الدولة المسلمة الأولى ،وهي الصورة التاريخية لوصول الإسلام إلى الحكم ،وخلاصة هذه الصورة :

١- ربي رسول الله ﷺ القاعدة الصلبة من المسلمين في مكة (المهاجرون) .

٢- لم يقبل رسول الله ﷺ الملك حينما عرض عليه من قبل الجاهلية لأنه سيكون والياً من قبل الجاهلية ،ولن يكون له أي نفوذ عليهم لعدم وجود قاعدة مؤمنة يعتمد عليها في تنفيذ شريعة الله .

٣- لم يخض رسول الله ﷺ مع الجاهلية حرباً عسكرية لقله أنصاره ولا اعتبارات أخرى كثيرة.

٤- اختار رسول الله ﷺ الهجرة على الصدام المباشر مع الجاهلية ،والبحث عن مكان آخر يأوي إليه مع أصحابه معتمداً مبدأ الهجرة لإنشاء قوة حقيقية تكون قادرة على الصدام مع الجاهلية .

٥- تم للرسول ﷺ ما أراد بهجرته إلى المدينة ووصل الإسلام إلى الحكم بهذه الطريقة .

ويتابع الشيخ نادر النوري فيقول: ( ...والصورة التاريخية لوصول الإسلام إلى الحكم ؛ التي أشرنا إليها فيما تقدم تبدو الآن غير ممكنة التحقيق ،لأن أقطار العالم الإسلامي جميعاً تخضع لسلطات مركزية قوية ،تساندها قوى دولية متعددة بما تملك من قوى مادية ومعنوية رهيبية وهي ترصد تحركات العاملين للإسلام في كل مكان ،وتحاول محاصرتهم والحيلولة دون نجاح جهودهم ،فالقيام إذن على الصورة التاريخية في الظروف الراهنة يبدو أنه غير ممكن على الأقل في المستقبل المنظور .

وإذا تعذر الوصول للحكم كما حصل في صورته التاريخية ؛ فإن توفر المقومات شرط أساس لقيام أي حكم إسلامي في أي زمان وأي مكان ،وعندما تتوفر هذه المقومات (فهم المنهج ،القيادة ،الشعب

،الأرض) سوف تقوم الدولة المسلمة بإذن الله تعالى ،على الصورة التي يوفق الله إليها في حينها ،أما  
لو فرضنا جدلاً قامت دولة مسلمة لا تملك هذه المقومات فإنها ستنتهار وستكون عثرة في طريق الوصول  
إلى الحكم الإسلامي الصحيح .

---

## الفصل العاشر

### الخاتمة والخلاصة والتوصيات

حاول الباحث أن يقدم لإخوانه أبناء الصحوة الإسلامية منهجاً مبسطاً للسياسة الإسلامية، ليساعدهم على تمييزها عن السياسة الجاهلية، وأراد الباحث أن يرفع الحاجز النفسي القديم بين المسلمين والعمل الجماعي (السياسي)، وذلك عندما حاول أن يميز بين السياسة الإسلامية والمكيفة، التي أبعدت المسلمين عن السياسة، كما حاول الباحث أن يبين فرضية العمل الجماعي (العمل السياسي) وهو ما اصطلح على تسميته بالبيعة، كما حاول الباحث أن يجدد أولي الأمر الذين وجب على المسلمين مبايعتهم؛ وخلص إلى أنهم أهل الحل والعقد في الأمة المسلمة المعاصرة، واقترح أن يشكل هؤلاء رابطة شعبية للعلماء المسلمين.

وكي يميز السياسة الإسلامية عن الجاهلية عدد أهم خصائصها وهي:

١- **البيعة** وحاول الباحث أن يبين مكانة البيعة في الدين، أي أن العمل السياسي واجب على كل مسلم (الآن) وحتى تقوم الخلافة المسلمة على وجه الأرض، وعندئذ يصبح فرض كفاية كما هو بالأصل.

٢- **الشورى** وهي عمود النظام السياسي في الإسلام، وحاول الباحث تمييزها عن الديمقراطية؛ حيث يلبس هذان المفهومان حالياً لدى بعض المسلمين، وأراد الباحث أن يبين حقيقة الديمقراطية، كي لا تبهر بعض المسلمين كما بهرتهم الاشتراكية. وميز الباحث بين الشورى الملزمة والاستشارة المعلمة.

٣- **التعاون** وقصد به الباحث تعاون الجماعات الإسلامية فيما بينها، من أجل إعادة الخلافة إلى الأرض، ودعا إلى قبول مبدأ التعدد، ثم الحوار والتعاون على البر والتقوى.

٤- **العدالة** وهي خاصة تنفرد بها السياسة الإسلامية، وبها تدوم الدولة المسلمة بعد قيامها، وأكد أن المسلم يعدل بين الناس كافة كما أمره الله.

٥- **الاهتمام بالمسلمين** وقصد به الباحث موالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين والمنافقين، وحاول الباحث ربط ذلك بقيام الحياة الاجتماعية الإسلامية، وعلاقة الفرد المسلم بالمجتمع المسلم.

وعرض الباحث موجزاً لمقومات الدولة المسلمة، وهي المنهج والقيادة والشعب والأرض، وحاول الباحث أن يبين مقومات الدولة المسلمة الأولى، التي بناها رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة. وقارن بين مقومات الدولة المسلمة الأولى؛ وهذه المقومات المعاصرة؛ ليستخلص من ذلك أن الطريق مازال شاقاً وطويلاً، وأنه لا بد من إعداد القاعدة المسلمة (الصلية) التي يقوم عليها المجتمع المسلم، ثم الدولة المسلمة.

### التوصيات

وفي الختام يوصي الباحث نفسه وإخوانه أبناء الصحوة الإسلامية بما يلي:



١- أن يتقوا الله في السر والعلن، في سائر شئون حياتهم التعبديّة والسياسية والاقتصادية، وأن يجتهدوا في التعرف على منهج السياسة الإسلامية، كي لا يبقى دخن جاهلي في سلوكهم السياسي .

٢- يذكر الباحث نفسه وإخوانه بأن العمل الجماعي (السياسي) المنضبط بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فريضة على كل مسلم؛ وهو فريضة عين، حتى تقوم الدولة المسلمة، وعندئذ يعود فرض كفاية كما هو في الأصل .

٣- يوصي الباحث نفسه وإخوانه بدراسة أبواب الإمارة والجهاد في كتب الحديث الشريف، ودراسة شروحها للسادة العلماء كابن حجر في فتح الباري، والنووي في شرح مسلم وغيرهما .

٤- يوصي الباحث نفسه وإخوانه بدراسة كتب السياسة الشرعية مثل السياسة الشرعية لابن تيمية، والأحكام السلطانية للماوردي، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، والغياثي للجويني، وبحوث مركز تطبيق الشريعة الإسلامية في إسلام آباد ( صدر منها حتى الآن أربعة عشر بحثاً ) .

٥- يوصي الباحث نفسه وإخوانه بقراءة مجلة إسلامية سياسية أسبوعية، وتوفيرها للبيت المسلم ليطلع عليها بقية أفراد الأسرة، فيعرفون أخبار العالم الإسلامي وما يقع لإخوانهم في أرجاء العالم . ويرشح الباحث الآن مجلة المجتمع الكويتية، ومجلة الإصلاح الإماراتية، ومجلة الإرشاد ومجلة النهضة الجزائرتين، ومجلة الإرشاد اليمنية، وما شاكل هذه المجالات .

٦- يوصي الباحث إخوانه الباحثين المسلمين بالاهتمام بكتب الحديث الشريف وشروحها؛ واستخلاص الفكر السياسي الإسلامي منها، بهدف تمييز السياسة الإسلامية عن غيرها، وخاصة تمييزها عن الديمقراطية .

٧- يذكر الباحث سادته ومشايخه العلماء والدعاة بالمسارعة إلى تشكيل هيئة أهل الحل والعقد؛ لتتولى أمور المسلمين وتسوسهم في دينهم ودنياهم .

٨- يوصي الباحث المؤسسات التربوية المسلمة وأولها البيت المسلم والمسجد ثم المدرسة المسلمة؛ بغرس روح الشورى والتعاون والعدالة والعمل الجماعي والاهتمام بالمسلمين في نفوس الناشئة منذ الصغر، لينمو الفرد المسلم على هذه الصفات الإسلامية؛ فيكون لبنة صالحة ومتينة للمجتمع المسلم .

ولابد من اعتراف الباحث بعجزه وضعفه، فالموضوع كبير، والهدف بعيد، ولم يقرر نشره إلا بعد أن عايش الحاجة الماسة لهذا الفكر بين المسلمين، عسى أن يجد بعض الآذان الصاغية؛ فينفع الله به، وينتفع به الباحث في الآخرة، والله كريم ورحيم . والحمد لله رب العالمين .

و فرغ من كتابته **خالد أحمد الشتوت**

في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول (١٤١٤هـ) في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

## المراجع

### كتب الحديث الشريف والتفسير واللغة

- ١- الأدب المفرد، للبخاري، المطبعة العصرية بالإمارات العربية، ١٤٠١هـ .
- ٢- الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م .
- ٣- الأحكام السلطانية، للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م .
- ٤- تاريخ الطبري، للطبري، دار سويدان، بيروت، تحقيق محمد أبو الفضل .
- ٥- تحذير الساجد، للألباني، المكتب الإسلامي .
- ٦- تفسير الفخر الرازي، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ٧- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، المكتبة التجارية ط ١، ١٩٨٥م .
- ٨- الجامع الصغير للسيوطي، ط ٤، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ٩- الرياض النضرة في مناقب العشرة، للمحب الطبري، المكتبة الإسلامية، طنطا .
- ١٠- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، المكتب الإسلامي .
- ١١- سنن ابن ماجه، المكتبة العلمية، بيروت .
- ١٢- سنن أبي داود، للحافظ المنذري، تحقيق الفقي، مكتبة السنة المحمدية .
- ١٣- سنن البيهقي، دار إحياء السنة، مكتبة المثنى، بغداد .
- ١٤- سنن النسائي، تحقيق أبي غدة، دار المطبوعات الإسلامية، حلب ١٤٠٦هـ .
- ١٥- السيرة النبوية، لابن هشام، مصطفى الباي الحلبي، القاهرة .
- ١٦- شرح الأربعين النووية، البغا ومستو، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٤م .
- ١٧- صحيح البخاري بحاشية السندي، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .
- ١٨- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ١٩- صحيح مسلم بشرح النووي، دار القلم، مراجعة خليل الميس، ط ١ .
- ٢٠- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية .
- ٢١- فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٩٨٨م .
- ٢٢- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق، ط ٠١، ١٩٨٢م .
- ٢٣- كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد العجلوني، إحياء التراث ببيروت .
- ٢٤- مجمع الزوائد، للهيثمي، دار الكتاب، بيروت، ط ٢، ١٩٦٧م .
- ٢٥- مختصر تفسير ابن كثير، للصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٩٨١م .
- ٢٦- المستدرک على الصحيحين، للحاكم، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب .
- ٢٧- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلامي، بيروت .
- ٢٨- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد، وزارة الأوقاف، بغداد .
- ٢٩- المعجم الوسيط، ط ٢، دار الفكر، دمشق .

- ٣٠- مناقب عمر، لابن الجوزي .
- ٣١- موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٦هـ.
- ٣٢- مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، ١٣٩٢هـ .
- الكتب التربوية والفكرية**
- ٣٣- ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، الرئاسة العامة للإفتاء بالرياض، ط١، ١٩٨٣م .
- ٣٤- ابن تيمية، السياسة الشرعية، دار الهلال، ط١، ١٩٨١م .
- ٣٥- ابن تيمية، الفتاوى، (٣٢) مجلد، الرياض، (١٩٦١ — ١٩٦٢).
- ٣٦- ابن تيمية، منهاج السنة، مكتبة الرياض الحديثة.
- ٣٧- أبو الحسن الندوي، ماذا خسّر العالم بانحطاط المسلمين، دار القلم بالكويت ١٩٨٢م .
- ٣٨- أبو الفتح البيانوني، وحدة العمل الإسلامي، عمان، ط١، ١٩٨٨م .
- ٣٩- أحمد شوقي الفنجري، الحرية السياسية في الإسلام .
- ٤٠- إسحق الفرحان، التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة، دار الفرقان، عمان
- ٤١- توفيق الشاوي، فقه الشورى والاستشارة، دار الوفاء، ط١، ١٩٩٢م .
- ٤٢- الجويني، غياث الأمم، مكتبة إمام الحرمين، تحقيق عبد العظيم ديب، ١٤٠١هـ
- ٤٣- حسن البنا، مجموعة الرسائل، مؤسسة الرسالة.
- ٤٤- حسين جابر، الطريق إلى جماعة المسلمين، الكويت، دار الدعوة ط١، ١٩٨٤م .
- ٤٥- خالد شنتوت، تربية البنات في الأسرة المسلمة، دار المجتمع بجدة، ١٩٩١م .
- ٤٦- خالد شنتوت، دور البيت في تربية الطفل المسلم، دار المطبوعات بجدة، ١٩٩٠م .
- ٤٧- خالد شنتوت، المسلمون والتربية العسكرية، دار المطبوعات بجدة، ١٩٨٩م .
- ٤٨- سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، دار السلام بالقاهرة، ط١، ١٩٨٩م .
- ٤٩- سعيد حوى، الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م .
- ٥٠- سعيد حوى، جند الله ثقافة وأخلاقاً، دار الكتب العلمية، بيروت،
- ٥١- سعيد حوى، فصول في الإمرة والأمير، الرسالة، عمان، ١٩٨٢م .
- ٥٢- سعيد حوى، المدخل إلى جماعة الإخوان المسلمين، ط٢، ١٩٧٩م .
- ٥٣- سعيد أيوب، المسيح الدجال، دار الاعتصام بالقاهرة، ط١، ١٩٨٩م .
- ٥٤- السيد الشوربجي، الإسلام ودستور الحكم .
- ٥٥- سيد أحمد عثمان، المسؤولية الاجتماعية، الانجلومصرية ١٩٧٩ .
- ٥٦- صادق أمين، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية، المطابع التعاونية، عمان ١٩٨٧م .
- ٥٧- صحيفة المسلمون، العدد (٣١٢) رجب، ١٤١١هـ.
- ٥٨- طه جابر العلواني، أدب الاختلاف في الإسلام، كتاب الأمة، قطر،
- ٥٩- عبد الله قادري، الشورى، دار المجتمع بجدة، ١٩٨٦م .

- ٦٠- عبد الباسط حسن ،علم الاجتماع ،مكتبة غريب بالقاهرة ،ط٢ ، ١٩٨٢م .
- ٦١- عبد الرحمن عبد الخالق ،ابن تيمية والعمل الجماعي ،إحياء التراث الإسلامي ١٩٩٠م ،
- ٦٢- عبدالرحمن عبد الخالق ،مشروعية العمل الجماعي ،دارالهجرة بالرياض ،١٩٨٩م .
- ٦٣- عبد العزيز البدري ،العلماء والحكام .
- ٦٤- عبدالغفارعزيز ،الدين والسياسة في الأديان الثلاثة ،دارالحقيقة ،١٩٨٩م .
- ٦٥- عبد القادر عودة ،الإسلام وأوضاعنا السياسية ،الرسالة ،ط٧ ، ١٩٨٦م .
- ٦٦- عبد الكريم الخطيب ،الخلافة والإمامة ،دار المعرفة ،بيروت ،ط٢ ، ١٩٧٥م .
- ٦٧- عدنان النحوي ،الشورى لالديمقراطية ،مطابع الفرددق بالرياض ،١٩٨٥م .
- ٦٨- عدنان النحوي ،ملاحم الشورى في الدعوة الإسلامية ،مطابع الفرددق ١٩٨٤م .
- ٦٩- علي وناجي الطنطاوي ،أخبار عمر ،دار الفكر ،ط٣ ، ١٩٧٣م .
- ٧٠- عمر الأشقر ،نحو ثقافة إسلامية أصيلة ،مكتبة الفلاح بالكويت ،١٩٨٥م .
- ٧١- قدرى قلعجي ،أمريكا وخطرسة القوة ،دار الكتاب العربي ،ط١ ، ١٩٩٢م .
- ٧٢- قمرالدين خان ،ابن تيمية وفكره السياسي ،مكتبة الفلاح بالكويت ١٩٨٥م .
- ٧٣- ماجدعرسان الكيلاني ،أهداف التربية الإسلامية ،دارالتراث بالمدينة ،١٩٨٨م .
- ٧٤- ماجد عرسان الكيلاني ،الفكر التربوي عند ابن تيمية ،المطابع التعاونية ،عمان ١٩٨٥م ،
- ٧٥- ماجد عرسان الكيلاني ،فلسفة التربية الإسلامية ،دار هادي ،ممكة المكرمة ١٩٨٨م .
- ٧٦- ماجدعرسان الكيلاني ،هكذاظهرجيل صلاح الدين ،التعاونية ،عمان ١٩٨٥م .
- ٧٧- مايلز كوبلاند ،لعبة الأمم ،تعريب مروان خير ،بيروت ،انترناشونال سنتر .
- ٧٨- مجلة الإرشاد الجزائرية ،العدد ( ٤ ) و ( ٦ ) عام ١٩٩٠م .
- ٧٩- مجلة لواء الإسلام ،القاهرة ،العدد (٨) اكتوبر ١٩٩٠م .
- ٨٠- مجلة المجتمع الكويتية ،العدد (٨٢٣) .
- ٨١- محمد سعيد القحطاني ،الولاء والبراء في الإسلام ،طبية بالرياض ط١١٤١١هـ .
- ٨٢- محمدسليم العوا ،في النظام السياسي للدولة الإسلامية ،المكتب المصري ،١٩٧٥م .
- ٨٣- محمدعبدالقادرأبوفارس ،النظام السياسي في الإسلام ،دارالفرقان ،١٩٨٦م .
- ٨٤- محمدشقيير ،الوسائل المطبوعة في جماعة الإخوان المسلمين ،دارالمجتمع ،١٩٨٥م .
- ٨٥- محمد قطب ،منهج التربية الإسلامية ،دار الشروق ،١٤٠١هـ .
- ٨٦- محمد قطب ،مفاهيم ينبغي أن تصحح ،الشروق ،ط٣ ، ١٩٨٨م .
- ٨٧- محمد قطب ،واقعنا المعاصر ،مؤسسة المدينة للصحافة ،ط٢ ، ١٩٨٨م .

- ٨٨- محمد رواس قلعجي، أميرنا وأميرهم، مكتبة الهدى، حلب، ١٩٧٧م.
- ٨٩- محمود أبو السعود، مقدمة لكتاب ميتشل عن الإخوان لمسلمين، ط١، ١٩٧٩م.
- ٩٠- محمود طبخ، مجتمع الإيمان، دار العلم للطباعة بجدة، ١٤١٠هـ.
- ٩١- نيقولا مكيافلي، الأمير، دار الآفاق، بيروت، تعريب فاروق سعد، ١٩٧٩م.
- ٩٢- يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية، دار الصحوة بالقاهرة، ط١، ١٩٩٠.

## الفهرس العام

٢	والله غالب على أمره .....
٤	فما هو منحج السياسة الإسلامية ؟ .....
٥	أهمية البحث : .....
٥	هدف البحث : .....
٧	<b>الفصل الأول</b> .....
٧	<b>الفصل الأول</b> .....
٧	<b>الإسلام والسياسة</b> .....
٧	تمهيد : .....
٨	تعريف الإسلام : .....
٩	تعريف السياسة .....
١٠	١ - السياسة علم : .....
١١	٢ - السياسة فن : .....
١١	٣ - السياسة الإسلامية : .....
١٢	وللسياسة الإسلامية أهداف عالمية منها : .....
١٢	السياسة جزء من الإسلام .....
١٣	ابن تيمية والسياسة : .....
١٤	العمل الجماعي هو العمل السياسي .....
١٥	هل العمل السياسي فرض كفاية ؟ .....
١٧	لماذا أهمل المسلمون السياسة ؟ .....
١٨	الملك العاض .....
١٨	المكافيلية : .....
١٩	<b>الفصل الثاني</b> .....
٢٠	<b>الفصل الثاني</b> .....
٢٠	<b>الإسلام والمكافيلية</b> .....
٢٠	مكافيلي .....
٢٠	عرض موجز لكتاب الأمير .....
٢٢	السياسة المعاصرة مكافيلية .....
٢٣	السياسة المعاصرة سياسة مصالح .....
٢٤	صفات الأمير في السياسة الجاهلية .....
٢٥	السياسة الإسلامية سياسة عقائدية .....
٢٦	أهداف السياسة الإسلامية في المجتمع المسلم: .....
٢٦	أهداف السياسة الإسلامية في الأمة المسلمة: .....
٢٧	أهداف السياسة الإسلامية في البشرية .....
٢٧	صفات الأمير المسلم .....

٢٩	.....	<b>الفصل الثالث</b>
٣٠	.....	<b>الفصل الثالث</b>
٣٠	.....	<b>الإسلام والديمقراطية</b>
٣٠	.....	تمهيد :
٣١	.....	الديمقراطية
٣٢	.....	خصائص الديمقراطية :
٣٣	.....	أزمة الديمقراطية
٣٣	.....	انتحار الديمقراطية الأمريكية
٣٤	.....	أميركا تحارب الديمقراطية في العالم
٣٥	.....	الديمقراطية في الجزائر
٣٥	.....	الديمقراطية تتحول إلى استبداد
٣٦	.....	الشورى و الديمقراطية
٣٦	.....	نقاط التشابه بين الشورى و الديمقراطية
٣٦	.....	نقاط الاختلاف بين الشورى و الديمقراطية
٣٨	.....	التكليف الشورى للانتخاب
٣٨	.....	١ - الأمانة
٣٩	.....	٢ - الشهاداة
٤٠	.....	٣ - الولاء والبراء
٤٠	.....	إسلامية الانتخاب
٤٠	.....	صفات أهل الشورى ( وهم من يختار الإمام ومن في حكمه )
٤٣	.....	أهل الشورى عند أبي بكر <small>رضي الله عنه</small>
٤٣	.....	أهل الشورى عند عمر <small>رضي الله عنه</small>
٤٥	.....	يا أيها الناخب المسلم
٤٦	.....	- وتختلف الديمقراطية والشورى في الدعاية الانتخابية
٤٨	.....	الأكثرية والأقلية
٤٩	.....	موقف الحركة الإسلامية من الديمقراطية
٥٠	.....	النظام الإسلامي غير ثيوقراطي
٥٢	.....	<b>الفصل الرابع</b>
٥٢	.....	<b>خصائص السياسة الإسلامية</b>
٥٢	.....	البيعة
٥٢	.....	البيعة العامة والبيعة الخاصة
٥٢	.....	العمل الجماعي
٥٤	.....	التشردم سرطان المسلمين المعاصرين
٥٦	.....	الخلاصة
٥٧	.....	أولو الأمر
٥٧	.....	تفسير القرطبي :
٥٨	.....	تفسير ابن كثير :

٥٨	..... قول الإمام الجويني :
٥٩	..... ابن تيمية :
٥٩	..... النووي :
٥٩	..... مناقشة
٦٣	..... جمعية العلماء المسلمين
٦٣	..... العلماء والحكام
٦٣	..... معاوية بن أبي سفيان ؓ
٦٤	..... أبو جعفر المنصور
٦٤	..... الخليفة عبد الرحمن الناصر
٦٤	..... بعض العلماء العاملين
٦٤	..... الشيخ عبد القادر الكيلاني
٦٥	..... العز بن عبد السلام
٦٥	..... ابن تيمية
٦٥	..... الفضيل بن عياض
٦٦	..... محي الدين النووي
٦٦	..... شيخ من الأزهر
٦٦	..... الشيخ محمد الحامد
٧٠	..... <b>الفصل الخامس</b>
٧٠	..... <b>الشورى</b>
٧٠	..... الشورى أمر رباني للفرد وللمجتمع
٧١	..... الشورى صفة لكل مسلم
٧٢	..... وخلاصة القول :
٧٢	..... الشورى خلق إسلامي
٧٣	..... الشورى ملزمة والاستشارة معلمة :
٧٦	..... الفرق بين الشورى الملزمة والاستشارة المعلمة
٧٨	..... <b>الفصل السادس</b>
٧٨	..... <b>التعاون</b>
٧٨	..... التعاون في علم الاجتماع :
٧٨	..... التعاون أخذ وعطاء :
٧٩	..... التعاون تكامل :
٧٩	..... تعاون الجماعات :
٨٠	..... تعدد الجماعات :
٨٤	..... أدب الاختلاف
٨٥	..... مشكلة الجماعة الأم
٨٧	..... وحدة الصف
٨٨	..... ٥- تعاون الجماعات في العمل السياسي :
٩٠	..... <b>الفصل السابع</b>



٩٠	.....	<b>العدالة</b>
٩٠	.....	تمهيد :
٩٠	.....	العدل صفة للفرد المسلم
٩١	.....	العدل مع غير المسلمين
٩٢	.....	تكافؤ الفرص
٩٧	.....	<b>الفصل الثامن</b>
٩٧	.....	<b>الاهتمام بالمسلمين</b>
٩٨	.....	الفرد المسلم والمجتمع المسلم
٩٨	.....	الحاجات الاجتماعية :
٩٩	.....	المجتمع سابق على الفرد :
١٠٠	.....	وهم ساذج
١٠١	.....	كيف نهتم بالمسلمين ؟
١٠١	.....	مامعنى الولاء للمسلمين ؟
١٠٤	.....	<b>الفصل التاسع</b>
١٠٤	.....	<b>الدولة المسلمة الأولى</b>
١٠٤	.....	تمهيد :
١٠٥	.....	فكيف قامت الدولة المسلمة الأولى ؟
١٠٥	.....	القواعد الصلبة
١٠٦	.....	الدولة والمجتمع في علم الاجتماع
١٠٦	.....	المجتمع المسلم في ظل المجتمع المعاصر
١٠٧	.....	وهم منتشر بين الشباب المسلم
١٠٧	.....	نشأة المجتمع القرآني الفريد في ظل المجتمع الجاهلي
١٠٨	.....	كيف نقيم المجتمع المسلم قبل الدولة المسلمة ؟
١٠٩	.....	مقومات الدولة المسلمة الأولى
١٠٩	.....	المنهج :
١١٠	.....	الفهم الجماعي للمنهج :
١١١	.....	القيادة :
١١٢	.....	الشعب :
١١٧	.....	تبيينه هام
١١٩	.....	<b>الفصل العاشر</b>
١١٩	.....	<b>الخاتمة والخلاصة والتوصيات</b>
١١٩	.....	التوصيات